ملاك الرعب

إدجار والاس

الغلاف من تصميم * معرفتي * بالاستعانة بغلاف النسخة الإنجليزية



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر يوليو 2018 **

www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

ملاك الرعب

قصة فتاة رائعة الجمال شديدة الذكاء سولت لها نفسها الخبيثة أن تستغل جمالها وذكاءها للحصول على الثراء العاجل بالمؤامرات الدامية والحيل العجيبة التى حيرت رجال البوليس والقـانون

تأليف

القصصى الانجليزى

إدجار والاس

ترجمة

دار الهلال بمصر

شخصيات الرواية

جيمس ميريديث . ثرى يملك ستمائة ألف جنيه ورثها عن والده الذى كان من أنصار الزواج الباكر، وقد شرط فى وصيته أن يحرم ابنه من ثروته إذا لم يتزوج حتى الثلاثين من عمره

جان بريجرلند : بنت عمة جيمس ميريديث ، ووارثته بعد وفاته . وقد تآمرت للفوز بثروته

مستر بريجرلند : والد جان . . رجل مفلس تزوج من آل ميريديث طمعاً فى الثروة

فردیناند بولفورد : خاطب جان بريجرلند . وقد دبرت هى ووالدها قتله واتهم فيه جيمس ميريديث

جاك جلوفر : صديق جيمس والمحامى الذى دافع عنه فى تهمة القتل، وبطل المعارك التى وقعت بينه وبين جان ووالدها

ليديا بيل : فتاة صحافية فقيرة ، تعمل فى إحدى الصحف الكبرى ، والدها متوفى . وقد احتال جلوفر حتى تزوجها جيمس ميريديث قبل بلوغه الثلاثين

تشارلز رينيت : عميد (مكتب رينيت وجلوفر وسمبسون) . وهو مكتب قضائي معروف

مسز كول مورتيمر: تدعى مرجريت . وهى صديقة لجان بريجرلند ، ومن المنفذات لخططها الجهنمية

ماركس ستنبنى : رجل متأنق . ماهر فى ورق اللعب ، وصديق لجان . يجالس الأعيان وأبناء الذوات

فرانسوا موردن : سائق سيارة آل بريجرلند ، ومحب لجان ، وكانت تستخدمه فى خططها الجهنمية

مؤلف الرواية



كان « ادجار والاس » أحد ثلاثة من المؤلفين الانجليز عقد لهم لواء الزعامة في كتابة القصص البوليسية خلال ثلاثة أرباع القرن الماضي ٠ والاخران هما : الدكتور « أرثر كونان دويل » مبتكر شخصية «شرلوك هولمز» ٠ و « وليم ليكيه » الذى كشف بقصصه عن كثير مما غمض من نشاط جواسيس الالمان في انجلترا، وشرح وسائل حياتهم وأساليبهم فى التغلغل بين الناس والحصول على كل البيانات النافعة لبلادهم

وقد امتاز « ادجار والاس » مؤلف هذه القصة ، ببراعته التى لا تجارى فيما يبتكره من ألغاز طريفة تحفل بها قصصه ، حتى انه لا يختم فصلا من احداها الا على حادث جديد ، يضيف به لغزا الى لغز ، ويحبس النفس شوقا الى تعرف النتيجة التى قد لا تبين الا فى الاسطر القليلة الاخيرة من قصته ٠ بل هوكثيرا ما يترك اللغز بلا حل ، مستنهضا العقول الى التفكير لكشف غوامضه

ومن عجيب أمر هذا المؤلف القصصى العبقرى أنه بدأ حياته بائع صحف، ثم دفعه حبه للبحث والاطلاع ، الى ترك بيع الصحف ، ليعمل طاهيا على احدى البواخر ، حيث أتيح له أن يزور بلادا كثيرة مختلفة ، وأن يدرس عن كثب حياة أهليها

على أنه ما لبث قليلا حتى مل حياة التجوال فى البحار ، فعاد الى الاقامة بوطنه الاول حيث عمل بائع لبن ، يحمله الى عملائه مرة كل صباح ٠ ولبث كذلك حتى قامت حرب البوير فتطوع للعمل جنديا فى الجيش الانجليزى وهناك فى جنوب افريقيا بدأت مواهبه تظهر وتوجهه الوجهة الصحيحة للقيام بدوره الاكبر فى الحياة ، وتأدية رسالته الخالدة ، فاشتغل الى جانب عمله فى الجيش بمراسلة بعض الصحف الانجليزية

وكان أول ما خطه قلم ادجار والاس رسائل ضمنها أخبارا عن حرب البوير ، وعن أبناء تلك البلاد الذين كانوا يفضلون الموت على الاستسلام للانجليز ٠٠

ولفت نشاطه أنظار أصحاب صحيفة « الديلى ميل » ٠ فاختاروه مراسلا خاصا لصحيفتهم فى ذلك الميدان الحربى ٠ ومن هناك عاد الى لندن رئيسا لتحرير تلك الصحيفة الكبرى !

وكان قد بدأ وهو فى جنوب افريقا كتابة أول قصة له وهى قصة « شريعة الأربعة العدول » ٠ فلما أتمها بلغ من اعجابه بها أنه قرر نشرها لحسابه ، ورسم لها خطة دعاية كبيرة ، لم تلبث أن استنفدت كل ما ادخره من مال من أعماله السابقة ، وعندئذ عرض أمر القصة على صاحب الديلى ميل ومدير تحريرها المستر « الفريد هارمزورث » ــ الذى أصبح فيما بعد « لورد نورثكليف » عميد الصحافة البريطانية ــ فأعجب بالقصة وقدم لكاتبها ألف جنيه يستعين بها على اتمام نشرها ٠ ونفد هذا المبلغ أيضا واضطر آخر الأمر الى بيعها لاحدى دور النشر بما يساوى ما أنفقه عليها مضافا اليه ٧٥ جنيها

وابتسم الحظ له منذ ذلك التاريخ فانتقل من الفقر المدقع الى الغنى الفاحش حتى لقد بلغ دخله السنوى من رواياته زهاء الخمسين ألفا من الجنيهات ، ولكنه كان كريما مسرفا فى كرمه ، حتى كان يبلغ به الأمر الى الاقتراض بين رواية ورواية

وكان ادجار والاس غزير الانتاج الى حد تعذر معه احصاء عدد ما كتبه من القصص ، وكانت سرعته فى كتابة القصة موضع التندر لدى أصدقائه، ومن ذلك ما ذكره أحدهم من أنه طلبه يوما بالتليفون فاعتذر له سكرتيره الخاص بأنه بدأ منذ هنيهة كتابة قصة جديدة ، فرد الصديق على السكرتير قائلا : « حسنا !٠٠ سأنتظره هنيهة أخرى ريثما يتم قصته ! »

وقد أخرجت له احدى دور النشر ، وهى التى نقلنا عن طبعتها هذه الترجمة ــ ما يربو على أربعين قصة منها : سر المفتاح الفضى ، والمزيف ، وشريعة الأربعة العدول ، ووادى الاشباح ، وشعب مخيف ، والثلاثة العدول ، والعصور الحمراء ، والجوكر ، والوجه الابيض ، والزمردة المربعة

وفى سنة ١٩٣٢ سافر الى هوليوود للاتفاق على اخراج احدى رواياته على الشاشة البيضاء ، ولكن المنية عاجلته هناك قبل اتمام الاتفاق

المتهم البرىء

أوشك « جيمس ميريديث » أن يبلغ الثلاثين من عمره ، وهى السن التي اذا جاوزها دون أن يتزوج فانه ـ طبقا لوصية أبيه ـ يفقد حقه في التركة التي خلفها هـذا ، وتقدر بحوالى ستمائة ألف جنيه ، وتصير حقا خالصا لأقرب الورثة بعده وهى الآنسة « جان بريجرلند » ابنة عمته

وكان جيمس قد رحل الى جنوب افريقا بعد اتمام دراسته فى لندن ، وبقى يعمل هناك حتى توفى أبوه ، فعاد الى لندن حيث شرع فى العمل لتنفيذ وصية أبيه . ولما كانت ظروفه قبل ذلك لم تتح له التعرف الى من تصلح لاختيارها زوجة له ، ولم يكن قد بقى على بلوغه الثلاثين من عمره سوى أشهر معدودة ، فقد اندفع متأثرا بالخوف من فقده حقه فى الثروة الضخمة التى تركها أبوه ـ الى عقد خطبته بالآنسة بريجرلند ابنة عمته التي بالغت فى التودد اليه ، دون أن يستوثق من حبه لها ، أو يفطن الى الدافع الحقيقى لتوددها اليه وهو طمعها فى تلك الثروة !

ومضى الوقت حتى لم يبق على بلوغه الثلاثين الا بضعة أسابيع ، وكان قد تبين شيئا من حقيقة موقفه من الفتاة وموقفها منه فاعتزم فسخ خطبتها ومواصلة البحث عن فتاة أخرى ليتزوجها فى الوقت المناسب ، ولكن الآنسة بريجرلند فطنت الى ما اعتزمه ، وسارعت الى استعمال ذكائها وسعة حيلتها للحيلولة دون زواجه بغيرها قبل انقضاء الأجل المحدد لذلك فى وصية أبيه ، وبذلك تنتقل اليها الثروة المذكورة ، وفى الوقت نفسه تكون قد تخلصت هى الاخرى من الزواج منه ، اذ الواقع انها لم تكن تشعر نحوه بأى ميل عاطفى !

وبعد أيام ، كان جيمس يهم بمغادرة الدار التى تسكنها الآنسة جان ، فاذا به يفاجأ برصاصة تنطلق مدوية فى الفضاء وتصيب رجلا كان مارا فى تلك اللحظة أمام الدار . وما كاد يتجه الى المجنى عليه ويتحقق أنه قتل حتى جاء أحد رجال البوليس على صوت الطلقات ، وألقى القبض عليه بوصفه القاتل ، فلم يستطع أن يدفع التهمة عن نفسه ، لضبطه عاكفا على فحص جثة القتيل وفى يده المسدس الذى ارتكبت به الجريمة .. هذا الى أنه وقر فى أذهان المحققين أنه ارتكب الجريمة بدافع الغيرة على خطيبته اذ اعترفت أن القتيل كان صديقها . وهكذا قدم للمحاكمة بتهمة القتل مع سبق الاصرار

كان السكون مخيما على قاعة المحكمة حين دوى صوت كبير المحلفين معلنا قرارهم فى تهمة القتل المعروضة عليهم

ثم ران الصمت على القاعة مرة ثانية حين صوب بصره من فوق حافة منظاره الى المتهم الطويل القامة الواقف فى القفص ، ثم جعل يقلب الاوراق التى أمامه بتلك الأناة الرهيبة التى تلازم كبار القضاة وهم جلوس على منصة الحكم . وعاد القاضى فقسم الاوراق الى أكوام ثلاثة ، ثم تناول ورقة بيضاء وخط عليها بقلمه بضع كلمات

ومضت فترة أخرى على الانفاس المحتبسة ، ثم بدأ القاضى يتكلم بتؤدة قائلا للمتهم :

ـ جيمس مريديث .. لقد صدر قرار المحلفين ، بعد محاكمة طويلة ، بادانتك فى جريمة القتل الفظيعة التى ارتكبتها،وانى لمتفق معهم فى قرارهم هذا كل الاتفاق ، فليس هناك أى مجال للشك فى ادانتك ، وخاصة بعد شهادة الآنسة « بريجرلند » التى كانت خطيبتك ، وبعد أن حاولت أنت عبثا تجريح شهادتها بأنك أطلقت النار على (فرديناند بولفورد) مدفوعا بالغيرة والحسد . لقد قررت هذه الآنسة التعسة فى شهادتها التى لا مطعن عليها أنك كاشفتها بنيتك الغادرة نحو القتيل قبل خروجك مغضبا ثائرا من بيتها ، وكان من سوء حظ المرحوم المستر بولفورد أنه كان قادما فى تلك اللحظة ، فلقيته ساعة خروجك ، أمام منزل خطيبتك ، واندفعت بجنون الحقد فأطلقت عليه النار فأرديته قتيلا !

« أما ادعاؤك على لسان محاميك أنك ذهبت فى تلك الليلة الى دار خطيبتك لتعلن اليها فصم الخطبة ، وأن مقابلتكما كانت هادئة لم يتخللها ألفاظ مثيرة ولا اتهامات ، مما قصدت به الى أن هذه السيدة قد أدت شهادة مزورة للقضاء على حياتك ، ثم تماديك فى القول ـ تبريرا لهذا الادعاء الشنيع ـ بأن موتك أو سجنك مدى الحياة يتيح الفرصة للآنسة ريجرلند ، بوصفها بنت عمتك ، لترث مالك وثروتك ، فان هذه الادعاءات ليست الا أدلة على فساد خلقك ، لأنه ما من أحد رأى تلك الفتاة التى كان وجهها يفيض حنانا ، كما يفيض جمالا ، اذا جاز لى أن أقول ذلك ، وهى تدلى بشهادتها ، يستطيع أن يسلم لك لحظة واحدة ما زعمته من نسج خيالك المريض !

« والا فمن الذى قتل (فرديناند بولفورد) وهو رجل لا عدو له فى العالم كله ؟. انها مأساة لا تفسير لها الا قرار المحلفين بأنك مذنب ، ولا يسعنى الا اصدار الحكم بعقوبة الاعدام التى يقررها القانون على جريمة القتل مع سبق الاصرار . أما توصية المحلفين باستعمال الرأفة فانها سترفع الى الجهات المختصة ! »

وبعد أيام أذيع أن الحكم بالاعدام استبدل به الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة .. فلمح كثيرون بأن المتهم لولم يكن صاحب ثروة طائلة لما استعملت معه الرأفة !

غادر (جاك جلوفر) دار المحكمة بعد صدور الحكم على جيمس ميريديث صديقه وعميله ، وبقى هنيهة صامتا وهو يسير بجانب سير جون المحامى الكبير الذى تولى الدفاع فى القضية ، ثم قال له :

ـ أهكذا تفوز علينا تلك الفتاة الماكرة ؟!!

ونظر اليه المحامى الكبير نظرة ساخرة وقال :

ـ عجبا يا جلوفر !٠ألا تزال تظن أن تلك الفتاة تستطيع أن تلفق شهادة خطيرة كالتى أدلت بها أمام المحكمة ضد الرجل الذى تحبه ؟!

فامتقع وجه جلوفر ، وأخذ يردد متعجبا قول صاحبه المحامى الكبير : « الرجل الذى تحبه ؟!٠٠ أى حب هذا ؟! »

وهز السير جون رأسه ، وقال وهو يتابع خطاه فى هدوء :

ـ لا شك فى أنك يا عزيزى لست على صواب ،والرأى عندى أن ميريديث لابد أن يكون مصابا بخبل ، وليست قصته عن لقائه الأخير مع الفتاة الا نتاج خيال مريض ٠ ولست أكتمك أنى أنا نفسى قد تأثرت كثيرا برؤية جان بريجرلند وهى تؤدى شهادتها !

وكانا قد صارا خارج دار المحكمة حين شهدا سيارة كبيرة وقفت هناك، وأمامها خادم يفتح بابها لتدخلها فتاة متشحة بالسواد ٠ وسنحت لهما فرصة فلمحا وجه الفتاة الباهت الحزين ذا الجمال المنقطع النظير ، ولكنها سرعان ما اختفت وراء الاستار الكثيفة داخل السيارة

وشهق المحامى الكبيرشهقة عميقة ثم قال لصاحبه بصوت خفيض أجش:

ـ مجنون ولا شك !٠٠ انى لم أر فى حياتى وجها معبرا عن نقاء الضمير كوجه هذه الفتاة !

فعاجله جاك جلوفر قائلا :

ـ لابد أنك جلست اليوم طويلا تحت الشمس يا سير جون ، فانى أرى عواطفك ملتهبة !

وابتلع المحامى الكبير ريقه وبان الامتعاض على وجهه ، لكنه سكت ولم يرد على هذه الدعابة القاسية ، ذلك لان جلوفر كان معروفا بأن له طريقته فى لذع أصدقائه وزملائه ، ولو كانوا أكبر منه بعشرين عاما أو أكثر ، دون أن يؤثر ذلك فى تقديرهم له واحترامهم لزمالته ٠ وأخيرا قطع السير جون حبل الصمت الذى تلا تلك الدعابة القارصة قائلا :

ـ حقا يا جلوفر ان لذعاتك ليست دائما مما يطاق

ثم افترقا ، فانطلق السير جون فى سيارته عائدا الى داره ، وقصد جلوفر الى مكتب « رينيت وجلوفر وسمبسون » ٠ وهناك وجد المستر رينيت عميد المكتب يهم بمغادرته ، فقال له :

ـ يقول السير جون انه لا سبيل الى نقض الحكم على أساس أن الجريمة عاطفية ، وذلك لأن شهادة الفتاة قلبت القضية رأسا على عقب ، ويبدو

أنها كانت تلوح لعينيه حورية جاءت من الجنــــة لتؤدى تلك الشهادة ٠٠ وأقسم ان العجوز الأحمق وقع فى حبائلها ، فقد تركته وهو يوشك أن ينظم فيها قصيدة يترنم فيها بفضائلها ومحاسنها !

ومشط مستر رينيت لحيته بأصابعه وقال :

ـ اذن ٠٠ قد انتصرت الفتاة ؟!

فقال جلوفر فى حماسة :

ـ كلا !٠ انها لم تنتصر بعد ، ولن تنتصر الا اذا مات جيمس ميريديث٠٠ أو ٠٠٠

ثم سكت فتساءل مستر رينيت قائلا :

ـ أو ماذا ؟٠٠ ان حكم ميريديث الآن حكم الموتى،وأحسب أن الاحتمال الذى تعنيه مستحيل الوقوع ٠ على أنى مع ذلك لن أدخر جهدا فى خدمته ولو أنفقت فى ذلك كل ما أمتلك !٠ لقد كان أبوه أول عملائنا وأفضلهم ، بل ان له وحده فضل الحيلولة دون اشهار افلاســنا ٠ وكان أبوك لا يفتأ يذكر له تلك اليد ، وما أحسبه الا حدثك عنها

فلاحت علائم الارتياح على وجه جلوفر وقال :

ـ نعم ، لقد حدثنى أبى بنبأ تلك المكرمة ، وانى لعلى يقين من أنك لن تتخلى عن ميريديث المسكين مهما يطل صراعك من أجله !

فأومأ رينيت برأسه مؤكدا ذلك وقال : « نعم ٠٠ الى آخر الحياة ! »

ثم قال جلوفر : « انى ذاهب لمقابلتــه فى السّجن غدا ٠ ولكن قل لى يا رينيت ٠٠ هل اطلعت أخيرا على نبأ ذلك السجين الذى طلب السماح له باجراء جراحة عند طبيبه الخاص ؟ كان هناك سؤال فى البرلمان عن هــذه المسألة ، فهل تظن أنه من الممكن تلبية مثل ذلك الطلب ؟ »

فقال رينيت : « أحسبه كذلك ، ولكن خبرنى ، ما وراء سؤالك هذا ؟»

ولكن جلوفر عاد يسأل زميله الأكبر :

ـ أترانا نستطيع ـ بعد بضــعة أشهر مثـلا ـ أن نخرج ميريديث من السجن الى احدى دور العلاج الخاصة بحجة اجراء جراحة له ، لاستئصال الزائدة الدودية ؟

فقال رينيت : « أهو مصاب بالتهاب فيها ؟ »

قال : « كلا !٠ لكنه يستطيع طبعا أن يدعى ذلك ، فليس أســهل فى الدنيا من هذا الادعاء ! »

فنظر اليه رينيت عاقصا حاجبيه وقال :

ـ هى والله فكرة لتحقيق الاحتمال الثــانى ٠٠ أو ٠٠ وعلى كل حال أحسب أنه يمكن تدبير ذلك اذا ظل صاحبك على قيد الحياة

وهنا قال جلوفر بلهجة الواثق : « انه سيعيش ! » ٠ ثم استدرك قائلا: « ولكن المهم أن نعثر على الفتاة الموافقة ! »

حادث خطف

جمعت الآنسة « ليديا بيل » قصاصات الورق المتناثرة على مكتبها ثم كورتها وألقت بها فى الموقد · وعلى أثر ذلك سمعت نقرة خفيفة على باب غرفتها ، وما كادت تلتفت حتى رأت « مسز مورجان » خادمتها البدينة تدخل باسمة وهى تحمل صينية عليها فنجان شاى كبير وقطعتان كبيرتان من الخبز فوقهما بعض المربى ، ثم قالت فى لهفة ظاهرة : « أرجو أن تكونى قد انتهيت من العمل يا سيدتى ! »

وأومأت الفتاة برأسها قائلة : « نعم ·· ان عملى اليوم قد انتهى » ، ثم نهضت واقفة تتمطى تخلصا من تصلب جسمها لطول عكوفها على العمل ، ووضعت ورقة مطوية فى درج مكتبها ، بينما ألقت مسز مورجان بالصينية على منضدة بجانب المكتب ، ووقفت تتأمل معجبة قامة الفتاة الهيفاء ، ولون عينيها البنفسجى القاتم ، وملامح وجهها الدقيقة التى تنم عن منبتها العريق ونشأتها الرفيعة ، كحركاتها المتئدة الموزونة ، ويديها النحيفتين النظيفتين

وأخيرا مسحت مسز مورجان يديها فى « مريلتها » · وأشارت الى درج المكتب الذى وضعت فيه سيدتها تلك الورقة المطوية وقالت لها : « هل أستطيع أن أراها يا آنسة ؟ »

ففتحت ليديا درج مكتبها وأخرجت منه ورقة كبيرة من النوع الابيض السميك ، لم تكد مسز مورجان ترى الرسم المخطط فوقها بالقلم الرصاص حتى شهقت شهقة الاعجاب · اذ أخذتها روعة الرسم الذى كان يصور رجلا ملثما شاهرا مسدسه فى وجه جماعة من الاشرار ، فأوقفهم مذعورين !·· ثم قالت :

ــ هذا عجيب يا سيدتى !· هل يحدث اليوم مثل هذا فى الحياة ؟

واستضحكت الفتاة وهى تعيد الرسم الى مكانه فى الدرج وقالت :

ــ نعم يحدث فى القصص التى أرسم بعض مناظرها يا مسز مورجان !

ثم استطردت قائلة وفى صوتها مرارة :

ــ أما اللصوص ومبتزو الاموال ومصاصو الدماء فى الحياة الحقيقية فقوم غير هؤلاء ، ولعلك تعرفين منهم تلك الطائفة التى تعلن للناس عرائض الدعاوى والمطالبات ، كما أن منهم أيضا عارضى النفائس والازياء فى واجهات

المتاجر ، ولكنك لا ترين طبعا أحدا من أولئك أو هؤلاء في هذه الصـــورة التي رسمتها !

فهزت مسز مورجان رأسها وتنهدت تأثرا بعبارة سيدتها ، ثم رأت هذه أن تتجه بالحديث وجهة أخرى فسألتها : « هل حضر أحد بعد الظهر ؟ » .

فقالت : « لم يحضر الا موظف مكتب (سباد ونيوتن) ٠ وقد ذكرت له أنك لست هنا ، ولا أدرى هل صدقني أو قرأ في عيني الكذب ! »

وبدا الألم على وجه الآنسة بيل ، وقالت في يأس ظاهر :

ـ انى لا أكاد أصدق أني سأتمكن من سداد تلك الديون التي يوجد في مكتبي من أوراق المطالبة بها ما لو بسط لغطى جدران هذا البيت !

وكانت قد فقدت أباها منذ ثلاث سنوات ، ففقدت بموته خير صـديق ورفيق لها ، وخلف لها حملا ثقيلا من الديون لم تكن تعرف مداه يوم اختطفه الردى ، ولكن حدث في اليوم التالي لدفنه أن سمعت أحـد دائنيه يقول : « ان الموت المريح هو الذى يعفى ضحيته من التزاماتها ! » ٠ فألهبت هذه العبارة مشاعرها المرهفة ، ودفعتها الى اتيان عمل فيه من الحماقة بقـــدر ما فيه من وفاء وكرامة ، فقد كتبت الى دائنى أبيها معترفة بما لهم من ديون، واعدة بسدادها ، وهكذا أصبحت مدينة بمبالغ جسيمة لا تكاد تحصيها ، وان كانت قد عقدت العزم على دفعها مهما يكلفها ذلك من عنت وارهاق !

وكان هناك بعض الدائنين لم يلحفوا في الطلب تقديرا للموقف ، ولكن الأكثرية كانت في الجانب الآخر !

وكانت ليديا تحصل على راتب لا بأس به من عملها في صحيفة «ميجافون» اليومية التي كانت تخصص طائفة من أعمدتها للأزياء الحديثـــة ٠ ولكن الديون الكثيرة التي طولبت بها الفتاة في أول الشهر التالي لوفاة أبيهـا لم يكن يكفي لسدادها راتب وزير !

وسألتها الخادم أخيرا : « هل تخرجين الليلة يا آنسة ؟ »

وجهدت الفتاة حتى تخلصت من وساوسها وأجابت قائلة :

ـ نعم ، فقد ألتقط الليلة بعض رسوم للأزياء في العرض الأول لمسرحية (كيرفيو) الجديدة ، وسأعود حول منتصف الليل !

وهمت مسز مورجان بمغادرة الغرفة، ولكنها لم تكد تقطع نصف المسافة نحو الباب حتى استدارت وقالت :

ـ أدعو لك الله يا آنستى أن يزيح عنك هذه المتاعب ٠ ان قلبي ليحدثني بأنه جل شأنه سيستجيب قريبا الى دعائي ، وأراهن انه لن يمضى وقت طويل حتى تتزوجي شابا غنيا يسعدك !

فابتسمت ليديا ابتسامة مريرة وقالت :

ـ أؤكد لك أنك ستخسرين الرهان يا مسز مورجان !٠ ان الشـــبان الاغنياء لا يتزوجون الفتيات العاملات. الا في مثل القصص التي أرســـم

صـــــورها !٠٠ ولو قدر لى أن أتزوج ، فأكبر الظن أن زوجى لن يكون الا رجلا فقيرا مثلى،ثم لا يلبث أن يعتريه مرض يحيلنى ممرضة له ، وسأبغضه يومئذ بقدر ما يسبب لى من حرمان ، ولكنى سأحنو عليه فى الوقت ذاته بالقدر الذى يحول دون مفارقتى اياه !

وهزت مسز مورجان سبابتها مرارا ، يمينا ويسارا ، دلالة على أنها غير موافقة على تشاؤم سيدتها ، ثم قالت :

ـ لا ٠٠ يا سيدتى ، وكثيرا ما تقع أمور ٠٠

فقطعت الفتاة كلامها قائلة : « تلك المعجزات لا تقع لى أنا على كل حال٠ ثم انى لا أستطيع التفكير فى الزواج الآن ، اذ لابد لى أولا من سداد تلك الديون ، وما أحسبنى سأنتهى منها الا وقد اشـــتعل رأسى شيبا وصرت عجوزا لا يرغب أحد فى زواجها ! »

وفرغت ليديا من شرب الشاى ، ثم نهضت وراحت تعد نفسها متثاقلة للسهرة ، واذا مسز مورجان تعاود الدخول الى غرفتها وتقول مستذكرة :

ـ نسيت أن أخبرك يا آنسة أن سيدا وسيدة سألا عنك أيضا

فقالت ليديا مستغربة : « سيد وسيدة ؟!٠ من عساهما يكونان ؟ »

قالت : « لست أدرى يا سيدتى ، فقد كنت مســتلقية فى فراشى حين قدما وقابلتهما الصغيرة مساعدتى ، وكنت قد حذرتها أن تذكر أنك هنا ٠ فلما سألاها : (هل الآنسة بيل تقيم هنا) وردت بالايجاب ، اكتفيا بذلك وانصرفا دون أن يقولا شيئا آخر ! »

فغمغمت ليديا ، وضرت بأسنانها مغضبة ، ثم راحت تحـــدث نفسها قائلة : « كم لهما يا ترى ؟ ؟

ولم تلبث قليلا حتى نسيت هذا الأمر أو تناسته فلم تعد تفكر فيه ، وفى طريقها الى المسرح رأت أن تستفسر بالتليفون من ادارة الجريدة التى تعمل فيها عن عدد الرسوم المطلوبة منها ، وكان الذى رد عليها فى التليفون هو سكرتير التحرير ، فلما فرغا من حديث العمل قال لها : « عــلى فكرة يا آنسة ، وجدت على مكتبى ورقة مكتوب فيها أن أصدقاء قدماء لك سألوا عنك فى التليفون فذكر لهم عامله (براند) أنك ستذهبين الليلة الى مسرح (ارفنج) وقد تلقينهم هناك »

وتذكرت ليديا السيد والسيدة اللذين سألا عنها فى مسكنها ، ولم يكن لها غير أصدقاء قليلين ، قدماء وحديثين ، فشملتها الحيرة وسألت سكرتير التحرير : « ومن عساهما يكونان ؟ »

فأجابها بقوله : « لست أدرى من أمرهم شيئا سوى ما هو مكتوب فى الورقة ، وبراند ليس فى مكتبه الآن ! »

ولما دخلت صالة المسرح لم تجد فيها أحدا تعـــرفه رغم فحصها وجوه جميع الحاضرين ، وكذلك لم يتقدم اليها فى فترة الاستراحة أحد !

وهناك فى الناحية اليمنى من الصف الذى أمامها كان يجلس شخصان خيل اليها أنهما يوجهان اليها نظرات غريبة ، لكنها لم تذكر أنها رأتهما من قبل وكان أحدهما رجلا فى نحو الخمسين من عمره ، شديد السمرة ، له صلعة نحاسية ، على أنه برغم ذلك يبدو أوربيا لزرقة خفيفة فى عينيه كانتا تطلان عليها من وراء نظارته فى حنان ، والى جانبه فتاة بيضـــاء ، بارعة الجمال يبدو شعرها كأنه سبيكة من الذهب الخالص ، ولم تشك ليديا فى أن هذا هو لونه الطبيعى ، كما أن ملامح الفتاة كانت متناسقة متناسبة ، ليس فيها ما هو أقل فتنة من غيره

وساءلت ليديا نفسها وهى تتأمل وجه الفتاة : ترى أين رأيت من قبل هذا الوجه ٠ ورأت من نضارة الفتاة وسيمياء البراءة الساذجة التى تلفها ما جعلها تطيل النظر اليها حتى كادت لا ترى شيئا من المسرحية التى كان الممثلون يكدحون لنجاحها !

ومما زاد فى اتجاه فكر ليديا الى هذين الشخصين أنها فاجأتهما غير مرة وهما يسترقان النظر اليها ٠٠ فمن عساها تكون تلك الفتاة الجميلة ذات الثياب الأنيقة التى تلف حول خصرها سلسلة تتخللها على مسافات متقاربة قطع كبيرة من الزمرد ؟!

وعبثا حاولت ليديا جمع قواها لتحويل نظرها نحو خشبة المسرح ، ثم رأت أخيرا أن تشغل نفسها بالتفكير فى عملها ، فنشرت فوق ركبتيها كتاب مذكراتها وراحت تمد بقلمها خطوطا تصور بها الزى الذى استرعى أنظار المتفرجين أكثر من سواه ، واستطاعت بذلك أن تتحرر الى حد ما من التفكير فى تلك المتفرجة الحسناء الساحرة !

وبعد اسدال الستارة على الفصل الاخير من الرواية ، ذهبت ليـديا الى مدخل الصالة فوقفت قليلا أمام المرآة هنـــاك ريثما تلف رأسها وكتفيها النحيلتين بعباءتها القديمة ، اذ كانت الليلة قاسـية البرد ، وكانت ريح جنوبية غربية ترسل فى الجو صفيرا ، ويتساقط من ســحابة غطت وجه السـماء برد صـــغير يصك الآذان وقع اصـــطدامه بالزجاج فى واجهة المسرح ٠ وهرع المحظوظون من النظارة الى ســياراتهم المتباينة الفخـامة والضخامة ، وتبعتهم فئة راكبى ســـيارات الأجرة ، وتوالى قرع أبواب السيارات وهى تغلق بشدة ثم تتلوها أصوات الراكبين معلنة للســائقين وجهتهم ٠ بينما وقفت ليديا وسط هذا الزحام منتظرة مرور الاوتوبيس الذاهب الى « فليت ستريت » حى الصحافة فى لندن

ومرت بها سيارتان مشحونتان بالركاب ٠ وبدأت تشعر بالقلق ، ثم اذا بسيارة أنيقة تقف على مقربة منها قبيل موقف الاوتوبيس ، وأطل من نافذتها وجه سائقها الذى كان يرتدى معطفا واقيـــا من المطر ، وناداها بصوت عال : « آنسة بيل !٠٠ آنسة بيل ! »

وبغتت ليديا ، وخطت نحو السيارة فى اضطراب ملحوظ وهى تقول : « من ينادى بيل ؟ »

وعاودها الاطمئنان والهدوء اذ قال لها السائق الرشيق : « لقد أرسلنى اليك رئيس التحرير » . ثم فتح لها باب السيارة فدلفت الى داخلها ، وسرعان ما انطلقت بها

وكان رئيس تحريرجريدة ميجافون معروفا بمخالفة المألوف ، وقد أبدى لليديا أكثر من مرة آراءه فى بعض رسومها بصراحة كانت تقشعر كلما ذكرتها ، وحدث فى مناسبات كثيرة أن أيقظها من النوم ليطلب اليها موافاته الى حفلة خاصة،أو الى أحد المراقص أو المسارح لتنقل له رسم ثوب استهواه أو قبعة مبتكرة راقته . ولكن لم يحدث قط من قبل أن أقدم على عمل انسانى كهذا العمل الماثل أمام عينيها فى شخص السائق والسيارة.ولكن الموقف لم يكن ليحتمل التأمل وانعام النظر ، فقبعت داخل السيارة ، مستريحة الى ما أحسته فيها من دفء

وكان الثلج قد أنشأ أستارا على نوافذ السيارة ، فلم تكن لترى وهي فى داخلها الا أشعة باهتة من أضواء مصابيح الطريق وهى تمر بها مسرعة . ولكنها فشلت فى رؤية الطريق بسبب كثافة الثلج.وفشلت كذلك محاولتها انزال زجاج النافذة اذ وجدت مفتاحه لا يدور . وانطلقت الافكار تدور بسرعة فى رأسها ، فمالت فى مقعدها الى الامام ونقرت على الزجاج الذى يفصل بينها وبين السائق ، فقد كانت السيارة تمر فى تلك اللحظة فوق جسر ، وهى تعلم علم اليقين أنه ليس فى أى طريق من مسرح (ارفنج) الى (فليت ستريت) أى جسر ! ولكن السائق لم يستجب للنداء الموجه اليه ، بل زاد فى سرعة السيارة ، برغم اشتداد طرقها الزجاج !. وهنا داخلها الشك والخوف .. وحاولت فتح الباب ، فلما لم يستجب لها هذا أيضا أيقنت أنها قد وقعت فى فخ !

ولاح لها أنها قد تستطيع كسر الزجاج ، أو تهديد السائق لارغامه على الوقوف ، فرأت أنها لم يكن معها شيء يشبه السلاح الا قلم الحبر وقلم الرصاص ، وكذلك لم يكن معها مظلة لأنها لم تعتد حمل مظلة حين تذهب لقضاء سهرتها فى مسرح ، فرأت أن تكسرالزجاج بقدميها ، واستوت كذلك فى مقعدها وأسندت ظهرها الى خلف ، ولكنها سرعان ما تبينت سخف هذه الفكرة فأقلعت عن محاولتها.وقد كادت تيأس لولا أن لمعت فى ذهنها فكرة سرعان ما طردت من نفسها الروع !

ان القرن العشرين الذى تعيش فيه ليس بالعصر الذى تخطف فيه النساء على هذه الصورة ، ثم أنها هى نفسها ليست ممن يرجى من وراء خطفها مغنم ، فلا مال لديها يطمع فيه الطامعون ، ولا من يدفع عنها فدية لفك اسارها !.. ولعل الأمر اذن ليس سوى مغامرة كالمغامرات التى تحفل بها القصص المثيرة !.. وهنا قطبت حاجبيها ، فقد تذكرت الحديث الذى جرى

بينها وبين مسز مورجان خادمتها منذ ساعات ، وتذكرت ما تنبأت لها به الخادمة خلال هذا الحديث من أنها ستتزوج قريبا زواجا غراميا لا يخطر لها ببال ، ثم حدثت نفسها قائلة : « ان هذا السائق الذى اختطفنى قد نادانى باسمى ، ومن الممكن أن يكون رئيس التحرير قد أرسله فى طلبى لأقابله بمنزله ؟٠٠ وان منزله على ما أذكر فى مكان ما من جنوبى لندن ، فلعل هذا هو السر فى انطلاق السيارة بسرعة غير عادية ، وفىعبورها بعضالجسور٠ ولكن ما خطب السائق ؟٠ ولماذا يصر على تجاهل نداءاتى المتكررة ؟٠ وما بال نوافذ السيارة وأبوابها أحكم اغلاقها من الخارج »

وعاودها الشعور بأن وراء الأكمة ما وراءها ، فاستلقت فى مقعدها مستسلمة فى انتظار المفاجأة التى خبأها لها القدر !

وجعل قلقها يزدادكلما أمعنت السيارة فىالانطلاق بها الى الغاية المجهولة ثم رأت بعد فترة ، بصيصا من ضوء يتراقص على سقف السيارة فوق رأسها ، فالتفتت وراحت تحدق النظر خلال الزجاج الخلفى للسيارة ، عساها تهتدى الى كشف جانب من الاستار الكثيفة التى أحاطت بها من كل جانب

ولمحت على خطوات من خلفها مصابيح سيارة قوية لم تلبث أن كشفت لها عن أشجار ضخمة على أحد جانبى الطريق ، فأدركت أنها خرجت من لندن ، وأنها الآن في احدى ضواحيها !٠٠ وما هى الا هنيهة أخرى حتى مرقت السيارة الخلفية بجانب السيارة التى هى فيها ثم جاوزتها ، وظهر لها نورها الخلفى الأحمر متراقصا يمنة ويسرة كدأب السيارات المسرعةعلى طرق غير مستوية كلها !

وعلى حين فجأة وقفت السيارة الاخرى معترضة الطريق ، مما اضطر سائق سيارة ليديا الى الوقوف بغتة هو الآخر !

وارتمت الفتاة مرتطمة بالمسند الذى خلفها بقوة ، وقبل أن تعاود الاعتدال رأت على ضوء سيارتها الباهت شبحين قد وقفا الى جوار السائق، وسمعت كلاما لم تتبينه ، ثم اذا الباب يفتح ويدعوها صوت رقيق قائلا : « تفضلى بالنزول يا آنسة بيل ! »

وكادت قدماها تخذلانها ، ولكنها نزلت !

وكان ثانى الرجلين الواقف الى جوار السائق مرتديا معطفا طويلاللمطر، وقد رفع ياقته حتى غطت أرنبة أنفه ٠ وسمعته يقول للسائق :

ـ يمكنك الآن أن تعود الى أصحابك وتخبرهم أن الآنسة بيل فى أيد أمينة عليها !

ثم أردف قائلا قبل أن ينصرف السائق :

ـ ولعلك تذهب أيضا الى الكنيسة فتوقد شمعتين شكرا لله على عودتك سالما !

وقبل أن تفيق من دهشتها سمعت السائق وهو يبلع ريقه قائلا :

ـ لا أكاد أفهم شيئا مما تقول ، انى ذاهب بالآنسة الى مكتبها !

ثم سمعت الآخر يرد عليه قائلا فى لهجة مهذبة :

ـ منذ متى بدأت جريدة ميجافون تصدر فى هذه الضواحى البعيدة ؟

ثم تحول نحوها فحياها برفع قبعته وقال لها :

ـ تعالى يا آنسة بيل ، انى أعدك بركبة أفضل من التى كنت تركبينها، وان لم أكن أستطيع أن أعدك بخاتمة أقل غرابة !



نبوءة تتحقق

كان الرجل الذى فتح السيارة قصيرا ، ملفوف البدن ، متين البنيـة ، وقد وضع يده برفق فى ذراع ليديا ، فسارت معه الى سيارته لا تسأله عن شيء ومن خلفهما صاحبه الذى يرتدى معطف المطر

ولم تخرج كلمة من فمأحد منهم ، وكانت هى قد تعبت من كثرة الاسئلة التى لم تتلق عنها أى جواب !

وبعد أن تحركت السيارة وقطعت مسافة غير قصيرة ، قال أحد الرجلين للآخر :

ــ أحسنت صنعا يا رينيت !٠ انى أؤكد لك أن لأصحابنـا ذكاء فوق مستوى البشر !

فقال له صاحبه بصوت أجش :

ــ أنا لا تعجبنى الاعمال الشريرة مطلقا ، وكذلك لا يظفر مرتكبوها منى بأى اعجاب !

وضحك الرجل الآخر ، وهو الذى ناداها ودعاها الى الركوب ، وكان جالسا أمامها ، ثم قال لصاحبه :

ــ ومع ذلك لو نظرت الى الفكرة نظرة مجردة ما وسعك الا الاعجاب مثلى بهم ، فانى قد ذهلت حقا حين تبينت أن الآنسة بيل لم تطلب السيارةالتى وضعت فى طريقها بطريقة تثير الاعجاب البالغ !

وهنا ٠٠ لم يسع الفتـاة الا أن تنفض بعض الذهول الذى تراكم على ذهنها ، لتتكلم لأول مرة أو لتصيح قائلة

ــ ما معنى هذا كله ؟! لقد كاد عقلى يذهب !٠٠ أين نحن ذاهبون الآن؟

وقال لها الرجل الجالس أمامها فى لهجته الهادئة الرصينة :

ــ أخشى أنك لن تستطيعى الذهاب الليلة الى المكتب ، وقد لا أستطيع أن أوضح لك الآن أيضا لماذا كانوا يريدون أسرك !

فرددت الفتاة فى دهشة :

ــ أسرى أنا ؟!٠٠ هل تريد أن تقول ان ذلك الرجل ٠٠٠

وقطع هو كلامها واستأنف كلامه فقال :

ــ كان يسير بك الى الريف،وربما كان سيستمر منطلقا بك طول الليل،

والأرجح أنه كان سيتركك موثقة فى مكان لا يمكن الوصول اليه ٠ ولست أزعم أنهم مع ذلك كانوا يريدون بك شرا ، فما أحسبهم يقدمون على مغامرة لا ضرورة لها ما داموا يستطيعون تحقيق مآربهم بالاحتفاظ بك الليلة بعيدا ، على أن مما يدهشنى كذلك أنهم عرفوا أن اختيارنا وقع عليك !

ثم وجه الخطاب الى زميله قائلا : «هل يمكنك حل هذا اللغز يا رينيت ؟»

وقبل أن يجيب هذا ، صاحت هى فى فزع مرددة :

ـ اخترتمونى ؟!٠ لا شك أنه من حقى أن أطلب ايضاحا ٠ وأرجو اذا سمحتما أن تذهبا بى الى مكتبى ، فان هناك عملا يجب على أن أؤديه !

وهنا قال لها الرجل الذى يرتدى معطف المطر :

ـ صدقينى يا آنسة ٠٠ انك لن تستطيعى بستة جنيهات فى الاسبوع ، وبضعة جنيهات أخرى تكسبينها من الصور التى ترسمينها ، أن تسددى الديون التى تعهدت بدفعها ولو طال بك الأجل الى مائة عام !

ولم يسع الفتاة الا أن تفغر فاها لفرط دهشتها ، ثم قالت له بعد أن ثاب اليها رشدها :

ـ يبدو أن السيد يعرف الكثير من شئونى الخاصة ؟

فقال الرجل الآخر بلهجته الهادئة نفسها : « نعم يا آنسة٠٠ بل يعرف أكثر مما يمكن أن يخطر لك ببال ! »

وخيل اليها فى الظلمة السائدة أنه كان يبتسم ، وأن صوته كان مفعما بحنان وغنة اعتذارية خالية من كل تحد واعتداء ، وما لبث قليلا حتى استطرد قائلا :

ـ لقد سجل ضدك فى الاثنى عشر شهرا الماضية تسعة وثلاثون حكما ! وفى السنة السابقة سجل ضدك سبعة وعشرون حكما !٠٠ وأنت تعيشين على ثلاثين شلنا فى الاسبوع ، ويذهب ما بقى من كسبك الى دائنى أبيك !

واندفعت الفتاة قائلة بحرارة :

ـ هذه سماجة لا تطاق !

ولكنها سرعان ما شعرت بحماقتها ، وقال لها محدثها :

بل هى غاية السماجة ، ولهذه المناسبة أذكر لك اسمى ٠٠ اننى أدعى (جاك جلوفر) ، أحد الشركاء الثلاثة أصحاب المكتب القضائى المعروف باسم (مكتب رينيت وجلوفر وسمبسون) ، وهذا السيد الجالس بجانبك هو المستر تشارلز رينيت ، شريكنا الأكبر ، ولعل من المفيد أن أخبرك بأن استمرار قيام شركتنا هذه متوقف عليك !

واستبدت الدهشة بالفتاة وقالت :

ـ على أنا ؟!٠ اذن دعنى أصارحك بأننى لا أضمر للمحامين حبا كثيرا ، وليس بينى وبينهم ود مفقود !

فغمغم جلوفر قائلا :

ــ أستطيع أن أفهم السبب فى شعورك هذا

واستدركت هى فقالت :

ــ لكننى لا أريد طبعا أن تفض تلك الشركة !

وقال رينيت : « الأمر أخطر من ذلك جدا يا آنسة ، فاننا فى الحقيقة نقوم بعمل لا يقره القانون،وسنطلعك على تفصيل ما نهدف اليه ، ولا شك فى أنك لو كشفت للبوليس عما سوف تعلمين لأدى ذلك الى دمارنا،وهكذا ترين أن نجاح هذه المغامرة يهمنا أكثر مما يهمك ، فى الوقت الحاضر على الأقل ، وهذا هو كل ما أستطيع مصارحتك به الآن ! »

ومضت فترة غير قصيرة قبل أن تجد ليديا صوتها لتقول :

ــ سنرى على كل حال !

وكانت السيارة قد انعطفت الى طريق ضيقة ، وسارت مسافة ما وسط أشجار متلاقية الاطراف ، ثم وقفت أخيرا عند مدخل قصر ريفى كبير !

وفتح لها رينيت باب السيارة ودعاها الى النزول ، ثم أشار لها بيده الى باب فتح فى اللحظة التى بلغاه فيها ، وبدت خلفه ردهة فسيحة جدرانها من الزجاج الملون ، واقترب جون جلوفر منها وقال فى أدب :

ــ من هنا يا آنسة !٠٠ دعينى أسر أمامك !

ووجدت نفسها أخيرا فى قاعة استقبال ينم أثاثها عن حسن الذوق ، وقد تدلت من سقفها المنقوش ثريا كهربائية صيغت من الفضة الخالصة ، ذات مصباحين وضاءين ٠ وأدخل الطمأنينة الى قلب ليديا أنها شهدت سيدة وقورا تنهض لتحيتها،ثم قال لها رينيت وهو يشير الى تلك السيدة:
ــ هذه زوجتى يا آنسة بيل !٠٠ وأحسبنى فى غير حاجة لأن أقول أيضا : ان هذه هى دارى !

وقالت السيدة زوجته وهى تبتسم :

ــ لقد وفقتما اذن فى العثور على ضالتكما المنشودة !٠ لكن ما رأى الآنسة بيل فى الموضوع ؟!

واقترب جلوفر من ليديا مرة أخرى ، وبدا لها فى ضوء المصباحين القويين أكثر أناقة مما كان فى الظلمة ، ولاحظت بعينى المرأة أنه مقبول شكلا ، وأن فى عينيه ما يوحى بالثقة به والاطمئنان اليه ، وبعد أن حنى رأسه مبتسما للسيدة رينيت ، اتجه الى الفتاة وقال لها :

ــ لست أدرى يا آنسة بيل : أينبغى لى أن أتولى أنا الشرح،أم يقتضينى الواجب أن أترك ذلك لصديقى العلامة الكبير الذى ربما تفضل بحمل هذا العبء عنى !

وهنا قال له السـيد رينيت الوقور : « لا يا عزيزى ٠٠ بل أنت الذى تتولى شرح الأمر للآنسة » ٠ ثم التفت الى زوجه واستطرد قائلا :

ـ أليس من الخير أن نترك جلوفر ليتحدث فى الأمر قليلا مع الآنسـة بيل ؟

فهتفت زوجته متعجبة : « هل الآنسة لم تعرف بعد ؟! »

وضحكت ليديا وان تكن أبعد ما تكون عن الانشراح ، فان ما يحتمل من فقدانها عملها ، وماكان جائزا أن يقع لها على يد خاطفها الأول، ثم ما يحيط بها الآن من أسرار ، كل أولئك عوامل تعاونت على ارهاف حسها وشـد أعصابها الى النهاية !

وبقى جلوفر صامتا حتى انصرف شريكه مع زوجته وأغلق الباب وراءهما، ثم انقضت هنيهة أخرى مشى خلالها حتى جعل الموقد الى ظهره ، ثم عض على شفتيه وألقى بصره على السجادة متأملا وقال :

ـ لا أكاد أعرف كيف أبدأ يا آنسة بيل ، ويضاعف شعورى بالمسئولية حيالك ما أراه مرتسما على وجهك ٠ ولعل الأفضل على كل حال أن أبدأ من أول الرواية ، وأحسبك سمعت بقضية اغتيال بولفورد ؟

فحملقت الفتاة فيه متعجبة وقالت :

ـ قضية اغتيال بولفورد ؟!

فأومأ جلوفر موافقا ، واستطردت هى قائلة :

ـ لقد سمعت بهذه القضية كما سمع بها كل الناس !

فقال جلوفر : « من حسن الحظ اذن انه لا ضرورة لسرد حوادث القضية بالتفصيل ٠ وأقول لك ٠٠٠

فقطعت ليديا كلامه قائلة :

ـ كل ما أعرفه أن شخصا يدعى مستر ميريديث قتل مسـتر بولفورد بدافع من الغيرة ، وأن القاتل حاول تجريح شهادة خطيبته ضده ، فزعم أنه كان مغضبا أشد الغضب في الوقت الذى غادر فيه منزلها ، وهو الوقت الذى عثر البوليس فيه على جثة منافسه فى حبها هناك !

فأومأ جلوفر موافقا وقال :

ـ نعم ، وقد أكد ميريديث أنه لم يكن مغضبا لدى خروجه من عندها ، وأنه كان قد فسخ خطبته لها ، وأكثر من ذلك أكد أنه لم يكن يعرف شيئا عن الصلة بين خطيبته وبين القتيل !

فقالت ليديا بهدوء :

ـ لقد قال ذلك لينقذ نفسه ، ولكن الآنسة بريجرلاند أكدت ألا صحة لشىء مما زعمه خطيبها !

فعقص جلوفر حاجبيه وقال :

ـ ان ما لا تعرفينه يا آنسة بيل هو أن جان بريجرلاند بنت عمة جيمس ميريديث ، وأنها سترث عنه كل ثروته التى تبلغ حوالى ستمائة ألف جنيه . ولزيادة الايضاح أخبرك أن ميريديث من أعز أصدقائى ، ولا يمنعنى كونه محكوما عليه بالسجن المؤبد من المحافظة على هذه الصداقة . فان ثقتى ببراءته لا يعدلها الا ثقتى بأنى أتحدث اليك الآن وأنت جالسة أمامى ، وأعتقد اعتقادا جازما أن الأمر لا يعدو أن يكون مؤامرة تهدف الى موته أو سجنه مدى الحياة ، وهذا ما يعتقده أيضا زميلى العالم المحترم صاحب هذه الدار ، والحقيقة ان ميريديث كان خطيب الفتاة ، ثم عرف عنها وعن أبيها أشياء لا تشرفهما ، ولما كان فى الواقع لم يشعر نحوها بحب برغم جمالها المفرط ، وأدرك فى الوقت ذاته انه انزلق فى فخ نصب له ليخطبها ، فقد سارع الى فسخ الخطبة ، وكان ذهابه اليها فى تلك الليلة المشئومة لتسوية ذلك الأمر معها

وبدت الحيرة على وجه ليديا وقالت :

ـ لعمرى لست أدرى ما العلاقة بين هذه القصة وبينى !

وابتسم جلوفر مرة أخرى وقال لها :

ـ سأخبرك الآن بهذه العلاقة ، ولكن دعينى أولا أقص عليك طرفا آخر من هذه القصة لم يعرف الناس حتى الآن شيئا عنه..لقدكان أبو ميريديث رجلا فيه شىء من شذوذ ، وكان من أنصار الزواج المبكر،فجعل فى وصيته شرطا يقضى بأن يحرم ابنه ميريديث من كل ثروته اذا هو بلغ الثلاثين دون أن يتزوج،على أن تؤول ثروته فى هذه الحالة الى شقيقته وورثتها وخلفائها، وكانت شقيقته هى زوجة المستر بريجرلند ، وقد توفيت ، وورثتها الآن هم زوجها وجان بريجرلند

وساد الصمت هنيهة ، وحملقت ليديا فى الموقد مفكرة ثم سألت :

ـ وما عمر ميريديث الآن ؟

ـ سيبلغ الثلاثين يوم الاثنين القادم ، ومن ثم يجب أن يعقد زواجه قبل حلول ذلك اليوم

وسألت ثانية : « وهل سيتزوج فى السجن ؟ »

فهز جلوفر رأسه نفيا وقال :

ـ لو كان ذلك ممكنا لما تعذر تدبيره ليتم هناك ، ولكن وزير الداخلية رفض لأمر ما أن يأخذ على عاتقه مسئولية الموافقة على هذا الاجراء الذى ليس له سابقة يمكن الاستناد اليها

واندمجت ليديا فى القصة ونسيت نفسها وسألت : « كيف اذن ...

وتحيرت ابتسامة صغيرة على وجه جلوفر وراح يقول متئدا :

ـ دعينى أشرح لك الأمر فى وضوح تام ، وصدقينى مع ذلك يا آنسة بيل اذ أقول لك انى قد لا أكون الآن متحمسا لهذا المشروع كما كنت

من قبل ، على اننا لو فرض واستطعنا احضار ميريديث الى هذه الدار قبل صباح الغد ، فهل تقبلين أن تتزوجيه ؟

وهنا صرخت ليديا جزعة :

ـ أنا ؟!٠٠ أتزوج رجلا لم أره ٠٠٠ رجلا قاتلا ؟!

ورد عليها جلوفر قائلا فى هدوء :

ـ انه ليس بقاتل ، انه برىء مظلوم وقد شرحت لك الأمر !

فقالت في حماسة : « أية حماقة هـذه ؟٠٠ هذا مستحيل !٠ ثم لماذا تختاروننى أنا نفسى ؟! »

وعاد الصمت فخيم هنيهة ، ثم قطعه بعد ذلك صـوت جلوفر قائلا بالهدوء نفسه :

ـ حين فكرنا فى تدبير هذا الأمر ، سألنا أنفسنا عمن ينبغى أن تحصل على الفائدة التى سيحققها هذا الزواج ٠ ورأى رينيت أن نبحث فى سجلات محكمة لندن لعلنا نعثر على فتاة تكون فى حاجة عاجلة الى مال ، ولم تكن ثمة طريقة أضمن من هذه ولا أسرع للتنقيب عن الفتاة التى اسـتقر رأينا على أن نهدى اليها تلك الهدية الثمينة ٠ وقد اهتدينا من بحثنـا الى أربع فتيات كنت أنت أجدرهن فى رأينا ٠٠ أرجو منك ألا تقاطعينى ٠٠

ورفع سبابته يحذرها الكلام حين همت به ، واستطرد قائلا :

ـ وقد قمنا بتحريات مستفيضة عنك ، ولست أدرى كيف وصل النبأ الى آل بريجرلند فراحوا يتعقبوننا ويراقبوننا مراقبة دقيقة طيلة الاسبوع الماضى كله٠والذى عرفناه عنك يقينا أنك غير مخطوبة ، وأنك رازحة تحت عبء دين كبير ، كما علمنا أنه ليس لك أقارب ولا أصدقاء تركنين اليهم ٠ وصدقينى ٠٠ انى لأشعر بمهانة لاضطرارى الى القيام بدور الوسيط فى هذا العرض ، على أنى مطمئن الى أنك فى حاجة حقا الى ما ينتظرك من دخل سنوى مدى الحياة مقداره خمسة آلاف جنيه ، عدا عشرين ألفا تدفع اليك حالا ، فضلا عن الأمر الواقع المؤكد وهو أنك لن تشعرى بشىء من متاعب الزوجية إبتداء من اللحظة التى يتم فيها عقد زواجك حتى يقدر لزوجك أن يفرج عنه !

وكانت ليديا تصغى اليه وكأنها في حلم،وخيل اليها أنها لن تلبث قليلا حتى تستيقظ فتجد مسز مورجان ربة بيتها واقفة وفى يدها فنجان الشاى وصحن عليه قطع من البسكويت العسير الهضم الذى اعتادت تنـاوله ٠ وجعلت تقول لنفسها : «ان مثل هذه الاشياء لا يمكن أن يقع الا فى الحلم ! »٠ وراحت تنعم النظر فى الرجل الواقف أمامها وظهره الى الموقد ، وتنصت اليه وهو يشرح لها الأمر فى منطق جلى وصوت لا شك فى حيويته ٠٠لئن كان ما يعرضه عليها لا مثيل له الا فى القصص ، فالواقع أنهـا لم تشهد فيما شهدته من القصص عرضا مقنعا كهذا العرض !

وبعد فترة من الصمت والحيرة قالت لجلوفر :

ـ لقد كدت يا سيدى تقطع أنفاسي بما ألقيت على سمعي ، ولا ريب في أني لا أستطيع أن أقطع برأى في هذه المسألة قبل أن أفكر فيها طويلا ، واذا كان المستر ميريديث لا يزال في السجن ...

فقطع جلوفر كلامها وقال وهو ما زال محتفظا بهدوئه العجيب :

ـ ان المستر ميريديث ليس في السجن الآن ، فقد سمح له منذ يومين بالانتقال الى مستشفى خاص لاجراء جراحة بسيطة ، وقد استطاع أن يغادر ذلك المستشفى ليلة أمس ، وهو الآن موجود هنا .. في هذه الدار

ولم تستطع ليديا الا أن تحملق فيه وهي فاغرة فاها من الدهشة ، بينما استطرد هو فقال :

ـ ولا شك في أن آل بريجرلند قد علموا بهربه ، ومن المحتمل جدا أنهم علموا بوجوده هنا ، فقد حضر رجال البوليس بعد ظهر اليوم وقلبوا الدار ظهرا لبطن بحثا عنه ، فهم يعلمون طبعا أن مستر رينيت وأنا كنا مستشاريه القانونيين ، على أننا كنا نتوقع حضورهم ، وليس من المهم أن تعرفي كيف تعذر عليهم العثور عليه . بل المهم الآن أن تدلى برأيك يا آنسة بيل فيما عرضته عليك

فهزت الفتاة رأسها في حركة يائسة وقالت :

ـ لست أدرى ماذا أقول !. انى لأحسبني حالمة ، ولو كنت أملك الشجاعة الكافية والقدرة لصلمت أذني حتى أفيق ، ولا أدرى لماذا لا أريد أن أعود الى اليقظة ، فما أروعه من حلم لذيذ مستحيل !

فابتسم جلوفر ولم يقل شيئا ، ثم أردفت هي قائلة :

ـ هل أستطيع أن أرى مستر ميريديث ؟

فقال لها : « غدا ترينه ! وقد أعددنا كل شيء من معدات القران ، وصدرت الرخصة فعلا باجراء العقد في الساعة الثامنة من صباح الغد ، ففي هذه البلاد يكون الزواج باطلا شرعا اذا عقد قبل الثامنة صباحا أو بعد الثالثة مساء ، ولهذه المناسبة أخبرك بأن كاهنا من رجال الكنيسة سيحضر خصيصا لاتمام المراسم !

وأعقب ذلك صمت طويل ،جلست ليديا طيلته على حافة كرسيها مسندة ذراعيها الى ركبتيها ، وواضعة وجهها بين راحتيها !

وجعل جلوفر ينظر اليها وقد غاب في تفكير عميق

كان يشعر بعطف شديد عليها ورثاء بالغ لحالتها ، وكان مع هذا يلعن نفسه لأنه هو الذى رسم خطة هذا التدبير الخطير .. وأخيرا رفعت رأسها وقالت له :

ـ أحسبنى أستطيع أن أوافق على ما عرضته على ، ولا أرى بأسا من أن أذكر لك أنك أخطأت فى عدد الاحـــكام التى صدرت ضـــدى ، فقد كان مجموعها فى سنتين خمسة وسبعين حكما ٠٠٠ والمحامون هم أصل هــذا التعب الذى أعانيه !

فحنى جلوفر رأسه فى أدب ، وقال لها : «أشكرك» ٠ ولم يزد على ذلك !



عرس ومأتم !

قضت ليديا ليلتها ساهدة مفكرة فى غرفة النوم الصغيرة التى قادتها اليها السيدة رينيت . وقد حاولت جاهدة أن تنام فلما يئست من نجاح محاولاتها جعلت تذرع الغرفة من نافذتها الى بابها آنا بعد آن لكنها لم تجد وسيلة الى جلاء الموقف الغريب الذى وجدت نفسها فيه . فهى وان لم يكن الزواج قد خطر ببالها ولا هى ترجوه ، فان زواجا كالذى عرضه عليها جلوفر ما كان ليثير قلقا فى نفسها ولا جزعا لو لم تكن المقدمات التى أدت اليه هى ماشهدته تلك الليلة من مفاجآت ستظل ماثلة أمامها ، برغم الفائدة الكبرى التى ستغنمها من الزواج برجل لن يضايقها فى شىء طيلة عشرين عاما عليه أن يقضيها وراء جدران السجون دون أن تشعر نحوه بأى ألم ، وان كادت تؤمن بما أكده لها صديقه جلوفر من أنه برىء !

وجعلت تفكر أيضا فيما سوف تقوله لمدبرة بيتها مسز مورجان ، وفيما ستعتذر به من تخلفها عن الجريدة ، ولكنها سرعان ما طرحت فكرة الاعتذار فى سبيل عمل لم تكن تشعر نحوه بأى ميل ، ولا سيما أنها لن تخسر شيئا بفقدان عملها بعد أن تضع يدها على ايراد قدره خمسة آلاف جنيه سنويا فتتاح لها الفرصة لاستئناف دراسة الفنون ، كما يكون من السهل عليها أن تعيش فى ايطاليا وتتلقى هناك أصول الفن العالية على أيدى أساتذته الكبار ، وفوق هذا وذاك ستكون لها سيارة خاصة ، وما لا نهاية له من الامتيازات ومتع الحياة !

وكانت تقلب كفيها عجزا عن الاجابة عن السؤال الذى تردد فى خاطرها أكثر من عشرين مرة فى تلك الليلة عن الخسارة التى يمكن أن تقع عليها بسبب هذا الزواج !

وفى السابعة من الصباح ، وكانت سحابة رمادية قاتمة قد حالت دون وصول أشعة الشمس الى الارض ، دخلت عليها السيدة رينيت حاملة صينية الشاى ، ولم تكد تلقى نظرة على السرير حتى قالت : « يبدو لى يا عزيزتى انك لم تنامى الليلة ، ولابد أنك أجهدت نفسك كثيرا ؟ »

ثم ربتت كتفها بحنان واستطردت قائلة : « ليس الامر هينا علينا أيضا ، فقد نتعرض لمتاعب كثيرة بسببه »

وسألتها الفتاة : « ألا تخشون أن تتهموا بالمساعدة فى تدبير فراره ؟ »

فاصطنعت السيدة رينيت الوقار ، وأجابت بقولها : « فرار ؟ ! .. اننا لم نسمع بشيء من ذلك قط ، وكل ما نعلمه أن صديقنا المسكين المستر ميريديث أخبرنا بأن وزارة الداخلية وافقت على زواجه ، وانه أعد العدة لعقد زواجه فى هذه الدار ، أما كيف يحضر المستر ميريديث الى هنا فهذا لم يصل اليه علمنا بعد ! »

وضحكت ليديا برغمها ، وانسلت السيدة الوقور من الغرفة ، وقضت الفتاة نصف الساعة التالية فى اصلاح هندامها بعد تلك السهرة المضنية ، وعندما دقت ساعة الكنيسة القريبة معلنة الثامنة سمعت نقرا للمرة الثانية على بابها ودخلت السيدة رينيت وقالت : « انهم منتظرون ! »

وكان وجه السيدة باهتا وشفتاها ترتعشان ، فمشت ليديا معها فى هدوء الى غرفة الاستقبال ، وكان فيها أربعة رجال : جلوفر ، ورينيت ، وثالث يرتدى عباءة وياقة عالية رجحت ليديا أنه القسيس الذى سيقوم بمراسم العقد ، وألقت كل انتباهها الى الرجل الرابع ، فوجدته نحيلا هزيلا ، نابت شعر اللحية،مجزوز شعر الراس،ويبدو أثر الارهاق على وجهه وهيئته،حتى لتلوح ثيابه معلقة عليه . وشعرت الفتاة باشمئزاز منه لأول وهلة ، لكنها ما لبثت قليلا حتى شعرت بالرثاء له والعطف عليه ، فقد كانت آثار المرض الشديد ظاهرة بوضوح فى وجهه ، وكان واقفا فى آخر الغرفة عندما دخلت ، فنظر اليها مليا ثم خف اليها فى خطى مسرعة ومد اليها يده قائلا :

ـ الآنسة بيل ، أليس كذلك ؟ .. على أسف منى ان ألقاك فى مثل هذه الظروف السيئة ، ولعل جلوفر شرح لك كل شيء ، أليس كذلك ؟ »

فأومأت براسها موافقة ، دون أن تتكلم ، وراقها ماتجلى فى عينيه الغائرتين من جاذبية ، واستطرد هو قائلا :

ـ أنت طبعا فاهمة لماذا يجب أن يتم هذا الزواج ، فقد نبأك جلوفر بالشروط التى ضمنها أبى وصيته ، وصدقينى انى سأحفظ لك ابدا جميل صنعك لتحقيق رغبتى وأمنيتى !

ثم مشى الى حيث كان القسيس واقفا وقال له : « فلنبدأ الآن ! »

وكانت الاجراءات والمراسم تلوح للفتاة كأنها فصل من مسرحية تشهدها ، حتى كادت تنكر نتائجها وما سوف يترتب عليها من حقوق وواجبات ، ولم تصدق أن الامر حقيقة لاشك فيها حتى بعد وضع الخاتم فى اصبعها ، وبعد أن ركعت بجانب جيمس ميريديث لتتلقى البركة وتستمع للتـــلاوة المقدسة

وبقيت حتى بعد أن نهضت من ركوعها وهى لا تصدق برغم ذلك كله أنها أصبحت زوجته ، ثم نظرت الى ميريديث مشدوهة وقالت له : « انى أشعر بدوار ! »

وخف اليها جلوفر فأسندها بذراعيه ، ثم حملها وأراحها على أريكة هناك ، فلما أفاقت من غشيتها كانت مشوشة الذهن ، وخيل اليهـــا أن

شخصا يحاول تنويمها مغناطيسيا ، فأجهدت نفسها حتى فتحت عينيها فاذا هما تقعان على وجه جيمس ميريديث المكتئب واذا هو يسألها فى لهفة :

« أأنت أحسن الآن ؟ .. لقد نبأونى بما قاسيته من لحظات رهيبة منذ خروجك من المسرح ، وأخبرتنى السيدة رينيت بأنك لم تنامى الليلة ! »

ونظر الى السيدة رينيت كأنه يستشهد بها ، فأومأت برأسها موافقة ، ثم استطرد قائلا لليديا :

ــ ستنامين الليلة على كل حال خيرا مما سأنام !

وكان المستر رينيت واقفا متجهما يمشط لحيته بأصابعه فى عصبية ظاهرة ، فقال له ميريديث :

ــ اسمح لى يا مستر رينيت أن أخبرك على مسمع من هؤلاء الشهود بأنى هربت من المستشفى الخاص الذى وافق وزير الداخلية على نقلى اليه لاجراء جراحة لى فيه ، ولم يكن صوابا ما قلته لك من أنى حضرت الى دارك هذا الصباح باذن من الوزير لعقد زواجى ! »

فأجاب رينيت قائلا له فى أدب جم :

انى لآسف يا مستر ميريديث أن أسمع منك ما سمعت الآن ، ولعلك توافقنى على أن الواجب يقضى على بأن أسلمك الى البوليس !

ولم يخف على ليديا أن هذا الحوار الذى سمعته ليس سوى جزء من الخطة المرسومة ، قصد به نفى تهمة المعاونة على الهرب عن المستر رينيت وزميله

وما كاد رينيت يفرغ من كلامه حتى سمع على الباب طرق عنيف متلاحق ، وسارع جلوفر ليرى من الطارق ، فلم يجده من رجال البوليس كما توقع ، ولكنه كان فتاة مرتدية معطفا من نوع الثلاثة أرباع (ترواكار) وقد رفعت ياقته العالية حتى كادت تغطى عينيها ، وتجاهلت جلوفر حين مرت به عابرة الى الصالة حيث دخلت منها الى حجرة الاستقبال

وكانت ليديا واقفة ترتعد بجانب السيدة رينيت ، فلم تكد ترى الزائرة بعد أن أسدلت ياقتها حتى أرسلت زفرة عميقة ، فقد عرفت أنها الفتاة الجميلة التى لفتت نظرها فى المسرح فى الليلة الماضية

ودوى صوت جلوفر مخترقا حجاب الصمت الرهيب الذى أسدلته المفاجأة ، وقال للزائرة الحسناء :

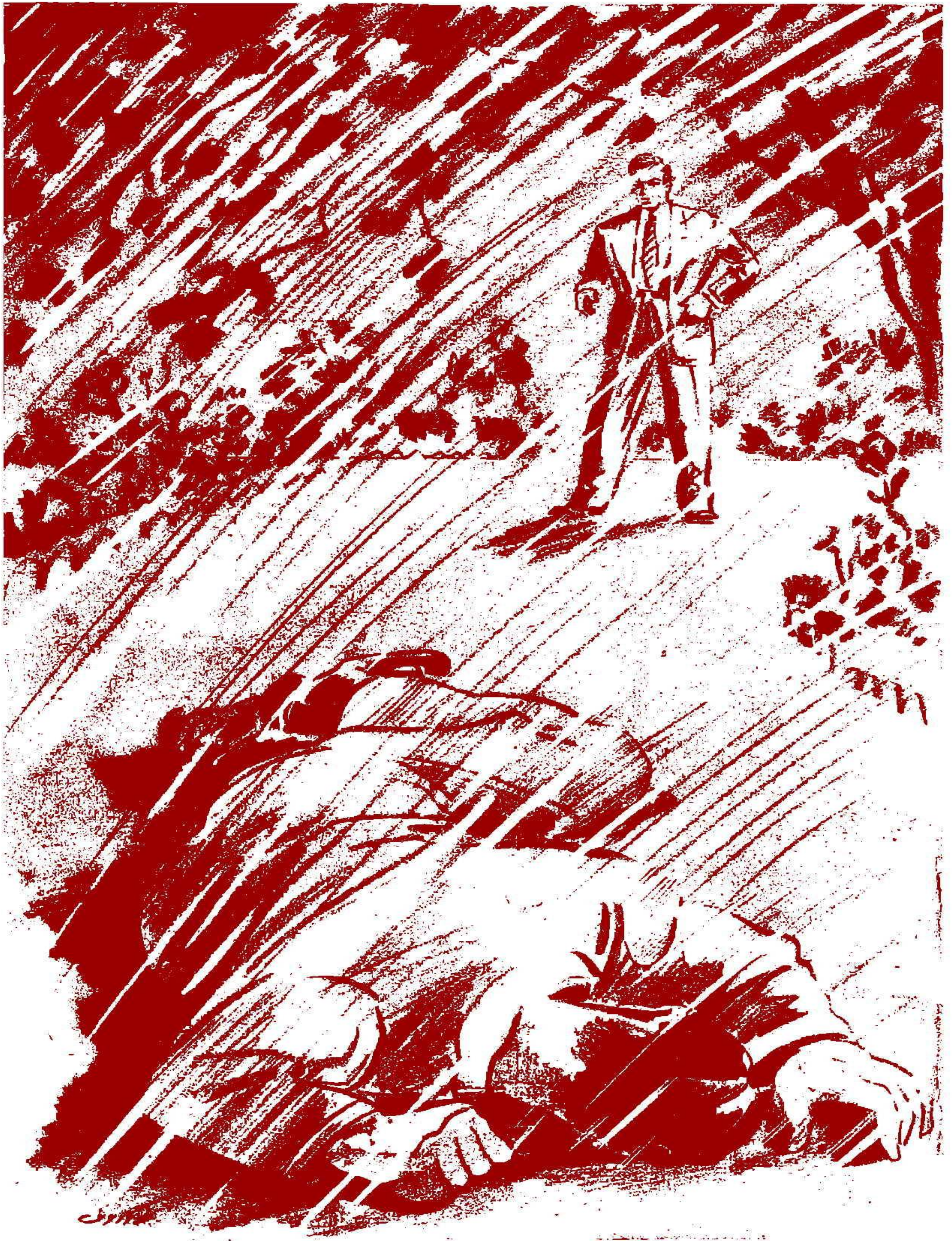
ــ والآن ماذا نستطيع أن نصنع لك ؟

فقالت فى ايجاز متعمد : « أريد ميريديث ! »

وجمجم جلوفر قائلا : « انك ما فتئت تريدين ميريديث منذ زمن طويل ، ولن ينقضى طلبك اياه ، ولكنك وصلت متأخرة قليلا

واستقرت عينا الفتاة على القسيس واستعادت هدوءها وقالت :

ــ متأخرة قليلا ؟ .. اذن .. قد تزوج الآن ؟



« كانت هناك جثة رجل ملقى على الأرض ورأسه غارق فى بركة من الدماء » ..

ثم عضت على شفتيها الحمراوين ، وهزت رأسها فى تؤدة ، ولم تفصح عيناها الزرقاوان وهى تتفرس بهما وجه ليديا عما يعتمل فى نفسها

وكان ميريديث قد اختفى من الحجرة ، وتلفتت ليديا باحثة عنه ، ولكنه كان قد ذهب ، وخيل اليها أنه خرج لتسليم نفسه الى البوليس ، وبينما كانت هذه الفكرة تداعب خاطرها سمع دوى طلقة نارية

وكان الصوت آتيا من الخارج،وانطلق جلوفر يعدو صوب مصدر الصوت، فدفع باب الردهة المؤدى الى الخارج وراح يعدو بأقصى سرعته . وكان المطر لا يزال يتساقط رذاذا وليس هناك من آثر لاى انسان . وما زال يواصل العدو فى الطريق المحاذية للدار حتى انعطف معها الى الغابة المجاورة فاخترقها الى حديقة باسقة الاشجار ، فى نهايتها بناء متهدم لم يكد يبلغه حتى وقف مرتاعا من هول المنظر الذى وقعت عليه هناك عيناه !

كانت هناك جثة رجل ملقى على الارض ، وقد مد احدى ذراعيه،وراسه غارق فى بركة من الدماء ، وفى قبضة يده الباهتة مسدس !

وانفرجت شفتا جلوفر عن صرخة فزع عالية ، وجرى الى حيث كان الرجل راقدا

لقد كان هو جيمس ميريديث ، وكان قد فارق الحياة !



وسمع جلوفر وقع أقدام مقبلة فى الطريق نحوه ، فالتفت واذا به يجد رجلا لم يشك فى أنه « بوليس سرى » اذ كان هذا ظاهرا عليه من فرعه الى قدمه ، فتحول عنه وعاد ينظر الى الجثة حتى وصل اليه رجل البوليس وابتدره سائلا فى حدة : « من هذا ؟ »

فأجاب جلوفر قائلا ببساطة : « انه المستر جيمس ميريديث ! »

وعاد رجل البوليس يسأل فى فزع : « هل تراه انتحر ؟ »

ولم يجب جلوفر ، وجعل ينظر مع رجل البوليس الى الجثة ، فوجد أن رصاصة قد اخترقت الصدغ الايسر وامتلأ الوجه بآثار البارود حول موضع الاصابة

وفحص رجل البوليس الجثة ثم عاد يقول لجلوفر :

ـ هذا حادث فظيع يا سيدى ، هل يمكنك أن تخبرنى : لماذا وكيف وجد هذا الرجل هنا ؟

فأجاب جلوفر متململا : « لقد جاء الى هنا ليتزوج ، وهذا هو الحق برغم ما قد يثيره فى نفسك من دهشة ، وقد تم عقد زواجه منذ أقل من عشر دقائق ، فتعال معى الى الدار لاشرح لك كيف جاء الى هنا ! »

فتردد رجل البوليس قليلا ، ووصل فى هذه اللحظة أحد زملائه ووقف

منه على جلية الامر . وعندئذ مشى ثلاثتهم عائدين الى الدار حيث استقبلهم المستر رينيت فى غرفة مكتبه ، والتفت جلوفر الى رجل البوليس ، وقال :

ـ اذا لم تكن ذاكرتى قد خانتنى فأنت المفتش كولهيد من رجال سكوتلند يارد

فأومأ الضابط موافقا وقال :

ـ هذا هو أسمى ، وبينى وبينك يا مستر جلوفر أرى أن الافضل ألا أسجل من أقوالك مالا تستطيع أن تقيم عليه الدليل القاطع

فنظر اليه جلوفر نظرة الشكر على هذا التحذير ، ومضى يقص عليه قصة زواج ميريديث ، ثم قال له اجابة عن سؤال :

ـ أقرر لك أن المستر ميريديث حضر الى هذه الدار حوالى الساعة الثامنة الا ربعا من هذا الصباح ، وقدم نفسه لزميلى ، وفى الثامنة تماما كما تعلم خاطب المستر رينيت سكوتلند يارد مبلغا عن وجوده ، وقد تم عقد زواجه فى الفترة التى قضاها هنا

فسأله الضابط متهكما :

ـ هل كان القسيس الذى عقد الزواج موجودا هنا مصادفة ؟

فأجاب جلوفر قائلا فى هدوء :

ـ الواقع أننى دعوته الى هنا من قبيل الاحتياط ، فقد كنت أتوقع حضور المستر ميريديث لعقد زواجه فى دار زميلى ، وأعرف الاسباب التى دعته الى الحرص على اتمام هذا الزواج ، وسيشرحها لك المستر رينيت صاحب الدار

فقال المفتش : « ألم تساعده فى الهرب من المستشفى لتنفيذ ذلك ؟ »

فهز جلوفر راسه نفيا وقال :

ـ أؤكد لك أنه لم يكن لى يد فى هذا الأمر ، ولا يزيد نصيبى فى هذا الحادث على نصيب وزير الداخلية الذى رخص للمستر ميريديث فى الانتقال الى مستشفى خاص لاجراء جراحة عاجلة له

وعندئذ نهض المفتش وعاد الى حيث كانت جثة القتيل ، تاركا جلوفر وشريكه وحدهما ، فسأل رينيت زميله بصوت مضطرب : « ماذا حدث ؟ »

وقال جلوفر وهو ما زال محتفظا بهدوئه : « لقد مات ! »

وعاد رينيت يسأله : « هل انتحر ؟ »

فأجاب متهكما : « نعم ، انتحر كما انتحر بولفورد من قبله ! »

وهنا سأله رينيت : « وأين الملاك ؟ »

فأجاب بقوله : « تركتها فى حجرة الاستقبال مع السيدة رينيت والآنسة بيل .. أقصد السيدة ميريديث ! »

فقال له رينيت : « لقد ازدادت الامور تعقيدا . ولئن كنت اظن أن فى

استطاعتنا تبرير مسلكنا وتبرئة أنفسنا من الشبهات ، فانى أرى أن المسألة سائرة من سيء الى أسوأ »

ثم انطلقا معا الى حجرة الاستقبال حيث وجدا النسوة الثلاث ما زلن هناك، وتقدمت ليديا شاحبة اللون سائلة : « ماذا حدث ؟ » . وحدثتها قسمات وجه جلوفر بما وقع فاستطردت تسأل فى لهفة : « هل مات ؟ »

فأطرق جلوفر ، ثم رفع رأسه وحدق فى الفتاة الاخرى التى ارتخت شفتاها قليلا ، وبدت فى نظرتها مسحة من الالم، وسألت فيما يشبه الهمس:

ــ هل أطلق على نفسه النار ؟

فنظر اليها جلوفر نظرة قاسية وأجاب فى تهكم :

ــ الشيء الوحيد الذى أستطيع أن أوقن منه هو انك لم تطلقى عليه النار يا آنسة بريجرلند !

فاحمرت وجنتا جان بريجرلند وقالت مختنقة :

ــ كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا القول ؟ !

ولم تفارق القسوة وجه (جلوفر) وهو يجيب عن سؤالها قائلا :

ــ لست أجرؤ على قول ما هو أكثر من ذلك ، فقد سألتنى هل انتحر ، فأجبت بأنه لم ينتحر بل أغتيل ، وقد وجد جيمس ميريديث وفى يمناه مسدس ، بينما اخترقت الرصاصة خده الايسر . فاذا استطعت أن تشرحى لى كيف يستطيع أى انسان أن يفعل ذلك وهو ممسك بالمسدس فى وضع طبيعى ، فأنى أسلم لك انه انتحر !

وخيم صمت عميق قطعه (جلوفر) أخيرا اذ استطرد قائلا :

ــ وسوى ذلك لم يكن المسكين جيمى يحمل مسدسا !

وخفضت جان بريجرلند بصرها، ووقفت هنيهة صامتة حانية الرأس زامة شفتيها . . ثم رفعت رأسها وتكلمت فى رفق قائلة :

ــ انى أقدر شعورك يا مستر جلوفر ، وأستطيع أن أفهم مما تعتقده فى وتنسبه الى من أمور فظيعة أنك لا بد تكرهنى كرها شديدا !

وارتعشت شفتاها وتهدج صوتها برنة الاسف وهى تلقى عبارتها الاخيرة، ثم أردفت قائلة :

ــ ولكنى أصارحك بأنى أحببت جيمس ميريديث ، وكان هو يحبنى !
فقهقه جاك ساخرا ، وقال :

ــ نعم . . نعم ! . . وقد بلغ من حبه اياك أنه تزوج سواك !

وصدمت عبارته ليديا ، وأحست منها الحرج فاندفعت قائلة :

ــ هل من الصواب يا مستر جلوفر أن يقال مثل هذا الكلام فى الوقت الذى يتمدد فيه المستر ميريديث المسكين جثة هامدة على الارض ؟!

فالتفت اليها جلوفر وقال وهو يصطنع هدوءا ممتزجا بالحزم برغم جمود عينيه :

ـ لقد ذكرت الآنسة بريجرلند انى أكرهها ، وهى لم تصب كبد الحقيقة بمثل ما أصابته بهذا القول . ولعلى يا مسز ميريديث أكرهها أكثر مما يعبر عنه هذا اللفظ ، ولو حدث يوما أن وقع نهازو الفرص تحت يدى . . .

وهنا قطعت جان بريجرلند كلامه وقالت له :

ـ هل يمكنك أن تفسر لى ماذا تعنى بحديثك عن نهازى الفرص ؟

فقال : « ستعلمين قريبا ماذا أعنى ! . . وان كان مبلغ الصدق فى هـــذا التساؤل لا يختلف عن مثله فى ادعاء الحب المتبادل بينك وبين جيمى المسكين . ولتعلمى أيتها الآنســة انى أبذل جهدا كبيرا فى التأدب فى خطابك ، والامتناع عن الخوض فى أمر وصولك متأخرة قليلا حتى لم يتهيـــأ لك الحيلولة دون الزواج . وسأبين لك السبب فى تأخيرك ، فقد اتفقت مع مطران كنيســة القديس بطرس على أن يحضر الى هنا فى التاسعة من هذا الصباح وأنا واثق من أنك وجواسيسك العديدين ستعلمون بنبأ ذلك الاتفاق ، ثم اتصلت بعد ذلك بصديق قديم لى من رجال كنيسة أوكسفورد واتفقت معه على أن يحضر الى هنا فى الساعة الثامنة صباحا ، ولكنه زاد على ذلك فحضر أمس وقضى الليل فى هذه الدار ! »

وبقيت الفتاة واقفة تستمع اليه ؛ دون أن يبدو عليها أثر من الغيظ الذى كانت ليديا تتوقع أن يتملكها ، وأخيرا قالت له فى صوت ناعم خافت :

ـ لم تكن لى رغبة فى الحيلولة دون زواج جيمس ، ما دام قد اختار أن يتزوج بالطريقة التى تزوج بها من فتاة لا تعرف من أمره شيئا !

ثم تحولت الى ليديا ووضعت يدها فى يدها واستطردت قائلة :

ـ انى لآسفة على أن انتهت اليك هذه المأساة يا مسز ميريديث ، وأرجو لك حظا أوفر مما كان من نصيبك حتى الآن !

ووقع هذا الكلام من نفس ليديا أحسن موقع ، وساءها ما بدا لهـــا من رعونة جلوفر واســــترساله فى ألفاظه الجارحة ، وشدت على اليد التى فى قبضتها بحرارة وانطلقت تقول لمحدثتها :

ـ وأنا كذلك آسفة من أجلك أكثر من . . . أى شىء آخر !

وأرخت جان بريجرلند بصرها ، ورعشت شفتاها للمرة الثانية ، ثم مشت خارجة من الغرفة دون أن تفوه بكلمة أخرى !



كان النهار قد انتصف حين هبطت ليديا من سيارة رينيت أمام مسكنها واستقبلتها مسز مورجان خادمتها البدينة بادية الاضطراب والقلق ، وكادت الدموع تطفر من عينيها وهى تقول لها :

ـ أين كنت يا آنسة ؟٠ لقد أزعجنى غيابك هذا أيما ازعاج ، ولاسيما أنهم فى الجريدة سألوا عنك غير مرة ، حتى لقد ظننا جميعا أن قد وقع لك حادث ، واستفسر أصحاب الجريدة عنك فى المستشفيات جميعها !

فأجابت ليديا قائلة فى ملل ظاهر :

ـ لقد وقع لى أكثر من حادث ، ومرت على أفكارى مئات العجلات، وأصيبت فى ذات نفسى بمئات الصدمات !

فغرت مسز مورجان فمها دهشـــة ، ولم تحر قولا تعليقا عـــلى تلك التشبيهات التى استعصت على فهمها ، وكأنما أرادت ليديا أن تهون عليها الأمر فتصنعت الابتسام واستطردت قائلة :

ـ هونى عليك يا مسز مورجان فانى لم أصب بسوء ولا كرثتنى كارثة تدعو الى الجزع والفزع ، وكل ما فى الأمر أنى قد مررت فى الســويعات التى انقضت منذ خرجت من هنا مساء أمس حتى الآن بمفاجآت ومغامرات لم تكن لى يد فيها ولهذه المناسبة أخبرك بأنى أصبحت أدعى (الســيدة ميريديث) ٠٠ !

فاشتدت الدهشة بالخادمة ، وتخاذلت ساقاها ، فارتمت على مقعد خلفها ورددت قائلة :

ـ صرت السيدة ميريديث ؟! ماذا تقولين يا آنسة بيل ؟٠ أم حسبت أنى لا أعرف أباك كما أعرفك ؟!

فقطعت ليديا كلامها قائلة :

ـ بكل اختصار، أخبرك بأنى تزوجت !٠ هل نسيت أنك ذكرت لى أمس أنى سأتزوج زواجا خياليا ، ألا فاعلمى يا مسز مورجان أنه مهما يشطح بك الخيـــال فلن يبلغ عشر معشــــار الحقائق التى أدت الى زواجى ، ولن أستطيع أن أروى لك الآن ما وقع لى بالتفصيل فانى متعبة وسأذهب توا الى سريرى لأستريح ، واذا سأل أحد عنى فاذكرى له أنى لست هنا ، على أنه يمكنك أن تقولى لمن يسأل عنى من الجريدة أنى عدت الى البيت فى وقت متأخر جـدا ، وأنى متعبة للغاية اليــــوم وسأذهب اليهم غدا لأشرح لهم أسباب غيابى الطويل !

وقالت مسز مورجان وهى ما زالت غارقة فى حيرتها :

ـ لكن ٠٠ بمن تزوجت يا سيدتى ٠٠ وأين هو ؟

فأجابتها الفتاة قائلة فى هدوء هو القسوة بعينها :

ـ زوجى مات !٠ واذا حضر شخص ، وقال لك انه محامى زوجى فاذكرى له أنى أريد أن يجيئنى فى صباح الغد بالعشرين ألف جنيه !

ولم تزد شيئا على عبارتها المثيرة هذه ، ثم مضت الى غرفتها لا تلوى على شىء ، تاركة خادمتها تكاد تجن من الدهشة والذهول !

مضت ساعات الصباح كلها ورجال البوليس عاكفون على تفتيش دار المستر رينيت والاراضي والحدائق المحيطة بها دون أن يطلبوا مساعدة منه أو من زميله جلوفر ٠ كما أن هذين لم يعرضا أن يقوما بأية مساعدة فى هذا الشأن

وقبل موعد الغداء بقليل أقبل المفتش كولهيد الى حجرة الاستقبال التى كان الشريكان جالسين فيها ، وقال لهما :

ـ لقد فحصنا المكان حول الدار فحصا دقيقا ، وأحسبنا نعرف الآن تماما أين كان القتيل مختفيا

فبدت الدهشة فى وجه مستر رينيت وتساءل : «ماذا تقول يا سيدى؟»

فقال المفتش : « يبدو أن تلك العشة القائمة فى حديقتك تستخدم مخزنا لأدوات الاصلاحات والترميمات ، ولم نعثر فيها على شىء من تلك الادوات، ولكننا وجدنا فى أرضها بابا مستديرا يمكن رفعه الى أعلى بالضغط على موضعين فى جانبيه ، فاذا أدير بعد ذلك مرات تكشف عن مخزن آخر تحته !٠٠ »

فأومأ مستر رينيت برأسه موافقا ، وقال :

ـ أعتقد أن الذين كانوا يشغلون الدار قبلنا كانوا يستعملون ذلك المخزن قبوا للخمور ، ولكنى لا أتناول الخمر ، ولذلك لم تكن بى حاجة لاستخدام ذلك المكان ، ولم أستخدمه مطلقا لذلك الغرض ولا لغيره

فاستطرد المفتش قائلا : « لا شك فى أن ميريديث كان مختفيا فى هذا القبو فقد وجدنا هناك بطانية ووسادة ، كما وجدنا أنبوبة للتهوية تدلت على فتحتها العليا أغصان الشجر ، وهذا يؤيد أن القبو كان معدا لحفظ الخمور ، وما كنا لنهتدى اليه لولا أن الارض تداعت تحت قدم أحد رجالنا!»

ولم يقل أحد من الرجلين ـ رينيت وجلوفر ـ شيئا ، واسترسل مفتش البوليس قائلا فى هدوء :

ـ وهناك شىء آخر يحملنى على ترجيح القول بأن ميريديث لم ينتحر ، فقد وجدنا آثار أقدام حديثة ممتدة الى خلف العشة

فسأله جلوفر بسرعة قائلا :

ـ آثار أقدام كبيرة أم صغيرة ؟

ـ بل كبيرة ، ويبدو أن كعب الحذاء من المطاط ، ويمتد طرف الأثر من الناحية الثانية الى باب خلفى لدارك يا مستر رينيت ، طال الأمد على غلقه ولم يفتح الا حديثا ، ولعل ميريديث هو الذى فتحه عند حضوره الى الدار ٠٠ انها فى الحق حادثة شديدة الغموض يا مستر رينيت

ـ وماذا كانت نتيجة فحصك المسدس ؟

ـ هذا أيضا ينطوى على لغز ليس من السهل حله ، فانه مسدس بلجيكى لا يحمل اسم المصنع الذى أخرجه ، ويمكن الحصول بسهولة على هذا النوع

من المسدسات من أى حانوت لبيع السلاح فى (أوستند) أو (بروكسل) والذى أعرفه أن تلك الحوانيت لا تحتفظ بسجلات لأرقام ما تبيعه من تلك المسدسات ولا لأسماءالذين يشترونها

وهنا قال جلوفر فى هدوء :

ـ الواقع أن هذا المسدس من النوع نفسه الذى أطلقت منه الرصاصة التى قتلت بولفورد !

فارتفع حاجبا كولهيد ، واتسعت حدقتا عينيه ، وقال :

ـ أهو كذلك ؟!.. ولكن ألم يثبت وقتئذ أن ذلك المسدس كان لميريديث نفسه ؟

فهز جلوفر رأسه نفيا فى تؤدة ، وقال :

ـ الشيء الوحيد الذى ثبت فى تلك القضية أنميريديث رأى الجثةوالتقط المسدس الذى كان ملقى قريبا منها ، وأن الرصاصة أطلقت فى الوقتالذى فتح فيه باب بيت مستر ميريديث ليخرج منه،وقد خرجت فى أثره الآنسة بريجرلند التى شهدت ضده ذاكرة أنها رأته يتناول المسدس قرب الجثة الملقاة على الرصيف

فهز رجل البوليس رأسه ، وقال :

ـ لم يكن لى شأن بتلك القضية ، ولكنى أذكر أنى رأيت المسدس ، وهو يشبه هذا حقا ، وسأعرض الأمر على الرئيس لعل له رأيا فى هذا التشابه

وبعد ذهاب المفتش كولهيد قال جلوفر لزميله الأكبر :

ـ أخشى يا رينيت أن يزج بنا فى مشاكل قد لا نجد مخرجا منها،وأخشى أكثر من هـذا أن نضطر الى سلوك طريق اللف والدوران والاعمال غير المشروعة لكى نأمن على أنفسنا ونخلص أنجياء من المتاعب !

فأجاب رينيت متأنيا :

ـ لن تكون بنا حاجة الى القيام بأعمال غير مشروعة ذات خطر على أى حال ، ولكن قل لى يا جاك ، أين كان بريجرلند ليلة اغتيال بولفورد ؟

ففكر جلوفر هنيهة ، ثم قال :

ـ ان جان بريجرلند ما كادت تسترد رباطة جأشها بعد أن شهدت جثة بولفورد ملقاة فى الطريق وميريديث واقفا الى جوارها وفى يده المسدس الذى التقطه من هناك ، حتى كرت راجعة الى دار أبيها ، وكان ما زال نائما فى سريره ـ برغم أن الوقت كان قرب المساء ـ فأيقظته ونبأته بما حدث وعندما حضر مفتش البوليس الذى أشرف على التحقيق فى الحادثة ـ وهو لم يحضر طبعا الا بعد مضى فترة علىاكتشاف الحادث ـكان مستر بريجرلند قد ارتدى معطفا بيتيا فاخرا (روب دى شامبر) فوق بيجامة لا تقل عنه روعة

وقال رينيت وهو سابح فى تفكير عميق :

ـ أحسب أنه كانت تبدو عليه علائم الذعر أيضا !

ولم يعقب جلوفر بشيء على ملاحظة زميله، بل استغرق فى صمت عميق، ثم قطعه أخيرا فقال :

ـ أتعلم أننى أصبحت الآن أكثر خوفا على هذه الفتاة من اهتمامى بالظروف المحيطة بنا ؟!

فسأله المستر رينيت : « عن أية فتاة تتكلم ؟ »

فقال : «عن أرملة ميريديث بلا ريب ، ولو أن ميريديث المسكين بقى على قيد الحياة ما كان ثمة خطر عليها ٠ ولعلك ترى معى أن ما كنا نحسبه خيرا لها من أنها لا أهل أو أقارب لها قد بات الآن من أعظم أسباب الخطر عليها٠٠ مسكينة تلك السيدة البائسة ! »

وبدا رينيت ساهما مرة أخرى ، ثم التفت الى صاحبه قائلا :

ـ لقد نسيت هذا الأمر ، وقد يزيد الموقف خطرا تلك الوصية التى وقع عليها ميريديث فى هذا الصباح قبل عقد قرانه

فصفر جلوفر صفير الدهشة وسأل :

ـ أهو قد ترك وصية ؟

فقال رينيت : « أنت تذكر أنه مكث معى نصف ساعة قبل الثامنة من هذا الصباح ٠٠ وأذكر لك الآن أنه أصر فى تلك الفترة على كتابة وصيته، وشهدت عليها زوجتى ومعها (بولتن) كبير خدمى »

فسأله جلوفر : « ولمن أوصى بماله ؟ »

فقال : « أوصى بماله كله لزوجته٠٠ ان المسكين كاد يجن غبطة وابتهاجا حين استطاع بذلك أن يحول دون وصول شيء من ماله الى خزانة بريجرلند!٠

والواقع أنه لم يتردد لحظة واحدة فى وضع ماله بين يدى فتاة لا يعرفها تحقيقا لتلك الغاية ! »

وبدت علائم الارتياع فى وجه جلوفر وهو يقول :

ـ اذن أصبح آل بريجرلند هم الوارثين للفتاة ٠ وعلى هذا يا رينيت ستكون هناك حرب شعواء لا هوادة فيها

فهز رينيت رأسه موافقا ، ثم قال مصطنعا الهدوء :

ـ هذا هو رأيى أنا أيضا !

فاستلقى جلوفر فى مقعده ، ووضع رأسه بين يديه حيث غاب فى تفكير عميق ، ثم رفع وجهه فاذا آثار الغيظ الشديد بادية بوضوح فى محياه حتى لقد ريع لمنظره زميله الكبير ، والتزم الصمت بعد أن هم بالكلام،

وعلى حين فجأة صفا وجه جلوفر وحل الابتسام فيه محل الغضب ثم قال :

ـ جاجز !

فردد زميله هذا الاسم مشدوها ، ولم يزد على ذلك ، بينما واصل جلوفر كلامه فقال :

ـ نعم ، جاجز ، ولا أحد سواه، فهو رجل الموقف ، ولزام علينا يا رينيت أن نقابل الحيلة بالحيلة والدهاء بمثله ، ان جاجز وحـده هو الذى يستطيع القيام بهذه المهمة

وبقى رينيت هنيهة وهو ينظر الى زميله حائرا ، ثم قال متهكما :

ـ وهل يستطيع جاجز أن يخلصنا من متاعبنا أيضا ؟

وأجاب جاك : « حتى هذا أيضا قد لا يعز عليه ! »

فقال رينيت :

ـ اذن هلم استقدمه ولا تتردد ٠٠ انى أرى هذه فرصته فى الحياة



من القاتل !

وصلت الآنسة جان بريجرلند الى منزلها فى شارع بيركلى بعد التاسعة صباحا بدقائق معدودات ، ولم تقرع الجرس بل فتحت الباب بالمفتاح الذى تحمله وسارت الى غرفة المائدة رأسا حيث كان أبوها جالسا يتناول فطوره وهو ممسك بيسراه احدى صحف الصباح

كان هو نفسه الرجل الأسمر الذى رأته ليديا فى المسرح ، وحين شعر بدخول ابنتـــه رفع بصره الى أعلى من فوق حافة نظارته الذهبيـة وقال : « أراك قد خرجت اليوم مبكرة جدا ؟! »

فلم تجب ، ومضت تخلع عنها معطف الفراء فى تؤدة ، ثم ألقت به عـلى أحد المقاعد ، ونزعت كذلك قبعتها التى كانت تبدو فوق رأسها كالهالة حول البدر المنير وألقتها فوق المعطف • ثم سحبت كرســيا الى المائدة وجلست عليه وأسندت ذقنها الى راحتيها واستقرت عيناها الزرقاوان على أبيها

وكانت الطبيعة قد حبت وجه جان بجمال لا حاجة به الى أى تجميـــل صناعى ، فقد كانت بشرتها بالغة الصفاء والرقة ، وزادتها برودة الصباح فتنة وروعة بما صبغت به وجنتيها الجميلتين من لون قرمزى خفيف !

وتطلع اليها مستر بريجرلند من خلال عويناته وقال :

ـ يبدو يا عزيزتى أن ميريديث المسكين قد آثر الانتحار ؟

فلم تتكلم •• وظلت تنظر اليه لا تطرف ولا تتحول

وهز مستر بريجرلند رأسه وقال : « حادث محزن جدا ! »

وهنا سألته هى فى هدوء : « ماذا حدث بالضبط ؟ »

فقال : « يخيـــل الى أنه حين رآك هرع عائدا الى مخبئه فى المكان الذى استطاع بعض من يهمهم الأمر أن يعرفوا موقعه أثناء الليل • ولكنه ما أن رآنى حتى ارتكب فعلته الحمقاء التى قضت عليـــه • وكان قد خطر لى أنه يرجح أن يعود الى مخبئه عندما تفاجئينه »

فقالت الفتاة : « كنت أنت مستعدا له بالطبع ؟ »

فابتسم وقال : « حادث انتحار لا شك فيه يا عزيزتى ! »

فقالت : « لقد وجدت الرصاصة مخترقة صدغه الأيسر ، بينما وجـــد المسدس فى قبضة يده اليمنى ! »

ففزع مستر بريجرلند وهتف : « يا للشيطان ! ومن لاحظ هذا ؟ »
قالت : « لاحظه ذلك المحامى الشاب الوسيم الطلعة ، جلوفر ! »
ــ وهل تنبه رجال البوليس الى هذه الملاحظة ؟
ــ أحسبهم قد فعلوا حين لفت جلوفر أنظارهم اليها

فخلع بريجرلند عويناته وطفق يمسحها وهو يقول :
ــ كان الموقف يدفع الى العمل بسرعة فائقة ، فقد كان لزاما على أن أعجل بالخروج من باب الحديقة لكى أنضم الى رجال البوليس فى حملتهم التفتيشية. وقد وجدتهم هناك متجهين الى المنزل أو الى مصدر صوت الطلقة . ولم يعرف أحد منهم أنى كنت فى الحديقة . وبدهى أن وجودى مع رجال البوليس أثناء بحثهم عن مسجون هارب لا يلفت الانظار ولا يمكن أن تعنى الصحف بالاشارة اليه

فقالت الفتاة : « ولكن الأمر على النقيض من ذلك اذا كان الحادث انتحارا .. وان كان يبدو لى أن رجال البوليس لا يمكن أن يبوحوا باسم الشخص الذى أبلغهم عن المكان الذى يمكنهم أن يجدوا فيه ذلك السجين الهارب »

فاستلقى مستر بريجرلند فى مقعده ، وزم شفتيه الغليظتين مما زاد منظره قبحا على قبح ، ثم غمغم قائلا : « ان الانسان لا يستطيع أن يذكر كل شىء ! »

ونهض من كرسيه واتجه نحو الباب فأغلقه بالمفتاح ، ثم عاد فاتجه الى مكتب فى الغرفة ففتح أحد أدراجه وتناول منه مسدسا صغيرا أخذ يفحصه بدقة ليتأكد خلوه من الرصاص . ثم بالغ فى التحقق من ذلك فصوب المسدس الى حائط وضغط زناده مرات . ثم ذهب فوقف قبالة مرآة وحاول والمسدس فى يده اليمنى أن يضع فوهته على خده الأيسر فوجد أن ذلك مستحيل . وظهر ضيقه بهذه النتيجة فى صورة أنة انفجر بها فمه ولم تتحرك بها شفتاه . بيد أنه عاد لاجراء التجربة وابهامه على الزناد جاعلا مؤخر المسدس فى راحته اليمنى ، وحالفه النجاح فى هذه المحاولة ، فانفرجت أساريره وقال :

ــ هل ترين ؟ .. هكذا يمكن اطلاق النار باليد اليمنى على الصدغ الأيسر !

وكانت الفتاة تنظر الى أبيها وهو يقوم بتلك التجارب المخيفة من دون أن يبدو عليها أى أثر للفزع أو الجزع ، بل كانت تتابع حركاته باهتمام شديد وذقنها لا يفارق راحتيها كما أسندته اليهما منذ جلست بجانبه الى المائدة . ولو صح أن أثرا ما قد ظهر عليها أثناء تلك الحركات لما كان أكبر من الأثر الذى يبدو فى وجه لاعب التنس حين تعرض عليه حركة جديدة على ضوء الشرح الذى يفسرها به مبتكرها

وعاد مستر بريجرلند الى مكانه من المائدة وتناول قطعة من الخبز المحمر وجعل يتلهى بدهنها بالمربى ، ثم استطرد خلال ذلك يقول :

ـ كل الناس يعدون العدة للسفر الى (كان) فى هـذه السنة ، ولكنى أفضل أن أقضى الموسم فى (مونت كارلو) ٠٠ فهناك يجد المرء الهدوء والراحة التامة ، وبخاصة اذا استطاع أن يحصل على (فيللا) على أحد المرتفعات البعيدة من السكة الحديدية ٠ وقد كلفت (ماردن) أمس أن يشحن السيارة الجديدة عبر القناة ، ثم يقابلنا بها فى (بولون) ٠ وقد أخبرنى موردن أن هيكل السيارة الجديدة بديع جدا ، وأنها مزودة بجهاز للاتصال بالسائق اتصالا تليفونيا ، وفيها أيضا جهاز كهربائى فاخر للتدفئة ، و ٠٠٠

فقاطعته قائلة :

ـ لقد تزوج ميريديث !

ولو أنها ألقت قنبلة فى القاعة التى كانا جالسين فيها لما أحدثت ذعرا أشد مما أثارته هذه الكلمات الثلاث فى نفس أبيها !٠٠

لقد فغر فاه ، واندفع بكرسيه الى الوراء بعيدا من المائدة فى حركة غير ارادية ٠ وقال فيما يشبه الصراخ :

ـ تزوج ؟!

ولما أومأت برأسها ايجابا ، صرخ مرة أخرى ، لكن صرخته هـذه كانت أشبه بالزئير ، ثم قال لها :

ـ ماذا تقولين ؟٠٠ أجننت ؟٠٠ هذا كذب لا شك فيه !

وفارقه كل أثر للمرح والتظرف ، وقطب حاجبيه وبدا الغيظ واضحا فى وجهه الذى اشتد سواده ، ثم استطرد قائلا :

ـ كيف تزوج أيتها الثعلبة الصغيرة الماكرة ؟! أتقولين هذا لى أنا الذى أعلم أنه لا يمكن أن يتزوج ؟!٠٠ وكيف يمكن أن يتم زواجه فى حين أن الساعة لم تكن قد جاوزت الثامنة الا بدقائق معدودات ، والقس لم يحضر الا فى الساعة التاسعة ؟!٠٠ ألا دعى عنك مثل هذه المداعبات القاسية ، وثقى بأنى قد أكسر رقبتك فى ثورة غضب !٠٠ لقد حذرتك من قبل مثل هذا التصرف الأحمق البغيض !

وبقيت الفتاة تستمع اليه وهو يهذى فى ثورة غضبه دون أن تبدى حراكا !٠ وأخيرا قالت فى هدوء تام :

ـ لقد تزوج فى الثامنة صباحا على يدى قسيس جاءوا به من أوكسفورد وقضى الليل فى دارهم ، واذن هون عليك ولا تطلق لغضبك العنان فيذهب عقلك ٠ لقد رأيت العروس بعينى هاتين عقب عقد قرانهما ، وتحدثت الى القس !

وسرعان ما استحال الأب الغاضب الذى كان يرغى ويزبد ، الى رجل مسكين ينشج ويدعو منظره الى الرثاء ، وجعل ذقنه يرتجف ، واشتعلت

الحمى في يديه الغليظتين الراعشتين فوضعهما على المائدة وألقى ذقنه عليهما، ثم قال مولولا :

ـ ماذا نعمل الآن ؟٠ خبريني بالله يا جان ماذا نحن صانعون ؟

فنهضت وسارت الى « البوفيه » وتناولت زجاجة وكأسا وصبت لنفسها جرعة « وافية » من البراندى ٠٠ ثم عادت بالزجاجة والكأس الى مكانها دون أن تنفرج شفتاها بكلمة !

وكانت قد اعتادت هذه المناظر الشرسة التى تنتهى حتما الى ما يشبه خاتمة « بالونات » الاطفال ، فلا عجب اذا هى لم تشعر بجرح فى كرامتها ، ولا بدهشة أو امتعاض !

وكانت الفتاة الحسناء الهادئة هي الشريك الآمر الناهى في هذه الشركة الثنائية العتيدة ، فهى لم تكن لديها أعصاب تستثار ، والخوف لم تكن تعرفه ٠ وكانت الى ذلك قد اكتسبت خبرة الجراح العظيم اذ يلقى جانبا كل شعور بالشفقة أو الرثاء اذا تناول في يديه مبضعه وهو مشمر عن ذراعيه في حجرة الجراحة ٠ وكل ما هنالك من فرق بينها وبين الجراح الخطير انها لا تخضع للقواعد أو القوانين التى يتقيد بها الطبيب الجراح ازاء المجتمع !

ان اليد التى تقطع لتشفى ليست أكثر ثباتا ولا مهارة من اليد التى تقطع لتذبح ، ولا شك فى أن جان كانت قد أخذت نفسها وراضتها على التخلص من الأثر العصبى ، وعلى أن تعمل بما يمليه عليه عقلها لا حسها

وازدرد مستر بريجرلند جرعة « البراندى » التى جاءته بها جان بينما أخذت هى تقول له :

ـ لا مفر لك من اطراح فكرة الرحلة الى (مونت كارلو) جانبا

فتمتم قائلا : « لقد فقدنا كل شيء الآن ٠٠ نعم فقدنا كل شيء ! »

فقالت له فى تؤدة :

ـ ان الفتاة التى تزوجها ميريديث ليس لها أقارب ، فنحن ورثتها الشرعيون

فوضع مستر بريجرلند الكأس على المائدة ، وبرق بصره فرحا وهو يرفعه الى وجه ابنته ، وسرعان ما عاوده المرح الذى كان باديا عليه فى أول تلك الجلسة ، ثم قال :

ـ أنت عجيبة حقا يا عزيزتى ، وانى لأرانى طفلا بجانبك ما فى ذلك شك ، فأخبرينى الآن ٠٠ ماذا تقترحين ؟

فقالت فى صوت هادىء خفيض :

ـ افتح الباب فانى أريد أن أدعو الخادم

وحين مشى الى الباب ضغطت هى بقدمها زرا مثبتا فى الارض فلبت النداء خادم ذاوية ، فقالت لها جان :

ـ اسمعي يا هارت ٠٠ أريد أن تأخذي خاتمي الزمردي الصغير ، والعقد اللؤلؤي الصغير أيضا ، ومشبك الملفحة الماسي ، وتضعيها كلها بعناية في صندوق مبطن بالقطن

وانحنت الخادم قائلة : « أمرك يا سيدتي » ٠ ثم غادرت الغرفة ٠ فسأل المستر بريجرلند ابنته :

ـ ماذا تعتزمين أن تصنعي يا جان ؟

فأجابت ببرود : « سأعيد هذه الحلي الى مسز ميريديث ، لقد كانت هدايا قدمها لي زوجها ، وقد بلغ من أثر الخاتمة التعسة لأماني وأحلامي أني أصبحت لا أطيق رؤية تلك الهدايا !

فرفع الرجل حاجبيه تعجبا وقال :

ـ انه لم يقدم لك شيئا من ذلك قط ، بل أعطاك السلسلة فقط ٠ ولا أرى الا انك تلقين بهذه الاشياء الثمينة في الهواء !

فأجابته قائلة في أناة :

ـ اني أعرف أنه لم يقدم لي تلك الاشياء ، كما أني لا ألقي المال جزافا ، فان مسز ميريديث ستعيدها الي ، وستتاح لي بذلك فرصة لأحدثها قليلا عن جيمس ميريديث وألقي بعض الضوء على صورته في ذهنها ٠ وهذه هي الفرصة التي أسعى لانتهازها !

وبعد قليل صعدت جان الى حجرة مكتبها الصغيرة الأنيقة في الطابق الثاني ، وكتبت الخطاب التالي :

« عزيزتي مسز ميريديث

« أرسل اليك مع هذا بعض الحلي التي كان جيمس قد أعطانيها في أيام سعيدة ، وهي كل ما لدي منه من ذكريات ، وأحسبك ـ كامرأة ـ تقدرين ما أصبحت هذه القطع تثيره في نفسي من آلام ، برغم المناسبات الطيبة التي أهديت لي فيها ٠ وحبذا لو أمكنني التخلص من الذكريات بمثل السهولة التي أرسل اليك بها هذه الاشياء التي أشعر بأنها من حقك وحدك ٠ ولكن م أرجوه بعد ذلك أن أتمكن من استعادة فصول الحادث الذي جعل من المستر جلوفر عدوا لدودا لي ، عساني أستطيع أن أمحو تلك العداوة !

« واني اذ أستعرض الماضي أجدني خاطئة ، ولكني أعلم أنك عندما تتكشف لك الحقيقة ستعطفين علي ، فقد كنت اذ ذاك فتاة صغيرة غريرة لم تفطن بعد الى أساليب الرجال ، ومن هنا ساءني ما بدا لي من اهتمام المستر جلوفر بأمري ، وزجرته بشدة ٠ وكنت ـ في تلك الايام ـ أحسب أنه ما كان ينبغي لرجل يزعم أنه أوفى صديق لجيمس أن يغازل خطيبته ، فلم تكن الأمور تجري اذ ذاك كما تجري الآن ، حيث لا تجد الفتاة العصرية غضاضة في أن يقع لها مثل الذي رفضته أنا في أيامي ٠ والرجل كما تعلمين لا يغفر لامرأة صدها اياه بعنف ، وهي في الحق أكبر غلطة ترتكبها فتاة غريرة ،

ولذلك أصارحك بأني لا أمتعض من عداوته لى بالقدر الذى قد تظنينه وصدقيني٠٠ان شعورى نحوك فيهذه الايام العصيبة هو الشعور بالعطف الخالص ، واني لأكرر الدعاء لك بأن تتمتعى فى مقبل الايام بسعادة رخية وهناء متصل »

ثم جففت الحبر الذى كتبت به الخطاب ، ووضعته فى غلاف كتبت عليه عنوان ليديا ، ثم تناولت كتابا من فوق الرف الحافل المنظم وسحبت مقعدا بالقرب من الموقد وراحت تسلى نفسها بالقراءة ، وما لبثت قليلا حتى استغرقت فى القراءة

وبعد نحو ساعة دخل عليها مستر بريجرلند فأطل برأسه من فوق كتفها حتى اذا رأى عنوان الكتاب أفلت منه صوت امتعاض وقال :

ــ لست أفهم معنى لحبك هذا النوع من الكتب !

وكان هذا الكتاب أحد مجلدين من « تاريخ الجرائم » ٠ فرفعت وجهها وقد وضعت عليه ابتسامتها الملائكية وقالت :

ــ ألا تفهم ؟ ان السبب غاية فى الوضوح ، فان هـذا أعظم كتاب فى مكتبتى اثارة للسبيل ٠ اجلس دقيقة واحدة

فجلس وهو يغمغم قائلا : «ليس هذا بأكثر من سجل للمجرمين الاغبياء، وأقوالهم المتداعية وهم فى الطريق الى الموت أو الى السجون الأبدية ! »

فابتسمت مرة أخرى وهى تلقى بنظرها الى الصفحة المنشورة أمامها من الكتاب وقد ملأت هامشها الفسيح بملاحظاتها التى دونتها بالقلم الرصاص وقالت له :

ــ ان الحقائق التى يسردها هذا الكتاب تصلح لأن تكون تمرينات عقلية من الطراز الاول ، وتأشيراتى بجانب كل قضية توضح كيف كان المجرم يستطيع الافلات من الوقوع فى قبضة البوليس ، ولكن أولئك المجرمين جميعا كانوا أغبياء على حد تعبيرك ، ولذلك لا أرى لرجال البوليس فضلا فى امساكهم ، ويكاد يكون هذا هو حال مجرمى العصر الحديث أيضا !

ونهضت من مقعدها فتناولت مجلدين ضخمين من قصاصات الصحف وعادت الى مكانها بجانب الموقد ووضعتهما على ركبتيها وجعلت تقلب أوراقهما فى سرعة وهى تقول :

ــ غباوة وقصر نظر !٠ هذا هو العنوان الذى يجب أن يوضع فى رأس كل حادث من هذه الحوادث !

فقطع بريجرلند كلامها ، وقال فى اكتئاب ظاهر :

ــ ان الاذكياء أيضا يقعون أحيانا فى مثل هذه الاخطاء !

فأطبقت الكتاب بعصبية وقالت :

ــ هذا مستحيل !٠ هناك فى انجلترا وفى فرنسا وفى أمريكا وفى كل بلد متمدين مجرمون يمشون فى وضح النهار ، ويعاملهم مواطنوهم بكل

احترام ، وانك لتعلم أيضا أن هناك كثيرين من القتلة والمغتـــالين لا يكاد رجال البـــوليس يعرفون من أمرهم شيئا ، أما من عداهم ٠٠ (وفتحت الكتاب مرة ثانية) مثل : (ريل) الذى اشترى علنا السم الذى وضـــعه لدائنه ، وكان الجميع يعرفون أنه مدين له ، فكيف كان يمكن أن ينجو مثل هذا الغر ؟!٠٠ ومثله (جولفيل) الذى قتل زوجته ودفنها فى حديقة داره، ثم لم يكتف بهذا بل أمعن فى لفت النظر اليه اذ ركن الى الفرار عقب ارتكاب جريمته !٠ ومثلهما (موردن) الذى قتل شقيقة زوجته ليحصل على قيمة التأمين على حياتها ، فهذا المغفل قد اشترى فى رابعة النهار الســـم الذى استعمله فى جريمته ، هذا الى أنه أبقى زجاجة السم ذاتها معه حتى وجدها رجال البوليس !٠٠ ان أمثال هؤلاء يستحقون الشنق ولا ريب !

فتمتم مستر بريجرلند مرتجفا :

ــ كفى !٠٠ كفى بحق السماء !٠٠ وأرجو ألا تتحـدثى عن الشنق مرة أخرى ٠ انك مجردة من كل شعور بالانسانية يا جان !٠٠

فابتسمت للمرة الثالثة ، وقالت :

ــ اننى ملاك ، ولدى من قصاصات الصحف ما يثبت ذلك ، وقد كتبت صحيـــفة (الديلى ريكوردر) نصف عمود فى وصف مظهـرى يوم ألقيت بشهادتى فى محاكمة ميريديث !

وحانت من بريجرلند التفاتة الى المكتب ، فوقع نظره على الخطاب الموضوع فوقه فتناوله بيده وقرأ العنوان ثم قال لابنته :

ــ أراك قد كتبت الخطاب للسيدة ، فهل سترسلين الحلى معه ؟

فأومأت برأسها ايجابا ، وحدجها هو بنظرة عميقة فاحصـــة ثم أردف قائلا :

ــ لم أرك قبل اليوم تقدمين على مثل هذه الحماقة !٠ فعسى ألا يكون فى هذا الخطاب ما يقوم يوماما دليلا ضدك !

فألقت اليه بآخر ابتساماتها فى تلك الجلسة ، وقالت :

ــ أبى ٠٠ ما كنت أحسبك تظننى أنحرف عن جادة الطريق المؤدى الى الغاية بسلام ، بعد المحاضرة التى سمعتها منى عن غباوة بعض المجرمين !

بين جلوفر وليديا

قضى جلوفر فتـرة الصباح يتحدث مع ليديا ، أو مسز ميريديث الوارثة الجديدة ، وقد بقيت هى تستمع اليه دون أن تنبس ببنت شفة ، بينما مضى هو يتلو عليها قائمة طويلة مشتملة على كل ما صار من شئونها الخاصة من التأمينات والضياع وايجارات الاراضى والارصدة وما اليها من الأعباء الجديدة التى ألقيت على عاتقها بحكم انتقال ثروة ميريديث اليها . ثم قال لها :

ـ والآن يا مسز ميريديث .. ماذا تعتزمين أن تصنعى ؟

والحق أنها كانت لا تكاد تفهم شيئا من هذه الأمور ، فهزت رأسـها فى تعجب وقالت :

ـ ماذا أعتزم أن أصنع ؟ ! لست أدرى !.. اننى لا أكاد أفهم شيئا مما حوته القائمة الكبيرة التى تلوتها على يا مستر جلوفر ، فهل تريد أن تقول ان كل تلك الأموال ملكى ؟ !

فرانت على وجهه ابتسامة وهو يجيبها قائلا :

ـ لم تخلص اليك بعد ، ولكننـــا ونحن الأمناء على الوصية نستطيع أن نقدم لك ما تطلبينه من نقود على حسابها . فكل ما فى الأمر أنه لابد من اثبات للوصية ، وسنباشر نحن اجراءات تحقيق ثبوتها ، وبعد أن تتم تسوية هذه الاجراءات ، نقوم بدفع الضريبة على التركة ، ومن ثم يصبح لك الحـق فى التصرف كما تشائين فيما آل اليك من أموال التركة . بل أنت تستطيعين أن تفعلى ذلك من الآن . ولن يكون من اللائق بك على كل حال أن تظـلى مقيمة هنـــا فى شارع برينكســـم وقد استبحث لنفسى أن أستأجر لك سكنا مفروشا هو فى الواقع ملك لأحد عملائنا الذى اقتضـــاه عمله أن يسافر الى الخارج ، وعهد الى شخصيا فى التصرف فى مسكنه . وايجاره بسيط على كل حال ، فهو لا يتجاوز عشرين جنيها فى الاسبوع !

فانتفضت الفتاة فى مجلسها وقالت :

ـ عشرون جنيها فى الاسبوع ؟ ! أنا لا يمكننى ...

ولكن سرعان ما تذكرت قبل أن تتم كلامها أن عشرين جنيها فى الاسبوع لم تعد شيئا يذكر بالقياس الى الثروة الكبيرة التى آلت اليها وكان مجرد ادراكها هذه الحقيقة وسيلة لفهمها مبلغ ما أضحت فيه من ثراء ، فقـالت فى تردد :

– أظن ان الأفضل أن أنتقل الى الدار الجديدة ، وخاصة لأن مسزمورجان تعتزم ترك هذا المنزل ، وقد سألتنى هل أعددت لنفسى أمرها ، وأحسبها راغبة فى الانتقال معى مدبرة لمنزلى

فأومأ جاك قائلا – بديع جدا ، فأنك لن تستغنى عن خادم تشرف علـى البيت ، وسيكون عليك أيضا أن تدبرى أمر مبيت جاجز

فهتفت مشدوهة – جاجز !

فردد فى مهابة – نعم ، جاجز ، ففى الحق يا آنسة ٠٠ معذرة ، أردت أن أقول يا مسز ميريديث ان اهتمامى بأمرك قد دفعنى الى البحث عن رجـل يمكننى الاعتماد عليه ليكون فى الليل فى مسكنك على كثب منك ٠٠

واذا رآها تبتسم استطرد قائلا – يبدو لى انه خطر لك اننى رجل عجوز، وان مخاوفى لا تستند الى شىء ، ولكنى لا أراك الا متفقة معى على أن ما مر بك من تجارب فى الاسبوع الماضى يؤيد النظرية القائلة بأن أى شىء وكل شىء يمكن أن يحدث فى لندن

قالت جادة – ولكنك لا تعنى حقا يا مستر جلوفر اننى مهددة بخطـر جسيم ، واذا كان هذا هو ما تعنيه فاسمح لى بأن أسألك ممن يجىء هـذا الخطر ؟

فأجابها اجابة دبلوماسية قائلا – من كثيرين ٠٠٠٠

قالت فى تجاهل: لعلك لا تعنى تلك الفتاةالمسكينة ، الآنسة بريجرلند؟

فأجابها وهو يحاول تهدئة نفسه الثائرة قائلا – تلك الفتـاة المسكينة ، الآنسة بريجرلند ٠٠ حقا انها أصبحت الآن مسكينة أكثـر مما كانت تنتظر ! !

ولم يكن من دأب ليديا الهياج والانفعال ، ولكنها أجابته متهكمة :

– هراء ٠٠ انى أراك يا عزيزى جلوفر لا تفتر عن صب نقمتك عليها ، فهل تحسبها لم تزل جديرة منك بذلك ، أم أن لديك منها جرحا لكرامتك لم يندمل بعد ؟

فحملق فيها مشدوها وقال – كرامة جريح ؟ هل تقصـدين اننى موغر الصدر ؟

فأومأت ، وقالت – ربما ٠٠٠٠

فسألها فى بطء – وأى شىء أوغر صدرى عليها ؟

أجابت – انت تعرف أكثر منى

والتمعت بفكره خاطرة فسألها – هل حدث فى أى وقت مـا انى غازلت الآنسة بريجرلند ؟

فلم تزد ليديا على أن رددت قولها السابق – انت تعرف أكثر منى ٠٠

فهتف من أعماقه : « يا الهى ! » ٠ وانفجر ضاحكا مسترسلا فى الضحك

حتى حسبته ليديا جن من الضحك . ثم ما لبث حتى استطرد قائلا :
ـ والظاهر اني غازلتها وقت ان كانت مخطوبة فعز عليها أن أجرؤ على اتيان تلك الخيانة فى حق خطيبها !.. نعم ، هذا هو الذى حدث !.. فقد غازلتها من وراء جيم المسكين ، فألقمتنى حجرا ، وأبعدتنى عنها ، وهذا هو الذى أغاظنى منها وأهاجنى عليها ، أليس كذلك ؟

فبدت وجه ليديا ابتسامة ساخرة ، وقالت ـ ان لك لذاكرة واعية ..

فأجابها ـ حقا ان قوة ذاكرتي لا يمكن أن تعدل قوة ابتكار الآنسة بريجرلند .. ولكن ألا يخطر لك يا سيدتي اني لو كنت حقا غازلت تلك المرأة الصغيرة يوما ما ، فأنه ما كان يمكن أن أكون الآن هنا ؟
فسألته ـ ماذا تعنى ؟

فأجاب جلوفر متأنيا ـ أعني اننى كنت أنا ، وليس بولفورد ، الذى يسهل خداعه بمثل الحديث التليفونى الذى تلقاه وهو فى ناديه ، وطلب منه فيه أن يبادر بالذهاب الى شارع بيركلي ويقف منتظرا أمام الباب .. وكنت أنا ، وليس بولفورد ، الذى يتلقى الرصاصة القاتلة من يد أبى الآنسة بريجرلند التى أطلقها من شباك حجرة الاستقبال

فنظرت اليه ليديا نظرة امتزج فيها الاستغراب بالاشمئزاز ، وقالت :
ـ يا للتهمة الشنيعة !..هل تريد أن تقول ان هذه الفتاة عاونت على جريمة قتل ؟

ـ لا أريد أن أقول انها عاونت عليها فقط ، ولكن أراهن بحياتى على انها هى التى دبرت الجريمة ووضعت خطتها

وتكلمت ليديا مزدهية بما ظنته الدليل الدامغ ، فقالت : « ألم يوجد المسدس بجوار جثة المستر بولفورد ؟ »

فهز جلوفر رأسه ايجابا ، وقال: « ان المسافة بين جثة بولفورد وبين نافذة حجرة الاستقبال كانت تسعة أقدام تماما ، ومن الممكن بالطبع القاء المسدس ليسقط بجواره . وقد كان بولفورد منتظرا فى مكانه ذاك بناء على تعليمات من الآنسة بريجرلند . وقد وصلنا الى اثبات انه استدعى بالتليفون من ناديه ، كما حصلنا على الدليل ان هذه الرسالة قد جاءته من دار آل بريجرلند فى شارع بيركلى ، وأكد عامل التليفون فى النادى ان صوت المتحدث كان صوت امرأة . ومن أسف أننا لم نحصل على الأدلة الا بعد المحاكمة . وقد كان ميريديث المسكين فى الردهة حين أطلقت الرصاصة ، وكانت الاشارة باطلاق النار هى ادارة ميريديث لأكرة الباب لينطلق خارجا .. ولكن .. ماذا أقول ؟.. ان جان بريجرلند كذابة أشرة ! »

قالت ليديا وقد غضت من صوتها : «لا ريب انك تغالى فيما تقول ، وانه لاتهام رهيب ذلك الذى توجهه الى فتاة يكفى وجهها وحده دليلا على بطلانه
فصاح جلوفر : « ان وجهها هو معين ثروتها وحد سلاحها الماضى ! » ..

ثم ندم على هياجه واستدرك قائلا : « انى آسف على ما بدا من حدتى ، فان مجرد ذكر اسم جان بريجرلند يهيجنى ويظهر منى أسوأ سوآتى ، فلندع هذا الآن ، ولتقولى لى انك راضية عن وجود جاجز »

فسألته : « انك لم تقل لى بعد من هو جاجز ؟ »

قال ـ هو جندى فى الرديف ، وانسان غير أليف ، وداهية كالشيطان ، وقوى كالغول ولو انه طاعن فى السن »

قالت فى شيء من الارتياح ـ هو عجوز اذن ؟

أننى محام وأن عملى يدفع الى بابى أغرب الشواذ من الخلق ، ويحتم على احدى ساقيه لاصابتها برصاصة فى حرب البوير

فضحكت برغمها واستطرد جلوفر قائلا : ـ فهو كما ترين ليس من ذلك النوع من الحراس الذين يلفتون النظر ، ولكنه نظيف نظافة تامة قد لا تتفق مع مظهره ، ولن يتدخل فى أى شأن من شئونك أو شؤون خدمك ، وكل ما فى الأمر انه يحتاج الى غرفة لكى يجلس فيها ، ويكفى أن تقدمى له لقمة من خبز وقطعة من جبن وكأسا من جعة ، ولا شيء غير ذلك

عندئذ انشرح صدر ليديا ، فقد كان يزعجها أن يتصور جاك جلوفر انها بحاجة الى حارس ، فاذا لم يكن ثمة بد من النزول على رغبته ، فليكن الحارس هو جاجز هذا الذى لا ضرر منه ولا جاذبية له ، فسألته قائلة :

ـ وفى أى وقت سيكون حضوره ؟

ـ حوالى العاشرة من المساء ، ويغادر المسكن فى نحو السابعة صباحا ، ثم انك لن ترينه الا اذا رغبت أنت فى ذلك

ـ وكيف عرفت هذا الرجل ؟

فأجابها الشاب المزهو ـ اننى أعرف كل الناس ، وما ينبغى لك أن تنسى اننى محام وأن عملى يدفع الى بابى أغرب الشواذ من الخلق ، ويحتم على واجبى مقابلتهم

ثم جمع أوراقه فوضعها فى حقيبته ، وقال لها :

ـ والآن ماذا تعتزمين صنعه اليوم ؟

وعاود ليديا شعور الامتعاض والنفور من الوصاية التى جعل جلوفر يفرضها عليها ، وان كانت تضع فى الكفة الأخرى ما هى مدينة له به ، فقد استطاع بوسائل عجيبة أن يحول دون الزج بها فى التحقيق الذى أجرى عن مقتل ميريديث ، فلم تطلب لتأدية أى شهادة فى صدد هذا الحادث ، بل لقد نجا هو وشريكه من كل مسئولية تتعلق به ، ولم يبق الا التحقيق الذى أخذت نقابة المحامين تجريه فى شأن تصرفهما من الناحية القانونية (وهذا لم تكن الفتاة تدرى عنه شيئا) وان كان المنتظر أن يخرجا منه سليمين كما نجوا من الآثار الجنائية

وأخيرا قالت ليدَيا ـ سأذهب لتناول الشاى عند مسز كول مورتيمر

فابتدرها مرددا ـ مسز كول مورتيمر ؟ ومن أين لك معرفة هذه السيدة؟

فأجابت وهي تبتسم ابتسامة المشمئز ـ حقا يا مستر جلوفر ان سؤالك هذا هو الصفاقة بعينها ، ومع ذلك فأني أجيبك عليه بأنها حضرت لزيارتى وتعزيتى بعد مضى يومين أو ثلاثة على ذلك الصباح الرهيب ، فأنها تعرف المستر ميريديث وهى صديقة قديمة لأسرته

فكبت جلوفر حنقه ، وقال فى صوت كسيف ـ الحق أقول لك انهـا لم تكن تعرف ميريديث اللهم الا أن تكون قد حيته يوما ما تحية عابرة ، ومما لا شك فيه انها لم تكن صديقة لعائلته مطلقا ، ولكنها فى الحق صديقةلجان بريجرلند

فهتفت ليديا محنقة ـ جان بريجرلند ٠٠ جان بريجرلند ٠٠ ألا يمكن أن تنساها ؟٠٠ انها بالنسبة اليك مثل الرجل الذى ذكره ديكنز فى كتبه ، انه الرأس المدبر وراء كل ما يصدر عن الملك شارل ! صدقنى انه غير جدير بك وانت المحامى المحترم الموثوق به أن تحنى أمام التحامل هامتك ، ولكى أثبت لك ان مسز مورتيمر كانت صديقة للمرحوم ميريديث أخبرك انهـا أحضرت الى صورة له مأخوذة أيام كان طالبا فى جامعة ايتون

ولم تفت هذه الحجة فى عضد جاك ، بل رد عليها قائلا ـ لقد زودتها بها جان بريجرلند ، ومن يدرى ؟ فلعلها أن تجىء اليك غدا بزوج من الجوارب الصغيرة زاعمة لك ان ميريديث كان يرتديها فى طفولته فتصدقيها أيضا !

فنهضت الفتاة واقفة وقد بلغ الضيق بها مداه ، وقالت : ـ هـــذا شىء فظيع جدا ، ولدى الكثير أريد أن أعمله ٠٠

وحين بلغ جلوفر الباب فى طريقه الى الخارج التفت نحوها ، وقال :

ـ لا تنسى انه يمكنك الانتقال غدا الى سكنك الجديد فى شارع كافنديش، وسأبعث اليك بالمفتاح ، وسيحضر جاجز فى ذات اليوم الذى تنتقلين فيه ليباشر مهمته فى نشاط ومرح ، وهو قليل الكلام ٠٠

فقاطعته فى غيظ ظاهر ـ ما أظنك تترك للمسكين فرصة يستطيع فيهـا أن يفتح فمه ٠٠ اللهم الا أن يتثاءب

الصيد والصائد

كانت السيدة مسز كول مورتيمر تمثل طبقة ذات عدد من النساء اللواتى يعشن لصق خط الحدود الفاصل بين المجتمع الراقى والجماعة التى لم يكتمل رقيها مما كان مدعاة لأن يعدها كل فريق فى عداد الفريق الآخر . وكانت لها دار صغيرة تقيم فيها بين الفينة والفينة حفلات يؤمها مدعوون كثيرون ، ولم يستطع أحد أن يعرف تماما كيف كان يتاح لهذه الارملة لضابط هندى أن تجمع بين الضدين من طرفى المجتمع . بيد أن الحقيقة الظاهرة هى أن ما كانت تنفقه كان كثيرا جدا ، فقد كانت لديها سيارة ، وفى موسم لندن تقيم الحفلات ، وتغيب عن العاصمة فلا تعود ترى فيها فى الاوقات التى لا ينبغى لفئة معينة أن تظهر تحت سمائها

فلا عجب اذا كانت ليديا قد تلقت فى دهشة ، ان لم يكن فى ارتباك ، زيارة هذه السيدة لها فى دارها المتواضعة ، ومن ثم كان عليها أن تقبل ايضاحا عن تنازل السيدة الراقية بزيارتها ــ قصة صداقتها لجيمس ميريديث وأسرته. ولا عجب أيضا أن تتلقى ليديا بترحاب دعوة مثل تلك السيدة لها الى الشاى فقد كانت الفتاة فى تلك الآونة تشعر بوقفتها على مفترق الطرق ، وحاجتها الى من يأخذ بيدها الى الاوساط الجديدة التى لن يكون لها مفر من الاندماج فيها

وكان المستر رينيت قد سلمها الف جنيه فى اليوم التالى لعقد الزواج ، وعندما ثابت الى رشدها من هول صدمة امتلاكها مثل هذا المبلغ الجسيم ، ذهبت فاستقلت سيارة أجرة ، واستسلمت لحمى شرائية لم تسلم خلالها من شراء هذا الصنف أو ذاك مرتين

ألم يكن قد إنزاح عنها كابوس الديون بالتعهد الذى قطعه على نفسه رينيت بالاشراف على تسويتها ؟ . . وهذا وحده يكفى أن يجعل قلب فتاة فى سن ليديا وظروفها ، يطير ابتهاجا

وارتدت ليديا ثوبا من تلك الأثواب الجديدة ، ملأ نفسها ثقة واطمئنانا ، حين اتخذت طريقها لتلبية الدعوة . وكانت تتوقع أن تجد فى الحفل قوما كثيرين ، فعجبت اذ وجدت نفسها تقاد لدى وصولها الى حجرة استقبال ليس فيها الا أربعة أشخاص

وكانت مسز كول مورتيمر محدثة بارعة ، تميل الى القصر والى الصفرة ، ناهزت الاربعين من عمرها ، أو على حد قولها «أربعين وحاجة» ، وليس من

اللياقة طبعا الاستفسار عن مقدار هذه « الحاجة » . وقد تقدمت لاستقبال ليديا بذراعين مفتوحتين ، وقالت مسرفة فى السرور : « كم أنا مسرورة ياعزيزتى بحضورك . أظنك تعرفين الآنسة بريجرلند والمستر بريجرلند ؟»

ونظرت ليديا الى القامة الطويلة للرجل الذى رأته فى مقاعد الصالة بالمسرح فى الليلة السابقة لزواجها ، وعرفته فى الحال . واستطردت المضيفة اللبقة قائلة :

ـ أما المستر ماركس ستبنى فما أحسبكما التقيتما من قبل

وحنت ليديا رأسها تحية لرجل أنيق المظهر فى الثلاثين ربيعا ، لا عيب فى زيه ولا مأخذ عليه . وقد بدا لعينيها جميلا جدا ، وان ظل بعيدا عن أن يجتذب روحها ، وقد يكون ذلك لانه جديد عليها . . كما قد يكون أيضا لأنها لم تألف فى الرجال تجملا ولا تطرية . ولذلك كان فى تقديرها مرتديا من الثياب أكثر مما ينبغى

ولم تكن ليديا تتوقع مقابلة الآنسة بريجرلند وأبيها هناك ، على الرغم مما تذكرته عن المسز كول مورتيمر التى عرفت أسمها فى الاحاديث المتفرعة التى دارت بينهما فى الزيارة السابقة . والتمعت فى مخيلتها فى الوقت ذاته الشكوك التى أثارها جاك جلوفر حول هاتين المرأتين ، فأثار هذا الخاطر فى نفسها شعور القلق لوجودهما معا . وكأنما أدركت جان بريجرلند بفطنتها وبعد نظرها ما يدور فى خلد ليديا من شك ، وقرأت على وجهها معالمه ، فوجهت الحديث الى المضيفة قائلة :

ـ لا بد أن وجودنا هنا ليس فيه مفاجأة ما لمسز ميريث ، أليس كذلك يا مرجريت ؟ فأنى أحسبك قد ذكرت لها أننا من صميم الاصدقاء ؟

فراحت مسز كول مورتيمر توزع ابتساماتها بالعدل على ضيوفها وهى تجيب :

ـ لا شك فى أنى فعلت يا عزيزتى ، على أن الامر أوضح من أن يحتاج الى بيان ، فأن صداقتى لابن عمتك العزيز ولأبيه تجعلنى فى الواقع ونفس الامر صديقة لجميع أفراد الاسرة الكريمة

طبعا ! لقد فاتها كما فات جاك جلوفر ملاحظة صلة القرابة بين آل بريجرلند وآل ميريديث . . ومع قيام هذه الحقيقة ، فأى غرابة فى أن يكون صديق احدى العائلتين صديقا للعائلة الثانية ؟!

ووجدت نفسها جالسة فى ركن من الغرفة تتحدث مع الفتاة ، وقد استغرقت فى دراسة وجهها من جديد . وانتهت بها هذه الدراسة القريبة الى تأييد حكمها السابق على صاحبته . وضحكت فى سرها ساخرة من التحذير العجيب الذى ألقاه اليها جاك جلوفر ، وحدثت نفسها قائلة أنها لو كانت قد أخذت به لكانت كمن يحطم زهرية جميلة ثمينة من البللور من اجل فراشة تهوم حولها

وسألتها جان بريجرلند فى رقة : « وما هو شعورك الآن وقد أصبحت غنية جدا ؟ »

فابتسمت ليديا وأجابت : « لم تصل الثروة بعد الى يدى ، ولعل تأخير وصولها يؤخر من صدمة الانتقال من حال الى حال »

فهزت جان رأسها موافقة ، وقالت :

ــ يبدو أن الامر لم يخرج بعد من أيدى المحامين . فمن هم محاموك ؟ .. آه ، لقد تذكرت .. لا بد أن يكون المستر جلوفر صديق المرحوم جيمس ميريديث ومحاميه .. (ثم تنهدت واستطردت) انى لا أحب المحامين ، فانهم شديدو الثقة والاعتزاز بأنفسهم الى حد الزعم بأن لهم وحدهم حق ارشاد موكليهم فى كافة شئون حياتهم وتصرفاتهم . والظاهر أن هذه طبيعتهم الثانية . ثم انهم يربحون أموالا طائلة مما يتقاضونه من أتعاب وعمولات ورسوم ، ولكنى واثقة أن جاك جلوفر لا يعنى كثيرا بهذه الناحية (وهنا ارتفعت حرارة القول وهى تستطرد) فهو فى الحق شاب لطيف،وما أحسبك واجدة صديقا افضل منه

وأكبرت ليديا نبل هذه الفتاة ازاء من يناصبها العداء ، وقالت :

ــ لم أر منه الا كل خير ، ولكنى أحسبه كثير الكلام

واختلجت شفتا جان سرورا ، وقالت فى وقار :

ــ هل حذرك منى ؟.. هل وصفنى لك بأننى غول مخيف ؟

وقبل أن تتلقى اجابات على أسئلتها سارعت فأردفت ــ يخطر لى أحيانا ان هذا المسكين ، جاك ، شاذ قليلا ، شديد التطرف ضد من يكره . وانى لأعلم أنه ينفر من مارجريت نفورا شديدا . ولو أنى لم أستطع أن أتبين السبب فى ذلك .!

واستضحكت ليديا قائلة : ــ من حسن حظى أنه لا يكرهنى

فقالت جان : كلا ، فما أظنه يكرهك . على أننى لا يمكننى تصور وجود من يكرهك ياليديا .. وأرجو أن لا يكون لديك مانع من ندائى اياك باسمك الاصلى وحده

فأجابت ليديا بحماسة : « حبذا لو فعلت ! »

واستأنفت جان حديثها قائلة : ــ حقا انى لا أتصور أن أحدا يكرهك ، وجاك على الاخص ، لانك عميلته ، وأى عميلة ؟.. العميلة المفرطة الغنى والجمال يا عزيزتى .. !

وأردفت ذلك بتمرير أطراف أصابعها على خد ليديا ، مستثيرة فيها قشعريرة الخجل . ثم استرسلت : « وقد لا ألومه على عذله اياى،وتحذيراته الكثيرة لك منى ومن غيرى من المرشحين فى نظره لعداوتك ، فقد يكون له من وراء ذلك عذر جميل فى رؤيتك كل يوم ، والقيام بمهمة الحارس الشخصى لك ! »

فهزت ليديا رأسها نفيا ، وقالت وهى تبادل رفيقتها الابتسام :
ـ اما هذه الناحية من واجباته ، فقد تنصل منها واعتزلها تماما بتعيينه المستر جاجز حارسا لى

ورددت جان مستفهمة فى صوت خال من النبرات : ـ مستر جاجز ؟

وأجابت ليديا فى فكاهة : « هو نبيل عجوز ، من المحاربين القدماء ، وموضع ثقة المستر جلوفر . وعلى الرغم من أن ذراعه اليمنى عاجزة ، وأن برجله اليسرى عرجا ، فأنه على ما يلوح أشد حراسة من كلب »

وعادت جان تردد : ـ جاجز ؟ لا أدرى اذا كنت قد سمعت بهذا الاسم من قبل ، فهل هو من رجال البوليس السرى ؟!

ـ لا ، أظن ذلك ، ولكن المستر جلوفر يرى أن يبيت فى مسكنى الجديد رجل ما ، وقد تم الاتفاق على أن يكون جاجز ذلك الرجل

واقترب منهما فى هذه اللحظة الرجلان المتممان لجملة الضيفان ، فلم تجد ليديا فى المستر ماركس ستيبنىما يسترعى شيئا من اهتمامها ، بينما كان المستر بريجرلند أحسن حظا من زميله بما يحفظه من حكايات وما اكتسبه من تجارب فى حياته ، ولاحظت ليديا أن لهذا الاخير صوتا ناعما يندر وجوده فى الرجال

وكان الظلام قد أرخى سدوله حين خرجت ليديا من الدار مع الآنسة بريجرلند وأبيها ، وأفعمها الشعور بأنها لم تقض الامسية عبثا ، فهى قد أضحت أعرف بخلق الفتاة ، كما وضح لها جاك جلوفر فى صورة جديدة على ضوء هذه الحفلة ، وبدأت تعاف الوسائل الارتزاقية التى باتت ترى فيها السبب والعلة لشدة اهتمام المحامى الشاب بأمرها

ووقفت على عتبة الدار تتحدث الى جان بينما أشعل المستر بريجرلند سيجارة من ولاعته . وكان ميدان هايد بارك المستدير ـ حيث تقوم الدار ـ خاليا فى تلك اللحظة من الناس الا رجلا واحدا وقف مستندا الى القضبان الحديدية المحيطة بدار مسز كول مورتيمر ويبدو أنه كان يربط شريط حذائه

وسارت الصديقتان الجديدتان جنبا لجنب على الرصيف وذهب المستر بريجرلند يبحث عن سيارته وهو يقول موجها الحديث الى ليديا :

ـ وددت لو أن السائق اللعين وفى بعهده يوما لاوصلك الى دارك ، فقد اتفقنا على أن يحضر الينا فى الساعة الثامنة ، ولكن هذه الفئة لا يمكن الاعتماد على أحد منها مطلقا

وسطعت من الناحية الاخرى فى الميدان أضواء سيارة ظنت ليديا بادىء الرأى أنها سيارة المستر بريجرلند ، وهمت بالاعتذار بأنها تريد أن تعود منفردة الى دارها . وكانت السيارة قادمة فى سرعة هائلة ، ورأتها ليديا مندفعة نحوها كالشهاب الراصد،وبلغ من رهبة موقفها أنها لم تشعر بابتعاد

المستر بريجرلند وابنته عنها بسرعة حتى بات بينها وبينهما بضع خطوات

وعلى حين فجأة انحرفت السيارة صاعدة فوق الرصيف ومصوبة مقدمتها الى ذات الفتاة التى أيقنت أن لانجاة لها ، فأذهلها الذعر وتكورت فى وقفتها انتظارا للقضاء المحتوم

وفى مثل خطف البرق اللامع أحاطت ذراع قوية بخصرها فرفعتها الى أعلى وقذفت بها الى ماوراء القضبان الحديدية . وهذا فى الوقت الذى مرت السيارة فيه كالسهم فوق الموضع الذى كانت ليديا واقفة فيه ، وأخطأها «الرفرف» حين خطفت بما لا يزيد على بوصة واحدة . ولم تكد هذه النجاة الخارقة تظهر واضحة جلية حتى أقبل بريجرلند وابنته مسرعين نحوها وقال الأب :

ـ الحمد لله على نجاتك يا سيدتى ، وتالله لو كان وقع لك مكروه لعشت ما بقى من أيامى معذبا . . ولا بد أن الخمر أفقدت السائق سيطرته على عقله واعصابه جميعا . .

ولم تعرف ليديا بماذا تجيب ، فاكتفت بأن هزت رأسها ، ثم تذكرت منقذها، فأدارت وجهها الى الناحية الاخرى فالتقت عيناها بعينين خاشعتين لعجوز محنى ، له لحية بيضاء مدببة ، وشعر حاجبيه يتخلله مشيب لامع ، ويده اليمنى دالفة فى جيبه . فرفع قبعته بيسراه وقال بصوت أجش :

ـ عفوا يا آنسة ، اسمى جاجز ! وقد جئت لتسلم عملى !



جعل جاك جلوفر يصغى للفتاة وأوصاله ترتجف وهى تروى له قصة الحادث ، وكان قد قدم فى صبيحة اليوم التالى ليحصل على توقيعها على بعض المستندات ، فراحت تذكر له التفاصيل بأنفاس متقطعة وفى صوت يعروه الخجل . وختمت الرواية بقولها : « لا شك فى انه حادث عرضى ، وقد كادت السيارة تصيب المستر بريجرلند وابنته ، أما المستر جاجز فلن أفيه حقه من الشكر على وجوده فى مكان الحادث »

فسألها جاك ـ وأين هو الآن ؟

أجابت « لا أدرى ، فقد رأيته يسير حجلا دون أن يقول كلمة أخرى ، ولكنى أحسبه ذلك الخيال الذى لمحته عند وصـــولى الى البيت فى الليلة الماضية ، وانى لاعجب كيف اتفق وجوده هناك فى تلك اللحظة بذاتها !؟ »

فأجاب جاك : « الامر فى غاية البساطة، فان تعليماتى اليه هى أن لايجعلك تغيبين عن نظره من غروب الشمس الى شروقها »

قالت تداعبه : « أنت لا ترى خطرا على اذن أثناء النهار ؟ »

فأومأ موافقا ولم يتكلم ، فاستطردت وهى تهز رأسها تقريعا له قائلة :

ـ لا أدرى أينبغى لى أن أضحك منك ، أو يقتضينى الأمر أن يشتد غضبى ، فأني لا أشك مثقال ذرة فى أن الحادث عرضى بحت

فقال جاك : لا أوافقك على رأيك . فهل رأيت السائق أو لمحته ؟
فاعترتها الدهشة وأجابت : كلا ، لم أره ولم يخطر لى أن أراه

فهز رأسه وقال فى هدوء : لو أنك رأيته لتبينت فيه صديقا قديما ، اذ هو نفسه السيد الذى أركبك السيارة أمام مسرح أرفنج

واختلطت مشاعر ليديا حتى تعذر عليها التمييز بينها . فقد كانت مطمئنة الى الحكم الذى أصدرته على جاك جلوفر بأنه واقع فى خطأ جسيم . وكانت كذلك واثقة كل الثقة بأن استنتاجاته من هذا الحادث لا تقوم على أساس ، ولكنها لم تستطع أن تنكر عليه اخلاصه ووفاءه . وخطر لها الوصف الذى أضفته جان بريجرلند عليه بأنه « شاذ قليلا » ، فجعلت تحاول تطبيق هذا الوصف على ما خبرته هى نفسها من أحواله ، فاذا بها لا تجد مناصا من التسليم له بأنه لم يحد يوما عن المألوف أو يخرج لحظة على الحد فى صلته بها . وكذلك نبذت ظهريا فكرة سعيه للارتزاق وجنيه الارباح الطائلة من ورائها ، فقالت :

ـ مهما يكن من شىء ، فان تقديرى لمستر جاجز عظيم !
فقال جاك مبتسما : يبدو لى من نبراتك أنك تقدرينه أكثر منى ، ولكنه عجوز أمين

قالت معقبة : عجوز ولكن له قوة خارقة ، فقد رفعنى من موضعى كأنما يحمل ريشة ، ولم أزل حتى الآن أجهل كيف نجوت ، فقد اختلت عجلة القيادة . . .

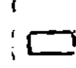
فقاطعها جاك فى أدب قائلا : « لو سلمنا باختلال عجلة القيادة والسيارة مندفعة نحوك ، لوجب أن نقول أنها عادت فأصبحت سليمة حين وصلت السيارة الى مستر بريجرلند وابنته ، فانهما كانا غير بعيدين كثيرا منك ولكن السيارة مرت بجانبهما بسلام ، اليس كذلك يا سيدتى ؟ »

فتململت الفتاة وقالت : « انك لغوى عنيد،فأن الجرائم التى تعزوها اليهم هى من جرائم العصور المظلمة،والناس لايغتالون بعضهم بعضا بهذه الوسيلة فى القرن العشرين »

قال : « من أنبأك هذا ؟. . ان الطبيعة البشرية لم تختلف عما كانت عليه منذ آلاف السنين ولو لم تكن غريزة تنازع البقاء باقية قوية ، كما كانت لما طالعتنا الحروب بين الحين والحين . ويكفى أن يرتكب الانسان ، رجلا كان أو إمرأة ، جريمة قتل واحدة ليعود فيرتكب الجريمة ذاتها مائة مرة اذا ساعدته الظروف على الافلات من يد العدالة . ذلك أننا اذا قدرنا أن الذين يقعون فى أيدى العدالة من القتلة بخمسين مثلا فى انجلترا أو فرنسا أو أمريكا فى العام الواحد ، فأن الذين لا يقبض عليهم منهم يقدر عددهم بمائة على الاقل

فى كل بلد من أولئك . ثم لا يفوتنك أن جمال الوجه والشكل لا يمكن أن يكون عائقا دون ارتكاب المجرم جريمته

وعادت ليديا تذكره برأيها فيه وهو أنه عنيد ، ولهذا لم يقتنع أحدهما برأى الآخر .. »



وفى يوم الخميس من ذلك الاسبوع نقلت ليديا الى مسكنها الجديد الجميل فى ميدان كافنديش ، ووعدتها مسز مورجان أن تلحق بها بعد أسبوع تسوى خلاله شئونها . وساعد الحظ ليديا فى الحصول على خادمتين تبيت احداهما فى المسكن الذى تبين أنه لم يكن فسيحا الى غير حد ، ومن ثم ندمت ليديا على وعدها بأن تضع احدى غرفه تحت تصرف العجوز جاجز ، اذ لو قضى الليل ساهرا ، ونام النهار ، فلعل الافضل أن يخصص له المطبخ ، كما لمحت بذلك فى حديثها مع جاك جلوفر . وقد أدهشها رفضه لهذه الفكرة قائلا :

ـ أحسبك تريدين أن لا يعرف خدمك أن هناك من يقوم بحراستك ؟

فردت عليه متسائلة فى شىء من التقريع :

ـ وماذا تظنهم سيقولون عنه ؟ وكيف يمكننى أن أعلل لهم وجود هذا السيد العجوز فى داخل مسكنى ؟

وفى تلك الليلة حضر جاجز لتسلم عمله فى حوالى منتصف العاشرة من المساء ، ولم تكن ليديا قد اعتادت ما ينبغى لها من مظاهر الفخامة الحديثة فخرجت الى الردهة لاستقباله ، وقد قدم فى ثيابه الرثة ، وحدثته قائلة :

ـ لم تسنح لى الفرصة لتقديم الشكر لك على صنيعك الذى أنقذ حياتى فى تلك الليلة الليلاء

فأجابها بصوته الاجش : « لا شكر على واجب يا سيدتى ، ان الواجب هو الواجب ! » وخيل اليها أنه كان ينظر الى شىء خلفها ، ولكنها تبينت أن من عاهاته أيضا أخرى تضاف الى بشاعة منظره ، وهى أنه أحول، فسارت أمامه وهى تقول : « تعال لاريك غرفتك » . ثم فتحت باب غرفة صغيرة وضغطت على زر الكهرباء وأشارت له بيدها الى داخلها ، فهز الرجل رأسه ، وقال :

ـ هذا كثير يا سيدتى ، فأنى أحب أن أجلس فى الظلام وأسمع .. هذا هو كل ما أريده ، الجلوس فى الظلام وارهاف السمع

قالت : « ولكنك قد تحتاج الى النور لتقرأ مثلا ؟! »

فتقلصت عضلات وجهه كأنما كان يبتسم وأجاب :

ـ من حسن حظى انى لا اعرف القراءة ولا الكتابة

فأطفأت النور على كره منها ، وقالت : « على رسلك. ويمكنك أن تضغط على هذا الزر عندما تتناول طعامك اذا شئت »

فأجابهـا متململا : « لا حاجة بي الى النور من أجل الطعام ، فلا تتعبى نفسك ، فسأجلس هنا ، وأطلق لافكارى العنان »

ولو أن ليديا من قبل لم تكن تستريح الى وجود جاجز على كثب منها ، فأنها الآن قد أصبحت تشعر بحرج شديد كلما وقع نظرها على الباب الذى يجلس وراءه ذلك العجوز مطلقا لافكاره العنان .. وجافاها النوم طويلا فى تلك الليلة اذ لم تستطع تحويل فكرها عن ذلك الجالس خلف الباب يرهف السمع على حد تعبيره . ولم تستسلم للنوم آخر الامر الا وقد استقر رأيها على أن تحسم تلك الحال التى لم تستطع أن تستسيغها

واستيقظت فى صبيحة اليوم التالى على دخول الخادم اليها بالشاى ، فعلمت منها أن جاجز قد خرج

وكانت للخادم آراؤها كذلك فى ذلك العجوز الذى حرمها تفكيرها فى شأنه لذة النوم ، ولو أنها اعترفت انها قد تكون مبالغة فى ذلك

واشتد اصرار ليديا على انهاء هذه الحالة ، وذهبت الى مكتب جاك جلوفر بعد الظهر والقت اليه فى تألم ظاهر بهذه المشاعر التى تعانيها

قال جاك : «يؤسفنى أن يضايقك وجوده الى هذا الحد،ولكنك ستعتادينه بعد قليل ، ورجائى اليك أن تستبقيه شهرا واحدا فتنقذينى بذلك من قلق شديد »

وطال الجدل بينهما هى تصر على التخلص من هذه الحراسة ، وهو يلح فى الابقاء عليها مؤقتا حتى تنجلى الامور .. وانتهى الامر بتسليمها وان يكن على مضض

أما الخادم الجديدة ، لوسى ، فقد قالت لسيدتها :

ــ صدقينى يا سيدتى أن منظره يدل على انه من معتادى الاجرام ، وليس بمستبعد أن نصبح يوما جثثا هامدة فى فراشنا

فتضاحكت ليديا وأجابت : « دعى عنك هذه الاوهام يا لوسى ، وثقى أنه لا خطر مطلقا علينا من المستر جاجز ، بل هو قد أنقذنى يوما ما من موت محقق

فلم تخف الخادم تذمرها ، وسكتت سكوت المضطر الى الموافقة،وأحست ليديا أنها لن تلبث حتى تفقد خادما ممتازة ، وقد صدق حدسها فى ذلك

فقد حضر جاجز فى منتصف العاشرة من هذا المساء ، وفتحت له الخادم الباب وسارت أمامه الى باب غرفته فأضاءت النور وأشارت اليه وقالت :

ــ هاك غرفتك التى ما كنت تحلم يوما أن تمسح أرضها ..

فنظر اليها شزرا ، وقال : « اطفئى النور فأنى لا أحبه،وانما أريدها غرفة مظلمة مثل حجرات سجن هولواى الضيقة التى قادوك اليها منذ سنتين عندما سرقت سيدتك »

فأجابته الخادم فيما يشبه الهمس : يا لك من كذوب !

وغمغم جاجز : « أنت اليوم تنتحلين اسم لوسى جونز ، يا مارى ويلش »

فقالت فى صوت يشبه النحيب : « هذه اهانة لا أقبلها ، وانى لمفارقة الدار من فورى

وبلغت أصوات هذا الجدل سمع ليديا ، فسارعت الى مكانه وخاطبت جاجز قائلة :

ــ ما هذا الذى تقوله لخادمى ؟ وكيف تبيح لنفسك اتهامها بأنها سارقة ؟

فأجابها جاجز فى اصرار : ما قلت الا الحق ، ويمكنك أن تسأليها بنفسك

ولكن لوسى كانت قد فرت الى غرفتها ، ودفعت الباب من ورائها بعنف وأغلقته بالمفتاح

واستيقظت ليديا فى الصباح التالى ، فلم تجد غير نفسها بالدار ، بيد انها لم تكد تنتهى من ارتداء ثيابها حتى ذهبت لتفتح الباب تلبية لنقرة خفيفة عليه ، فوجدت فتاة بهيئة أهل الريف وعلى وجهها ابتسامة عريضة ، وفى عينيها صفاء ارتاح اليه قلب ليديا ، وقالت القادمة :

ــ أأنت السيدة المحتاجة الى خادم

فقالت ليديا : « نعم ، أنا بحاجة الى خادم ، فمن أرسلك ؟ »

ــ وصلتنى أمس برقية ومعها حوالة بأجر السفر

ــ لا بأس بهذا كله ، فادخلى .. والامر لله .. ولجاجز !



النادى العجيب

قضت جان بريجرلند يومها بعد مفارقتها للسيدة ليديا ، مشغولة جدا باستقبال تلك السلسلة الطويلة من زائرى دارها الكريمة فى شارع بيركلى

ذلك أن أباها المستر بريجرلند ، بما هبط عليه من نزوع عجيب الى فعل الخير ، قد أنشأ ناديا فى القسم الشرقى (ايست اند) من لنـــدن زعم أن الغرض منه رفع المستوى الخلقى فى احياء ليمهاوس ، ووابنج ، وبوبلار من الأحياء المنتسبة لهذا القسم المشهور بأنه يضم ذوى الجرأة و « الشطارة » من أبناء العاصمة البريطانية والوافدين اليها من كل فج · وبدأ ذلك النادى — ولا فخر — برجل واحد يدعى «فير» أطلق عليه لقب المدير العام · وكانت قد وقعت بين مستر فير هذا وبين رجال البوليس مبـــاريات عدة خسرها جميعا · وقيل أخيرا انه قد تاب وأناب ، وان مؤهلاته تجعله خير من يتولى ادارة هذا النادى لرفع المستوى الخلقى والاجتماعى بين أفراد طائفته وأهله وعشيرته

وكان الجادون من رجال البوليس يحذرون مســـتر بريجرلند مما اشتهر به فير من خلق سىء ، فكان مستر بريجرلند يستمع الى هذا التحذير شاكرا ، ولكنه يقول لاصحابه — أى أصحاب التحـــذير — ان فير قد تأثر بحركة الاصلاح الخلقى الجديدة ، وانه من الآن فصاعدا سيكون مواطنا مثاليا · وبعد فترة أخرى عاد أهل النزاهة من رجال البوليس يحـــذرون مؤسس النادى من ان الكثيرين من أعضاء ناديه من ذوى السيرة الثابتة السوء قطعا ، وانهم من زبائن السجون الدائمين الذين لا يكادون يغادرونها حتى يعودوا اليها · فرد عليهم المستر بريجرلند مشيرا الى أن أغراض النادى الرئيسية هى اصلاح هؤلاء الرجال وانتشالهم من مهاوى الفساد التى ترددوا فيهـــا وايقاظ روح الخير فى نفوسهم وغير ذلك من الغايات الانسانية الرفيعة التى لم يقتنع أحد من رجال البوليس بامكان النجاح فى الوصول بأولئك الاوشاب اليها

وكان من دأب جان بريجرلند أن تستقبل نخبة أعضاء ذلك النادى وتقيم لهم حفلات الشاى فى دارها الأنيقة بشارع بيركلى · وكان أصـــدقاؤها يعتبرون عملها هذا جميلا جدا وجريئا جدا فى وقت واحد ، ويتساءلون عما اذا لم تكن تخشى أن تصاب بأحد الأمراض الشائعة فى حى ايست اند ، ولكن جان لم تكن تحفل بشىء من ذلك ، وبعد ظهر هذا اليوم ، وبعد أن

خرج من عندها آخر زوارها من أعضاء ذلك النادى المختارين ، هبطت الدرج الى غرفة الصباح الصغرى حيث كانت تقيم حفلات الشاى لمن يقع عليهم اختيارها ، فوجدت فيها رجلين . نهضا لاستقبالها متثاقلين ، فلم يكن النادى قد تمكن بعد من ادخال أى تغيير على خلقهما ولا حتى على شكلهما ، وكان مكتوبا على هيئتهما بالخط العريض «رد سجون» ، وبدأت جان الحديث بصوت حلو قائلة :

ـ اننى سعيدة جدا بزيارتكما .. مستر هوجنز ؟ ..

قال أحدهما فى فتور ـ هذا أنا يا آنسة

واستطردت هى تقول ـ والمستر تالموت

فكشف الآخر عن أسنانه . واستطردت وهى تصب الشاى قائلة :

ـ انه ليسرنى دائما أن التقى بأعضاء نادينا ، وخاصة الذين مرت عليهم ظروف صعبة مثلكما، وأظن ان المستر هوجنز خارج اليوم فقط من السجن؟

فاحمر وجه هوجنز وسعل ، ثم أجاب بصوت أجش :

ـ تماما يا آنسة ، ولكنى وحقك لم أفعلها ...

فابتسمت وقالت: « أنا واثقة من براءتك ، ولكنى لا أستطيع أن ألومك انت واخوانك على ما تذنبون اذا قارنت أعمالكم بما تقاسونه من متاعب وما يمر بكم من أوقات صعبة قاسية ، فأنتم تتألمون ولا تنالون الا الحرمان فى الوقت الذى يلقى أهالى وست اند بأموالهم جزافا ، وأزواجكم وأبناؤكم فى أشد الحاجة الى بعض ما ينفقه هؤلاء »

وأمن هوجنز على رأيها قائلا ـ هذا صحيح ..

وواصلت جان حديثها قائلة ـ فأنا مثلا أعرف فتاة مفرطة فى الغنى ، تقيم فى العمارة رقم ٨٤ بميدان كافنديش ، فى الطابق الأعلى ، وقد بلغ من حماقتها انها تنام تاركة شبابيك غرفتها مفتوحة ، وخاصة انه من السهل الوصول اليها من السطح ، بل وعلى سلم النجاة من الحريق الموجود هناك. وهى تحتفظ فى مسكنها بجواهر كثيرة ثمينة ، وأظنها تضعها تحت وسادتها . كما انها تحتفظ معها دائما بمبلغ جسيم من المال ، بضع مئات من الجنيهات منثورة فى مواضع متعددة من غرفة النوم ، فمثل هذا أسميه اغراء للضعفاء ، كوضع البنزين أمام النار

ورفعت عينيها الزرقاوين فرأت التماع العيون الأربع .. واستمرت تقول :

ـ وقد نصحتها مرارا بأن فى ذلك خطرا عليها ، فكانت فى كل مرة تضحك منى ساخرة ، وتقول ان الرجل الذى يبيت معها فى غرفة داخل « الشقة » ، وهو عجوز خائر ذراعه اليمنى عاجزة ، يبادر الى نجدتها بمجرد سماعه صياحها ، ولكنى كنت أقول لها ان اللص المدرب لن يدعها تصيح ، أليس كذلك ؟

وتبادل الرجلان النظرات ، وأجابا فى صوت واحد : طبعا لا
قالت جان - وخاصة اذا كان المهاجمون « شطارا » فيفوزون بالغنيمة من دون أن يتركوها فى حال تستطيع أن تشى بهم
فتنحنح هوجنز وقال : « لا يعقل أن نترك لها هذه الفرصة »
فقلبت جان كفيها ، وقالت : « يفعل النساء هذا ثم يلام الرجل الفقير على انه رأى أمام عينيه ألف جنيه هو فى أشد الحاجة اليها فأخـــذها ، اننى شخصيا لا أتمنى أن أقيم فى العمارة رقم ٨٤ بميدان كافنديش »
فغمغم هوجنز : ٨٤ ميدان كافنديش

وكان آخر حكم صدر عليه بالسجن مع الاشغال الشاقة عشر سنوات ، وسيكون الحكم التالى بالاشغال الشاقة المؤبدة ولا ريب . وليس من يعرف هذه الحقيقة أكثر من جان بريجرلند صاحبة فكرة النادي العجيب !
وانصرف الزائران وعادت قاصدة الى غرفتها ، فاعترضتها خادمتها على الدرج قائلة : « ان مارى فى غرفتك يا آنسة »
وقطبت جان حاجبيها ولم تجب ، وسارت الى غرفتها فوجدت المرأة التى تنتظرها واقفة وقفة خبيثة وأقبلت فحيتها مبتسمة وقالت :
- أخبرك بكل أسف يا آنسة انى خرجت من عملى هذا الصباح ، فقـد عرفنى ذلك العجوز الجنى ، لابد انه بوليس سرى
فنظرت اليها جان بريجرلند بوجه لا حراك فيه اللهم الا تلك الرجفة غير المحسوسة لتانك الشفتين الجميلتين،الرجفة ذاتها التى أثارت اشفاق القاضى وأكسبتها عطف جيش من المحامين والصحفيين الذين رأوها .. ثم سألت : متى حدث هذا ؟
- الليلة الماضية يا آنسة ، اذ لم أكد أفتح له الباب وأحاول استدراجه حتى فاجأنى فانهال على كالشيطان وذكر لى اسمى الحقيقى واتهمنى بتزوير شهاداتى
وجلست جان فى بطء على مقعد مكتبها وسألت :
- هل تقصدين جاجز ؟
- هو بعينه يا سيدتى
- ولماذا تأخرت فى الحضور ؟
- خشيت أن يتبعنى أحد
فعضت الفتاة شفتها وقالت : « حسنا فعلت .. اننا سنكون فى باريس فى الاسبوع المقبل ، فالافضل أن تسافرى بقطار المســـاء وتنتظرينا فى (الشقة) .. »
ثم أعطت الفتاة نقودا ، وبعد خروجها جلست جان ساعة أمام نار الموقد المتوهجة تحدق فى أغوارها الحمراء

ونهضت أخيرا وقد تيبست عضلاتها قليلا فأسدلت الستار الحريرى على النافذة ، وأضاءت النور ، كما أضاء وجهها بابتسامة جميلة غاوية ، فلقد أثمرت تلك الساعة ثمرتها ، وهبط عليها الوحى

وذهبت تطلب أباها فى مكتبه وسردت عليه تفاصيل خطتها ، فبهت لونه وسرت في جسده القشعريرة من هول ما سمع



وقد كان يبدو للمستر بريجرلند غاية أخرى في الحياة غير مجرد بعث طبقات المجرمين بعثا جديدا ، فهو قد كان باحثا اجتماعيا ، وهو لقب يطوى تحته كثيرا من استقصاء أحوال الناس · وقد سبق له نشر كتاب فى هذا الموضوع ، يطالعك اسمه على جلدته ، وأثنى عليه النقاد في معرض الكتب · ولكنه ، والحق يقال ، لم يكن له من الكتاب غير عنوانه ، أما محتوياته فمن انشاء كاتب دفعته اعتبارات خاصة الى أن يسمح لمستر بريجرلند بتبنى بنات أفكاره

وفى صبيحة اليوم التالى وقد أضاءت شمس صفراء باهتة غرفة مائدته ، وضع مستر بريجرلند صحيفة الصباح على المائدة ورفع بصره الى ابنتـــه الجالسة على الجانب الآخر منها ، وكان قد تلقى فى الصباح الباكر رسالة تليفونية من مدير ناديه ، فسألها قائلا :

ــ هل تذكرين ذلك الرجل الذى يدعى تالموت ، يا عزيزتى ؟

فاومأت موافقة ، ورفعت رأسها بسرعة قائلة : « نعم أعرفه ، فماذا جرى له ؟ »

فأجاب مستر بريجرلند :

ــ انه فى المستشفى ، وقلبى يحدثنى بأنه وهوجنز ذهبا لتنفيذ مؤامرة دنيئة حاولا من أجلها دخول مسكن بعمارة فى ميدان كافنديش فزلت قدم تالموت المسكين ، فسقط من حافة نافذة الطابق الرابع ، فكسرت ساقه ، وحمله هوجنز الى المستشفى

فمدت الفتاة يدها فتناولت قطعة من لحم الخنزير الســـاخن وقالت فى هدوء :

ــ ليت رقبته كسرت ·· أظن أن البوليس يقوم الآن بالبحث ؟

فعاجلها مستر بريجرلند مطمئنا : « لا ، لا ، ان أحدا لا يعرف شيئا عن هذا الحادث ، حتى ولا الساكن السعيد الحظ الذى يبدو انهما كانا يريدان سرقة مسكنه ، وانما علمت بالحادث من مدير النادى الذى يحصل على هذا اللون من المعلومات ، وقد ظن ان هذا الموضوع ربما يهمنى »

وبعد هنيهة قالت جان : « أنا مسرورة على كل حال لفشلهما ، فانى لم

أشعر بارتياح لفكرة قيامهما بهذه المحاولة ، لأن هوجنز وزميله من نوع اللصوص الخطافين الذين لا يصلحون لمثل تلك المهمة »

ومما هو جدير بالملاحظة ان الأب كان شديد الحرص فى اشاراته الى جميع مغامراتهما ، ويلف حديثه عنها فى أساليب من الكنايات لم تحاول ابنته مطلقا تقليده فيها ، وتقرر بعض نظريات علم النفس ان حرص مستر بريجرلند وكناياته دليل على انه لم يزل به اثارة من عنصر الخير الذى لا أثر منه مطلقا فى جهاز ابنته الخلقى • وقد قطبت جبينها وعلته الحيرة وهى تستطرد :

ـ لقد بذلت جهودا كبيرة لمعرفة حقيقة هذا الرجل ، جاجز ، ولا أزال مع ذلك في حيرة من أمره • فهو يذهب كل ليلة مستقلا سيارة أجرة لتسلم عمله فى ميدان كافنديش ، ويأخذ السيارة أحيانا من سنت بانكراس ، وأحيانا من بوستن ، وأحيانا أخرى من محطة جسر لندن

ـ ربما كان من رجال البوليس السرى ؟

ـ لا أدرى ، على انه لو كان منهم فأنه لابد أن يكون مقر عمله فى الريف ، لانه ليس من رجال سكوتلانديارد قطعا ، لا من رجاله الحاليين ولا من السابقين ، فقد بحثت فى سجلاتهم فلم أجد بها من تطابق أوصافه أوصاف هذا الرجل

وكأنما قد مل الوالد من هذا البحث فقال : « ستعرفينه يوما ما »

ثم أخرج ساعته ونظر فيها واستطرد : « ان موعدى فى نوروود فى الحادية عشرة »

ولحظت عليه ابنته الضجر من هذا الموعد فقالت :

ـ هل تحب أن أذهب أنا للقيام بهذه المهمة ؟

وكان مستر بريجرلند يفضل لو استطاع التخلص من تلك المهمة الثقيلة على نفسه ، ولكنه لا يجرؤ على التصريح بذلك فسارع الى اجابتها قائلا :

ـ انت يا عزيزتى تذهبين ؟ اننى بالطبع لا أرضى بتعريضك لمثل هذه الأمور • وعدا ذلك أنى كما تعلمين معنى بدراسة هذه المسائل

ثم جرع كأسين كبيرين من البراندى قبل خروجه من المنزل

وهبط من سيارته أمام بوابة حديدية لبناء من الطراز القديم تحيط به جدران عالية ، وسمح له الواقف بالباب بالدخول بعد فحص أوراقه • وقاده الى رجل تقدمت به السنون ولم يبد عليه انه مقدر لشرف الزيارة التى يقوم بها مستر بريجرلند له فقال يخاطبه :

ـ لن أستطيع مع الأسف أن أطوف بك يا مستر بريجرلند لأن عندى موعدا فى البلد ، وسيتولى مساعدى الدكتور كيريو هذه المهمة ويزودك بكل ما يلزمك من معلومات عن المصحة ، وان كنت أرى ان مثل مصحتنا الخاصة المحدودة قد لا تيسر لك المادة التى تنشدها لكتابك وتجدها بلا شك فى

المصحات العامة ، فأن المرضى الذين يجيء بهم أهلوهم الينا هنا من النوع الثائر كما ترى بنفسك ، فهل هذا هو ما تريده ؟

فأومأ مستر بريجرلند موافقا ، وكان يعرف تماما ان مرضى العقل الذين تضمهم هذه المصحة من أشد مرضى هذا النوع خطرا .

وكان الدكتور كيريو اخصائيا فى أمراض العقل وشابا متحمسا لفنه ، فقال لصاحبه وهو سائر به : «هل تعجبك رؤية الحالات الدائمة الهياج ؟ »

واستغرق طوافهما زهاء الساعتين شهدا خلالهما مناظر تفتت الأكباد ، ولكن مستر بريجرلند لم يصب بسوء ، فقد كان قلبه مصنوعا من مادة غير قابلة للكسر

ووقفا أخيرا على حافة ساحة كبيرة للرياضة انتثر فى أرجائها بضعة من المرضى الأقل خطرا . ولم يكن ثمة حرس على أحد من تلك المجموعة الا رجلا واحدا منهم كان يسير والى جانبيه حارسان فارعا الطول والجسم مرتديان ثيابا رسمية ، فسأل بريجرلند مشيرا اليه : من يكون هذا ؟

فأجاب الاخصائى فى رحابة صدر : « هذه حالة محزنة حقا، فهذا الرجل طبيب وزين له مرضه حب القتل ، ومن حسن حظه ان أمره قد كشف قبل أن يرتكب أى جريمة ، والا لكان الآن فى المصحة الملحقة بسجن برودمور »

وعاد مستر بريجرلند يسأل : ألا تخافون أن يهرب أحد هؤلاء الناس ؟

فأجاب الطبيب : لقد ألقيت هذا السؤال من قبل ، وقلت لك لا ، اننا لا نخشى شيئا من ذلك ، فان مصحة الأمراض العقلية ليست سجنا ، والهرب لا يتم الا بمساعدة من الخارج ، وليس هناك من أحد يساعد مخبولا على الفرار . وفيما عدا ذلك فالخروج من هذه المصحة أيسر بكثير من الخروج من سجن ، لأنه ليس عندنا دوريات للحراسة ، والعنابر يمكن فتحها من الخارج بلا مفتاح

واذ لاحظ الطبيب ان الزائر يطيل النظر الى الطبيب المريض قال له : « هل تحب أن تتحدث الى الدكتور ثن ؟ »

وتردد مستر برنجلند قليلا ثم أجاب : نعم ، أريد ذلك

ولم يكن فى مظهر هذا المريض ما يدل على خطر ، فقد كان رجلا أبيض اللون ، ملتحيا ، تميل عيناه الى الزرقة ، وقد مد يده الى الزائر فى حرارة، فتلقاها مستر بريجرلند بعد لحظة تردد ، واذا به يجد يده فى قبضته مثل قوة « المنجلة » . وتبادل الحارسان النظرات مع طبيب المصحة ثم ابتعدا . وقال الدكتور كيريو فى مثل الهمس للزائر الباحث النفسى :

ـ يخيل لى انك تستطيع أن تتحدث اليه بلا خوف

وسمع المريض هذا التعليق فضحك ، وقال : « بلا خوف ولا محاباة ولا

تحامل ، تماما كالقسم الذى كان ضباطى يؤدونه فى المحاكم العسكريةالتى كنت أعقدها لهم »

وقال الدكتور كيريو مفسرا : « لقد كان الدكتور هو القائد الأعلىللحملة التأديبية التى أصيب فيها الايطاليون بخسائر فادحة فى كابيريتو »

وهز الدكتور ثن رأسه بالموافقة واستطرد : « أنا طبعا برىء من الدماء التى أريقت فى تلك الحرب التى لم يكن منها مفر ، فأنهم أجلسوا النساء فى المحاكم العسكرية التى كنت أقيمها »

وكان يبدو عليه الجد والوقار وهو يتكلم ، وراح يضغط بأصبعين كطرفى الكماشة علىذراع مستر بريجرلند وهما يسيران جنبا الى جنب ومن خلفهما الطبيب والحارسان على مسافة قصيرة . وغمغم مستر بريجرلند ردا على محادثه : طبعا ، طبعا !

واستطرد الدكتور ثن : « ووضعهم اياى هنا ما هو الا جزء من المؤامرة التى تدبرها الحكومة الايطالية ضدى ، فأنهم بطبيعة الحال يريدون أن يحموا منى أعدائى الذين أعتقد انهم موجودون الآن فى لندن »

فسحب مستر بريجرلند نفسا عميقا ، وقال بصوت متحشرج : « انهم فى لندن ، ومن حسن الحظ انى أعرف محل اقامتهم »

فقال الآخر ببساطة : أحقا ما تقول ؟

ثم قطب وجهه ، واستطرد متألما : سيظلون بمنجاة من انتقامى ما دمت محجوزا بين هذه الجدران بدعوى اننى مجنون

ونظر الزائر خلفه فرأى الثلاثة التابعين أبعد من أن يصل الصوت اليهم، فقال :

– هبنى جئتك غدا فى الليل لأعاونك على الهرب ، ففى أى قسم تقيم ؟

فالتمعت عينا الدكتور ثن وأجاب : « رقم ٦ »

وسأل مستر بريجرلند للاطمئنان : « لعلك لا تنسى هذا الموعد »

وهمس الطبيب المريض فى أذنه قائلا : « ستحضر غدا فى الليل ، قسم رقم ٦ ، أول حجرة الى اليسار ، لا تخلف الميعاد والا ... »

فقاطعه مستر بريجرلند معاجلا : لن أخلف الميعاد ، وسترانى عندما تدق الساعة اثنتى عشرة دقة

فتمتم ثن : « لابد انك المارشال فوش »

ثم ما لبث أن غير بمكر المجنون موضوع الحديث حين سمع صوت الاخصائى والحارسين يقترب منه لما لاحظوا عليه من هياج ، فاستطرد قائلا: «صدقنى يا مستر بريجرلند ان خطة الحلفاء الحربية كانت كلها خطأ عندما تسلمت منهم القيادة العامة .. »

وبعد عشر دقائق كان مستر بريجرلند جالسا فى سيارته عائدة به الى

داره ، وأنفاسه المتلاحقة ودقات قلبه المروع تسابق عجلات السيارة

وكانت جان قد قالت له انه ربما يضطر لزيارة بضع مصحات قبل أن تتاح له الفرصة للعثور على الرجل المطلوب ، وها هو قد حقق بغيته من زيارة واحدة ، ومع ذلك كانت فرائصه ترتعد كلما تذكر ما لا يزال عليه أن يصنعه غدا عندما يعود الى المصحة فيتسورها مع انتصاف الليل ، ويخرج منها فى صحبة مجنون !

وقص قصته على جان مبتدئا بقوله : « من أول زيارة يا عزيزتى جان ، هل تصدقين ؟ » ، وتوهج وجهه الداكن بزهو الاطفال ، بينما كانت هى تستمع اليه فى نصف ابتسامة ، فلما انتهى قالت : « هذا هو ما كنت أتوقعه .. لقد أنجزنا النصف الذى لا يحتاج الى مهارة من الخطة .. »

فقاطعها مستهجنا : النصف الذى لا يحتاج الى مهارة !

فهزت رأسها مستطردة: « النصف الذى يحتاج الى مهارة هو تعليل زيارتك للمصحة وحديثك مع هذا المجنون نفسه عندما يذكر اسمك فى التحقيق ، ولماذا وكيف اتفق هروبه ووصوله الى ميدان كافنديش على أثر تلك الزيارة .. ولكن لندع هذا الآن ، فقد حان موعد زيارتى لمسز ميريديث »



جريمة مجنون

شيء واحد كان يحير ليديا ميريديث ويغيظها أكثر من سواه ، هو عدم تحقق ظـــاهرة سبق أن تنبأت لها جان بريجرلند بضرورة وقوعها • فقد قالت لها جان يوما فيما يشبه المداعبة ان جاك جلوفر سيتلمس الاعـــذار لرؤيتها كل يوم فى دارها الجديدة ، بينما الذى حـــدث هو انه لم يزرها مطلقا في هذه الدار ، بل انها منذ نقلت اليها لم تجده يوما فى مكتبه عندما كانت تذهب الى مكاتب شركة « رينيت وجلوفر وسمبسون » فى شأن من شئونها ، وانما كان مستر رينيت ، عميـــد الشركة ، هو الذى يستقبلها ويؤدى لها طلباتها ، وكلما سألته عن جلوفر أجابهـــا أنه بالمحكمة لانجاز بعض الشئون ، أو قال لها انه ذهب الى بيته

ومن الناحية الاخرى كانت مسز مورجان قد سوت مشاكلها وجاءت الى الدار فأراحت ليديا من كل مسئولية فى هذه النـــاحية • وبرهنت الخادم الجديدة على انها من النوع الذى يمكن الاطمئنان اليـــه ، فكان كل شيء من ناحية الدار يجرى فى طريق باعث على الارتياح التام ، فيما عدا ذلك التطفل الليلى من العجوز الصموت ، جاجز

وكانت ليديا قد بدأت تعتاد الغنى ،وقد يكون اعتياده من أسهل الامور ، فقد وجدت نفسها تتفاوض على شراء دار صغيرة فى شارع كيرزن ، ومنزل يغل دخلا فى ســـومرست ، وما راعها الا انها كانت تتناول هـــذه الامور برباطة جأش الاثرياء فى تداول الصفقات !

وكان شراء أول سياراتها ، ثم استخدام سائقها ، من التجـــارب التى اهتزت لها جوانب نفسها • كما كان من هزات الفـــرح الخفي التى راحت تنتابها بين الحين والحين ما كانت تحصل عليه من مبالغ جسيمة من المصارف بمجرد وضع امضائها على جزازة مستطيلة من الورق

وقالت لها جان بريجرلند وهى تجيـــل الطرف فى حجرة الاســـتقبال الوردية اللون :

ــ انه مسكن جميل ، تكاد أثاثاته أن تكون قد نسقت لأجلك ، وان كنت لا أشك فى أن الدار التى ستؤثثينها بنفسك ستكون أروع من هذه وأبدع

ذلك ان جان كانت قد خاطبت ليديا فى صبيحة يوم قائلة لهـــا انها قد تزورها فى مسائه اذا لم تكن مشغولة أو مرتبطة بموعد آخر ، وهكذا كانت الفتاتان خالصتين لنفسهما فى تلك اللحظة ، فأجابت ليديا موافقة :

ـ انه سكن ظريف ، واذا تركته يوما فانى سأشعر بالأسف ، فالهدوء هنا شامل ، والسكون يجعل النوم متعة ، ولم يحدث أن صحوت على ضجة أو صياح الا يوما واحدا وقع فى صباحه حادث أليم

فسألتها جان وهى تقلب الشاى : « وما ذاك ؟ »

قالت ليديا : « لم أعرف حقيقة ما حـدث بالضبط ، ولكنى سمعت فى الصباح الباكر أنينا موجعا ، فنظرت من نافذتى فرأيت رجلين فى الفنـاء وأحدهما على ما أظن مصاب اصابة بالغة ، ولكنى نسيت الحادث فلم أذكره الا بمناسبة الحديث عن هدوء هذا المكان »

قالت جان : « لابد أنهما عاملان ، أو كانا رجلين سكرانين ٠٠ »

ثم نقلت الحديث الى وجهة أخرى فاســـتطردت قائلة : « انى لا أحب المساكن المفروشة مطلقا ، فانه لابد من أن تكسر بعض الاشياء ، وفى النهاية يتلقى الواحد قائمة كبيرة بأثمان ما انكسر ٠ ثم هناك المفـــاتيح ، وبعض الكوالين لها مفتاحان أو حتى ثلاثة ، فكوني على حذر شديد من هذه الناحية يا عزيزتى ، فانهم يطالبون بأثمان غير معقولة لبعض المفاتيح

قالت ليديا : « أظن أن وكيل صاحب البيت سلمنى ثلاثة مفاتيح »

ونهضت فسارت الى «دولابها» الصغير ففتحت أحد أدراجه واستطردت :

ـ نعم ، ثلاثة ، هنا واحد،وواحد أحمله معى ، والثالث مع مسز مورجان

وانتقلت جان بالحديث الى موضوع آخر ، فلم تكن تتابع الكلام عن أمر بأكثر من جملة عابرة ، فقالت :

ـ هل رأيت جاك جلوفر قريبا ؟

فابتسمت ليديا وهى تجيب : « لا ، لم أره ولم يزرنى هنا مطلقا،وهكذا لم تتحقق نبوءتك ».

قالت جان فى غير اكتراث : « لابد أنه مشغول ! صدقينى انه رجـــل ظريف ، وكان من الممكن أن أحبـــه كثيرا لولا شغفه باصدار الأوامر الى الناس ٠٠ آه ! ما أغبانى »

ذلك أنها كانت لمست بيـدها فنجان الشاى فقلبته ، وانطلق السـائل الذهبى يجرى على مائدة الشاى الصغيرة ، فأخرجت جان منديلها بسرعة ، وحاولت وقف انسياب السائل ٠ فنهضت ليـــديا مسرعة وأمسكت بيد ضيفتها التى فيها المنديل وقالت :

ـ أرجو منك أن لا تتلفى منديلك هذا الجميل ، سآتى حالا بمنشفة

وخرجت ليديا تعدو من الغرفة ، وعادت فى الحال ، فوجدت جان واقفة وظهرها الى « الدولاب » وقد نشرت المنـــديل بين يديها تتفحص مبتسمة ما أصابه من تلف ، فقالت لها ليديا :

ـ دعينى أضع المنديل فى الماء فورا حتى لا تتخلف به بقعة

فضحكت جان ودست المنديل فى حقيبتها قائلة : « شكرا ! انى أفضل أن أغسله بنفسى »

وقد كانت هنـــاك أسباب كثيرة تمنع وصول المنديل الى يدى ليديا • وأهم هذه الاسباب هو أن المفتاح الذى خطفته جان من درج «الدولاب» أثناء غياب مضيفتها كان فى ثنايا تلك القطعة الفنية من النسيج الغالى التى بللها الشاى ••!



وفى اليوم التالى جرت مقابلة فى دار اسكوتلنديارد بين أحد كبار الموظفين وبين جاك جلوفر خسر فيها المحامى قضيته برغم ما تذرع به من الصـــبر والأناة والمهارة فى سوق أدلته على ريبه وشكوكه التى نضجت فاستوت على سوقها اتهامات محددة ، ولم يكد يواجه بها صديقه الموظف الكبير فى سكوتلنديارد حتى قال له :

ــ لقد مضى على فى مكانى هـــذا خمسة وعشرون عاما استمعت خلالها لتفاصـــيل حوادث تفوق فى حبكتها أروع القصص لأعظم الكتاب وأبدع المؤلفين ، وتحدثت الى محتالين ونصابين ومزورين وســـائر المجرمين من أصحاب المهن المختلفة ومن جميع الطبقات ، فلم أجد يوما ما هو أبعد وأغرق استحالة من نظريتك • والواقع انى التقيت بمحض المصادفة بالمســـتر بريجرلند كما قابلت ابنته فلم تقع عينى على أجمل منهـــا وقد ملئت نفسى سرورا وغبطة برؤيتها

فتأوه جلوفر تأوها عميقا حتى ظنه محدثه مريضا فسأله : « ما بك ؟ »

فأجاب جاك : « لا شىء يا سيدى سوى انى سئمت من تكرار الاشارة الى جمال جان بريجرلند كلما أردت أن أتناول بالحديث جرائمها ، فما من أحد الا ويذكر لى ذلك الجمال احتجاجا على أدلتى الدامغة ضدها ••• »

فقاطعه كبير سكوتلنديارد : « أدلتك الدامغـــة ! انك لم تقدم لى شيئا يصلح حتى أن يتخذ قرينة أو شبهة يقوم البحث على أساسها »

قال جاك مستيئسا : « ان تاريخ آل بريجرلند نفسه فيه الكفاية ، فقد كان مستر بريجرلند مفلسا حين تزوج الآنسة ميريديث ، أم جان، وخدعها يومئذ بأنه يوشك أن يضع يده على ارث كبير، كما كان هو نفسه مخدوعا فى أنها الوارثة الوحيدة لثروة أبيها العريضة • ثم عاش مع زوجته ولا عمل له ولا صنعة الا الاحتيال حتى بلغت ابنته هذه الخامســـة عشرة ــ وكانت أمها قد توفيت ــ وما زالا يقيمان فى دار حقيرة فى ايلنج ، وحتى هـــذه الدار الحقيرة كثيرا ما تراكم عليهم ايجـــارها ، الى أن تعرف الأب الى ثرى استرالى فى حوالى الاربعين من العمر، وقد وقع فى أسر الفتاة واشتعل قلبه بحبها ، وعلى حين فجأة مات ذلك الاسترالى ••• »

فقاطعه رئيس البوليس : « من جرعة قوية من الفيرونال كما ثبت من التحقيق ، فانى عندما تسلمت خطابك أمرت باحضار أوراق التحقيق فى ذلك الحادث ، وقد ثبت فيه أن الرجل كان قد اعتاد تعاطى الفيرونال . أما ادعاؤك بأنه قد اغتيل فلا يقوم عليه دليل ، وخاصة وقد تبين أيضا أنه أوصى للفتاة بستة آلاف جنيه من حر ماله »

قال جاك : « ولكن بريجرلند كان يظن أنه أوصى لها بثروته كلها »

وقال رجل البوليس : « هذا حدس وتخمين ، فلننتقل الى غيرها »

واستطرد جاك : « بعد ذلك نقل بريجرلند سكنه الى الغرب ، ولما بلغت الفتاة سبعة عشر عاما تعرفت الى رجل يدعى جنسبرى ، وسرعان ما جن بها ، وكان تاجرا قد جاوز سن الشباب ومتزوجا وله أولاد . وقد بلغ من هيامه بها أن جمع فى عجلة ما أمكنه جمعه من أمواله ، وقدر ذلك بخمسة وعشرين ألفا من الجنيهات وغادر لندن قاصدا الى أوربا حيث كان المفروض أن تسبقه جان اليها ويلحق هو بها فى كاليه ، ولكنه لم يصل مطلقا الى ذلك الثغر الفرنسى ولا الى سواه ، وانما عثر على جثته فى ميناء دوفر الانجليزى ، وقيل يومئذ أنه سقط من السفينة فى البحر ، ولكن لم يوجد فى ثيابه أثر للنقود التى سحبها من المصارف قبيل سفره »

فهز رئيس البوليس رأسه وقال : « لقد انتفت كل شبهة عن الفتاة فى هذا الحادث لثبوت وجودها فى لندن فى ليلة وفاة ذلك الرجل ، وأثبت المحقق بما تجمع لديه من معلومات أن الحادث كان انتحارا »

وواصل جاك اتهاماته قائلا : « وبعد سنة من ذلك الحادث دبرت جان لقاء بينها وبين ابن خالها جيمس ميريديث الذى كان قد مات أبوه وهو فى أفريقيا الوسطى فعاد لتسوية ميراثه ، وكان رجلا يجهل كل شىء عن النساء ، ولا هم له فى الحياة الا الصيد ، وقصة ميريديث أنت تعرفها »

فسأله الرئيس فى أدب : « أهذا هو كل ما لديك ؟ »

— هذه هى الحقائق التى أمكننى جمعها ، ولابد أن تكون هناك حوادث أخرى قد لا يتيسر للباحث الكشف عنها بسهولة

— وما الذى يتراءى لك انى أستطيع عمله ؟

فابتسم جاك بمرارة وقال : « الواقع انى لا أمل لى فى أن تعمل أنت أى شىء مطلقا ، فانه يبدو لى انك مقتنع بعكس آرائى »

فوقف الرئيس ايذانا بانتهاء المقابلة وقال :

— كان بودى أن أقدم لك كل معونة اذا كنت قد وجدتك فى حاجة اليها ، ولكنك اذ تحضر الى هنا لمجرد أن تقول أن الآنسة بريجرلند ، الفتاة التى تظهر براءتها على وجهها ، انما هى مجرمة وقاتلة ومتآمرة ، فذلك يا مستر جلوفر ما لم أكن أتوقعه منك

فهتف جلوفر بحدة قائلا : « اذن فأنا أطلب منك حماية مسز ميريديث ،

ولتذكر يا سيدى انى حذرتك من أن المسز ميريديث قد تموت احدى تلك الميتات العرضية التى تخصص فى تدبيرها المستر بريجرلند وابنته ، وانى أسجل عليك هذا التحذير وألقى عليك مسئولية ما يقع لليديا ميريديث من مكروه »

واستعاد جاك جلوفر هدوءه فى الظاهر ، وانطلق سائرا على ضفة نهر التيمز محاولا أن يستنشق من الهواء ما يعيد الى رئتيه نشاطهما. واستوقف فى طريقه بائعا للصحف فاشترى منه صحيفة ثم استقل عربة وأعطى سائقها عنوان المكتب بينما جلس هو يقلب الصحيفة فى غير اهتمام جلى ، واذا به يقرأ فى صفحة الاخبار الرئيسية النبأ التالى :

« هرب مخبول خطر »

« أبلغ مدير مصحة نوروود للامراض العقلية أن الدكتور الجرنون جون ثن ، من نزلاء المصحة ، قد فر الليلة الماضية ، والمعتقد أنه لا يزال يطوف بالحى المحيط بالمصحة . وقد نظمت فرق للبحث عنه فى كل مكان ، ولكن لم يعثر عليه حتى كتابة هذه السطور. والمعروف عن هذا المريض أنه ميال للقتل بطريقة الخنق ، وهذا مما يجعل الحاجة ماسة الى اعتقاله واعادته الى المصحة فى أقرب وقت »

ويلى ذلك وصف للمخبول الهارب . وانتقل جاك الى موضوع آخر فى الجريدة ، ولم يعلق بذهنه شىء عن هرب ذلك المخبول . ولكنه لم يكد يصل الى المكتب حتى وجد زميله الكبير المستر رينيت يذكر له ذلك النبأ فى اهتمام بالغ ، فد كانت داره واقعة فى المنطقة المحيطة بالمصحة التى قالت الصحف انه يغلب وجود المخبول الخطير فيها . واستطرد المستر رينيت قائلا : « ان النساء عندنا يكاد الخوف يقتلهم ، فلا خروج فى الليل ، ولا ترك الباب مقفلا بالأكرة ، بل لابد من المفتاح والمزلاج حيث وجد .. ولكن دعنا من هذا ، وقل لى كيف كانت مقابلتك مع القوميسير ؟ »

أجاب جاك : « لقد افترقنا أصدقاء ألداء ، وتالله يا رينيت ، يخيل الى أننى لابد يوما قاتل من يذكر لى شيئا عن وجه جان بريجرلند الجميل ، وليكن ما يكون ... ! »



وفى تلك الليلة وصل جاجز الرهيب متأخرا عن المعتاد ، وسمعت ليديا خشخشة سيره فى الممر ، ثم تلاها صوت اقفال باب غرفته . وكانت جالسة الى البيان تلعب فى أخفض الاصوات ، فسكتت عن العزف ، ونقرت مسز مورجان على الباب ثم دخلت لتعلن وصول جاجز ، فأغلقت ليديا البيان ، ونهضت واقفة ، وقالت فى اصرار :

ـ هذه هى آخر مرة يحضر فيها هذا الرجـــل يا مسز مورجان ! اننى لا أطيق فكرة وجوده · أعصابى تتحطم ، وأكاد أصيح كلما خطر ذكره ببالى

وأرادت مسز مورجان أن تلطف من حدة الموقف ، فقالت : « انه عجوز طيب القلب »

وواصلت ليــــديا اصرارها قائلة : « ان خلقه لا يعنينى فى كثير ، وأنا أسلم بأنه من هذه الناحية لا عيب فيه ، ولكنى بعثت برسالة الى مســـتر جلوفر أبلغته فيها انى قد استغنيت عن خدماته »

فسألتها مسز مورجان : « وماذا يعمل هنا ؟ »

ـ هو هنا ، لأن ··· حسنا ، لان مستر جلوفر يرى انه لابد من وجود رجل فى البيت يحافظ على

ففزعت مسز مورجان وسألت : « ولماذا يا سيدتى ؟ »

فأجابت ليديا فى عبوس : « يحسن بك أن توجهى هـــذا السؤال الى مستر جلوفر »

وفى الحق كان الغيظ قد أخذ منها كل مأخذ ، وجعل كل عرق فيها ينبض كلما طاف بخيالها أن وجود جاجز هو مظهر سلطان جاك الذى يفرضه عليها بدون وجه حق ، ولا ريب أن جان بريجرلند تعرفه تماما لانها قالت لها انه لا عيب فيه الا حبه اصدار أوامره للناس ، واجبارهم على طاعته

وعادت مسز مورجان أدراجها ، وبدأت ليديا تغير ثيابها استعدادا للنوم ، وما زال اصرارها على التخلص من جاجز هو محور تفكيرها حتى تمددت فى سريرها وأطفأت النور وعلى طرف لسانها « لابد من خروج جاجز ، فهذا هو الحل الوحيد للتخلص من هذا الوضع المهين » !

وفزعت مستيقظة من نومها دون أن يكون هنـــاك حلم مزعج ، ودقت الساعة فى الردهة ثلاث دقات ، واذا بعينيها تحدقان فى النافذة التى كانت مسز مورجان قد أسدلت عليها ستارتها فلم تبق من النافذة مكانا مفتوحا الا مسافة ضيقة فى أسفلها ، ولكنها كانت الآن مفتوحة على آخرها ! وأول ما خطر لها لتتقى هذا الفزع هو اسم « جاجز » ! وسرحت بفكرها فعجبت كيف تتناقض فى نفسها فتصر على التخلص منه ، ثم لا تفكر الا فيـــه اذا حزبها الأمر !

وخطر لهـــا انها ربما كانت تحت تأثير أوهام ، فانها لم تر شيئا يؤيد ما اعتراها من خوف · وكانت زوابع النصف الاول من الليل قد سكنت ، وأرسل القمر المختفى وراء السحاب هالة باهتة من الضوء من خلال النافذة · وفجأة رأت ليديا شبحا يتحرك وراء الاستار ، ففتحت فمها لتصرخ ، ولكن الخوف عقد لسانها ، وعادت الستائر تتحرك ، ثم خرج من ورائها انســان وقف هنيهة منتصب القامة مجيلا ناظريه فى الغرفة

وقفزت ليديا من الناحية الاخرى من السرير البعيدة عن الرجل وجرت



« وفجأة رأت ليديا شبحاً يتحرك وراء الأستار »

نحو الباب ، ولكنه كان أسرع منها اليه ، وقبل أن تتمكن من الصراخ قبض على عنقها ودفعها فألقاها على حافة السرير • وفيما هي تحملق فيه بعينين يطرفهما الرعب أحست قبضته الخانقة تتراخى من حول عنقها ورأته ينفث شيئا سميكا من فمه ثم يسقط بلا حراك الى جانب سريرها • وظهر خلفه رجل طويل يتراقص فى عينيه فرح الجنون ، وقد جعل يمسح فى كم قميصه السكين ذات المقبض الطويل التى طرحت مهاجمها الاول أرضا

لقد كان هذا القادم الجديد مجنونا بغير شك كما أنبأتها بذلك غريزتها• وزادها يقينا بذلك ما تذكرته فى هذه اللحظة وهو أنها قرأت الخبر الذى نشرته الصحف عن هرب مخبول من المصحة القريبة ، فحاولت أن تقفز هربا منه نحو الباب ، ولكنه أمسك بها طى ذراعه اليسرى ، ومال بصدره ورأسه وكتفيه جميعا من فوقها وحدثها فى كبرياء قائلا :

ـ بأى حق تبيحين لنفسك الجلوس فى مقاعد القضاة بمحكمتى العسكرية؟

وعند ذاك أضىء نور الغرفة وظهر جاجز واقفا ببابها شاهرا مسدسه ذا الماسورة الطويلة ، وقال :

ـ ألق هذه السكين والا ألقيتك أنت مكانها

واستدار الطبيب المخبول ناظرا الى محدثه وألقى السكين من يده وهو يجيب :

ـ أسعد الله صباحك يا جنرال ، لقد جئت فى الوقت المناسب، وسننظر فى أمرها طبقا لما تقضى به القوانين



اللص الجريح

حادث محزن في وست اند

طبيب مخبول يطعن لصا في غرفة نوم سيدة كريمة

« أسفر حادث هرب الدكتور ثن من مصحة نورورود ، الذى روينا نبأه أمس ، عن نتائج غريبة ومحزنة فى وقت واحد. فقد تلقى ضابط المباحث ميللر فى الساعة الرابعة من صباح اليوم اشارة تليفونية قصد على اثرها الى الطابق الأعلى بالمنزل رقم ٨٤ بميدان كافنديش حيث تقيم مسز ميريديث وحيث وجد الطبيب المخبول الهارب وألقى القبض عليه . ولكنه وجد فى الغرفة أيضا رجلا يدعى هوجنز من المعروفين لرجال البوليس مصابا اصابة بالغة وملقى على أرض الغرفة والدماء تسيل من فمه

« ويبدو أن هوجنز تدلى بحبل من السطح ودخل من نافذة غرفة النوم قاصدا السرقة ، فلما رأى مسز ميريديث قد استيقظت على صوت وقع أقدامه حاول قتلها وكاد يصل الى غرضه لولا وجود الدكتور ثن الذى لم يكشف بعد عن طريقة دخوله « الشقة » . وأسفر النضال الذى وقع بين الرجلين عن اصابة اللص اصابة لا يرجى له البرء منها . واذ خلا الجو للدكتور ثن من خصمه تحول نحو السيدة واعتنقها محاولا الفتك بها لولا ان حظ السيدة الحسن أسعفها برجل عجوز يعمل فى مسكنها وكان نائما فأيقظه صوت النضال بين اللص والطبيب المخبول فهب الى نجدة السيدة ونجح فى انقاذها من قبضته الجنونية .

« ونقل اللص الجريح الى المستشفى ، واقتيد الطبيب المخبول الى دائرة البوليس حيث أفضى بأقوال مشوشة ذكر فيها ان المارشال فوش ساعده على الهرب وسار به الى المنزل الذى وجد فيه. وقد أعيد بعد ذلك الى المصحة فى حراسة شديدة »

هذا هو الخبر الذى قرأته جان بريجرلند فى جريدة الصباح فانطلقت ضاحكة :

وصاح أبوها محنقا : « أى شىء فى هذا يثير الضحك ؟ »

فأجابت الفتاة في هدوء عجيب : «أضحكنى اقدام ذلك الغبى على الذهاب وحده ليفوز بالغنيمة ، وقد نال جزاء غروره وغفلته »

قال مستر بريجرلند : « أخشى أن يتذكر ذلك المجنون اسمى ويفضى به»

فأجابت الفتاة بصبر نافد : « وماذا تكون النتيجة لو حدث ذلك ، ومم تخاف ؟ »

قال : « أولم تقولى يوم ذاك ٠٠٠ »

قالت : « كان ذلك صحيحا يومئذ لاننا لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهذا الاحتمال ، ولكن يلوح لى انى قد خالفت الدروس القيمة التى استخلصها من كتابى هذا الذى لا يعجبك ، حين عهدت الى غيرى تنفيذ جانب من خطتى ٠٠ آه ! جاجز ! »

فاتسعت حدقتا مستر بريجرلند وهتف : « اه ؟ ماذا تقولين ؟ »

فابتسمت ونهضت واقفة، وهى تقول : «انى أردد اسما عزيزا ، غاليا٠٠ اسمع يا أبى ، انى ذاهبة فى رحلة طويلة فى الريف ، فهل تحب أن تحضر معى ؟ ان موردن مسرور جدا بالسيارة الجديدة ، ونحن ـ على فكرة ـ لم ندفع ثمنها بعد ، فهل بقى لدينا نقود ؟ »

فمسح بريجرلند على ذقنه وأجاب : « ما زال عندنا بضعة آلاف ، ولكنى أحسبنا سنضطر قريبا الى أن نبيع بعض الاشياء ، اذا لم تتحسن الاحوال»

وتدلت شفتا جان ٠٠ وأمسكت عن الكلام

وفى طريقها الى الريف مرت على دار صديقتها بميدان كافنديش ٠ ولم يدهشها ولا أذهلها أن تجد هناك المستر جاك جلوفر ، وتناولت يد ليديا فوضعتها بين يديها فى حرارة وقالت : « لك الله يا عزيزتى ! لقد كدت أصعق عندما قرأت الخبر ، فكيف كان حالك أنت فى ذلك الموقف الرهيب؟»

وكانت ليديا تبدو مصفرة الوجه ، تتراقص فى عينيها الاشباح ، ولكنها مع ذلك كانت تحاول التهوين من تأثرها ، فقالت :

ـ كنت الآن أحاول وصف ما حدث لمستر جلوفر ، ومن سوء الحظ أن جاجز ليس هنا ، فهو يعرف التفاصيل أكثر منى ، فقد اعترانى ما يعترى المرأة من هلع أضاع صوابى

وسألت جان : « وكيف دخل ذلك الرجل ، أقصد الطبيب المخبول ؟ »

وأجاب جاك على هذا السؤال قائلا : « من الباب الذى كان يحمل مفتاحه، وهو ما لا ينتظر من مخبول بأية حال ٠ ولا بأس من أن أخبرك انه لم يحضر وحده ، بل كان معه شخص أشعل عودا من الثقاب ليثق من المسكن وليضع المفتاح فى القفل »

وتساءلت جان ببساطة : « أليس من الجائز أن يكون المخبول هو الذى أشعل الثقاب بنفسه ٠٠ (ثم استدركت) ولكنك رجل ذكى ، ولا تقول شيئا الا ولديك الدليل عليه »

قال جاك : « لقد وجدنا عودين من الثقاب أمام الباب من الخارج ، ولم

يسفر تفتيش الدكتور شن عن العثور معه على علبــة كبريت • وقد علمت من الاخصائيين بعد ذلك انه ليس ما يثير الرعب في قلوب مرضى العقول ، ممن يجنحون لسفك الدماء على الأخص ، مثل رؤية النار فى أى صورة من صورها • وقد أكد لى الطبيب الذى تحدثت اليــه انه يستحيل أن يكون المخبول هو الذى أشعل الثقاب • وأذكر لك بهذه المناسبة ما علمته من أن أباك زار مصحة نوروود منذ بضعة أيام ورأى ذلك المخبول التعس

فأجابت بلا تردد : «نعم ، لقد زارها،وكنا نتحدث فى ذلك هذا الصباح، والواقع أن أبى قام بجولة فى عدة مصحات للامراض العقلية ، لانه يعتزم تأليف كتاب عن هذه المسائل•وقد ذعر أبى عندما علم بهرب ذلك الرجل ، فقد كان طبيب المصحة أخبره انه مجنــــون خطر ، ولكن من كان يظن أنه يحضر الى هنا ؟ »

وقال جاك : « وذلك الرجل هوجنز ، ألا تعرفينه ؟ انه عضو فى نادى أبيك ، أليس كذلك ؟ »

فعقصت جان حاجبيها وأجابت : « لا أذكر هذا الاسم ، على أن من الجائز ــ ما دام شريرا الى هذا الحد ــ أن يكون عضوا فى النادى الذى أنشأه أبى، له الله ، فما أحسبه سينجح أبدا فى رفع المستوى الخلقى فى ايست اند ! »

وأثارت هذه الاجابة البارعة شجون جاك جلوفر فقال :

ــ انى أوافقك على هذا الرأى ، ولكن السؤال هو هل يتاح له هو نفسه أن يرتفع مستوى خلقه فى ايست اند ؟

فابتسمت جان ابتسامة عريضة وبانت السخرية فى عينيها وقالت :

ــ يا للقسوة ! لا أدرى لماذا تكره أبى الى هذا الحد ، وهو لا ظفر له ولا ناب ••

ثم تحولت نحو ليديا وأشارت اليها اشارة اليأس واستطردت :

ــ أخشى أن يزعم جـــلوفر أن نفسى الشريرة هى المدبرة لذلك الحادث أيضا ؟

فاستضحكت ليديا وقالت : « انك يا جان أطيب مخلوق عرفتـــــه فى حياتى ، وأنا واثقة أن مستر جلوفر لا يمكن أن تمر بخاطره مثل هــــذه الافكار الضالة »

رحلة الى الريفييرا

كانت ليديا قد وعدت مسز كول مورتيمر بمصاحبتها الى المسرح ، فأحست الارتياح الى مفارقة دارها المحزنة لفترة لا بأس بها من الليل

ومع ان مسز كول مورتيمر لم تكن مسرفة فى ذلك اللون من المجاملات الذى يكلف نقودا ، فقد حجزت لوجا فى المسرح • وكانت ليديا قد شهدت المسرحية المعروضة من قبل ، بل كانت هي بعينها المسرحية التى ذهبت فى ليلة مغامرتها الأولى لتنقل منها صور الأزياء للصحيفة التى كانت تعمل فيها ، ومع ذلك فقد سرها وأزاح عنها أن تتاح لها هذه الفرصة لتجلس ساكنة صامتة طول فترة العرض ، وزاد اعجابها بمضيفتها انها كانت تدخل السرور على نفسها بحديثها ومداعباتها

وفى أثناء الفصل الأخير عرضت عليها مسز كول مورتيمر دعوة سرعان ما رحبت بها ليديا وقبلتها مسرورة •• قالت مسز كول مورتيمر :

ــ لى دار صغيرة فى كاب مارتن أحسبك ستحبينها برغم انها ليست بالمكان الفسيح • وليس من عادتى أن أذهب وحدى الى الرفيـيرا ، فاذا شرفتنى بمصاحبتى ضيفة على فانه يسرنى كل السرور أن أكون رائدتك • وقد أصدرت تعليمات بنقل اليخت الى موناكو ، فالفرص أمامنا كثيرة للتمتع بأوقات سعيدة

ولم تسأل ليديا عن اليخت ولا عن الدار ، بل تقبلتهما كما تقبلت الدعوة ذاتها من دون أن يخطر لها بحث الغاية منها • بل لم تظن ان اليخت قد استأجرته مسز كول صباح اليوم فقط وان الدار التى تزعم أنها ملكها قد استأجرتها بالتلغراف فى اليوم السابق • وكل ما كانت تعلمه ليديا ان مسز كول امرأة مفرطة الغنى ، وما كانت تعرف أن جان بريجرلند هى التى كانت تمدها بما تنفق عن سعة

وكانت اشارة عابرة من جان بأنها تريد أن تقابل شخصا ما فى الريفييرا من دون علم أبيها ، كافية لأن تقوم مسز كول مورتيمر بتدبير كل شيء لعلمها استعدادها لدفع جميع النفقات • وقد وافقت على القيام بدور الصديق للمرحوم ميريديث وأسرته اعتمادا على ذلك • وكانت مسز كول مورتيمر تعتقد بصدق ما تدعيه لغيرها ، وتمثل الشخصية التى تريدها باتقان ، ولهذا آمنت بالصداقة العظيمة بينها وبين ميريديث حين زعمتها ، كما اعتقدت أنها قد جهزت الدار واليخت فى الريفييرا من حر مالها ، وان كانت تحرث الأرض وتزرع الزرع لتحصد جان بريجرلند ثماره

وبعد المسرح ذهبت المرأتان الى ناد لتناول العشاء ٠ وفى الطريق خطر جاجز ببال ليديا ، وكانت قد تغلبت على شعورها السابق بالمضايقة منه ، وخيل اليها وهى تهبط من السيارة أمام باب النادى انها قد تراه ورحبت فى قرارة نفسها برؤيته ان كان هناك ٠ وزاد أملها فى وجود جاجز ان باب النادى كان فى شارع جانبى فى ميدان ليسستر حيث الضـــوء خافت والاركان كثيرة مما يلائم طرائق جاجز فى المراقبة ٠ ولكنهـــا لم تلمح له أثرا ، وحال الرذاذ المتساقط دون تدقيقها فى البحث عنه

ولم تكن مسز كول مورتيمر قد أخفت على ليديا احتمال وجود جان بريجرلند فى النادى ، وقد وجداها فعلا فى ركن منه بين جماعة من الشباب المرح ، فأفسحت جان مقعدا بجانبها للفتاة ، وقدمت اليها الجالسين معها بأسمائهم التى سرعان ما نسيتها ليديا ولم تذكر قط أحدا من أصحابها بعد ذلك

وسألتها جان بعد حين : هل ترقصين ؟

وكانت الموسيقى تعزف لحن رقصة الخطوتين ، فما ان أومأت ليديا بالموافقة حتى أشارت جان الى شاب طويل القامة رشيق من جماعتها ، فنهض وسار وليديا يرقصان وهو لا يفتأ يحدثها بالثناء المستطاب على جان بريجرلند

وسر ليديا ما سمعت وقالت تعليقا على الثناء المعاد : « انها جميلة جـدا ولا ريب ، وهى جديرة بخالص الحب ! »

قال الفتى الذى علمت ليديا انه يدعى اللورد ستوكر : هذا هو رأيى ، وهى عندى أجمل مخلوقة على وجه الدنيا بأسرها ! وانى لاعجب كيف يمكن أن يكون لمثلها أعداء ! وتالله لو لقيت يوما ذلك الوغد اللئيم جلوفر لاحاسبنه على ما قدمت يداه

فقطبت ليديا وجهها وعجلت بالقول : « ان مستر جلوفر صديقى »

فتمتم اللورد : آسف ، ولكن ٠٠٠

ــ هل قالت لك الآنسة بريجرلند انه رجل خبيث ؟

فسارع الفتى الى محاولة تبرئة فتاة أحلامه : لم تقل شيئا من ذلك مطلقا ، فليس من عادتها التحدث بسوء عن أحد ٠ ولكنى سمعتها تقول انها لاتدرى الى متى تظل عرضة لاتهاماته ، وانه لما يذيب القلب أن يواصل صديقك حملاته عليها

وقضت ليديا ما بقى من سهرتها ساهمة ، وبدأت ترى صورا باهتة لاشياء لم تكن تراها من قبل ، فقد يكون صحيحا ان جان لم تذكر جلوفر بسوء ، ولكنها قد استطاعت على الأقل أن تستثير هذا الفتى الى حد الحنـــق على المحامى صديقها ، كما تبينت ليديا فى شىء من الدهشة كيف استطاعت جان أن تجعلها هى نفسها مختلطة المشاعر نحو جاك ٠٠ ولكنها احتفظت بسرها وظل حديثها حلوا

وعندما عادت الى مسكنها علمت ان جاجز لم يأت بعـد على غير عادته ٠

ولكنه حضر بعد وصولها بدقائق ملفوفا فى معطف قديم من معاطف الجيش، يدل ظاهره على ان الرجل قضى المساء كله واقفا تحت المطر المتســـــاقط ، فقالت تسأله فى عطف ظاهر :

ـ أين كنت كل هذا الوقت يا جاجز ؟

فتمتم مجيبا : كنت أتسلى برؤية صغار البط وهى تسبح فى البركة

قالت كمن يوجه اتهاما : بل كنت واقفا أمام المسرح ثم منتظرا حول نادى نيرو

فأجاب : لا أدرى يا آنسة ، فالمسارح لدى كلها سواء ، وكذلك النوادى

وذهب الى غرفته فخلع معطفه ونشره على مقعد ليجففه ، حتى اذا تقدم الليل وأطفئت الأنوار سحب كرسيا وأسند ظهره الى جانب باب « الشقة» وقضى ما بقى من الليل جالسا فوقه ، وحين استيقظت ليديا فى الصباح وجدته قد ذهب كما هى عادته



وشغلت ليديا فى الأيام الاخيرة ، بعد شراء الدار التى أعجبتها فيشارع نيرزن ، بالطواف على تجار الأثاث ولاصقى ورق الجدران ومختلف الصناع والمزخرفين

وجاءت رحلة الريفيرا في أوانها ، فقد أصبح مستطاعا أن تعهد الى مسز مورجان بالاشراف على تهيئة الدار الجديدة فى الشهرين المقدرين لانجازها

أما عن جاجز فقد انتظرت على تدبير أمره حتى حضر في المساء ، فقالتله:

ـ أريد أن أخبرك يا مستر جاجز انى مسافرة الى جنوبى فرنسا بعد غد

فأجابها على طريقته : انها مكان جميل ولا شك

فابتسمت ورددت : هى مكان جميل ولا شك ، وأرجو لك اجازة طيبة أثناء غيابى ، ولكن قل لى يا مستر جاجز ، كم أدفع لك ؟

فأجابها فى أنفة : السيد يدفع لى ، السيد المحامى

قالت : حسنا ، فليستمر اذن فى دفع مكافأتك أثناء غيابى ، وبســــبيل التعبير لك عن شكرى على خدماتك التى لا تقدر أريد أن أقدم لك هديةقبل سفرى ، فأى شىء تختار يا مستر جاجز ؟

فتحسس ذقنه وحك رأسه وقال :

ـ أختار غليونا ولو انى فى غير حاجة اليه الآن ..

ومضت تلك الليلة بسلام ، وذهبت ليديا الى فراشها مبكرا فى الليــلة التالية استعدادا للسفر فى صباحها الباكر ، واستيقظت من نومها قبــل طلوع الشمس وقد أعدت صندوقا بديعا فيهعدة غلايين ذات أشكال مختلفة

اتقدمها اليه، ولكنه كان قد خرج ·· وقالت لها مسز مورجان انها نهضت من فراشها فى السادسة من الصباح فلم تجده ، وظنت المرأتان انه قد يعود ، ولكنه لم يعد · وأملت ليديا أن تراه في المحطة ساريا بين جموع المسافرين والمودعين على طريقته ، ولكن خاب أملها هذا أيضا

واستقلت هى ومسز كول مورتيمر القطار الذى انطلق بهما فى الحادية عشرة تماما ، وكانت مسز كول قد أخذت أهبتها لتقضيا يوما فى باريس، فلم تجد الفتاة بأسا من ذلك لما أحسته من حاجة الى الراحة بعد وعثاء عبور قناة المانش ، كما ان السفر نهارا سيتيح لها الفرصة لرؤية ما لم تره من تلك البلاد

وتركت وراءها باريس بمطرها وغمامها ميممة شطر الجنوب فاستقبلتها الشمس الساطعة والنسائم الرقيقة ، وتغلغل القطار فى الريف فبدت الأزاهير يانعة على جانبيه ، وكان ذلك فى شهر فبراير ، وتصاعدت الروائح العطرة فملأت الجو وانتهب السرور الزمن فوجدت نفسها على الشاطىء الأبيض المشرب بالزرقة وأمامه البحر الساكن والسماء من فوقهم قد خلت من السحاب

وبرحا القطار فى نيس واستقلا سيارة انطلقت بهما على طريق «الكورنيش» الكبير · وقالت مسز كول مورتيمر أن عليها أن تقوم بزيارة فى مونت كارلو ، فجلست الفتاة فى السيارة تنهل من جمال تلك البقعة الرائعة ريثما قابلت مضيفتها وكيل مالك الدار · وبدا لها كل شيء كأنما هو محفوظ فى اطار من زجاج فقد كان يرى غضا يانعا ونظيفا خاليا من آثار الغبار · ولم يعجبها الكازينو لأنه كان مبنيا بالحجارة والملاط ، ولا زينة عليه ولا زخرف ولا بهاء

وعادت بهما السيارة قاطعة جزءا من طريق السكة الحديد ، ثم انعطفت الى طريق لسان كاب مارتن فسارت فى طريق تحف بها القصور الجميلة وأشجار الصنوبر ، وتتفرع منها طرق صغيرة ودروب تنتهى الى وهاد لاترى من الطريق الرئيسى ، وأخيرا وقفت السيارة تجاه قصر صغير يبهر العين حسنه ، حتى ان مسز كول مورتيمر نفسها قد راعها جماله وكاد السرور يشى بها لولا ان ليديا لا تتعب نفسها بكشف الغوامض ، فظلت على ظنها أن مسز كول مورتيمر هى مالكة الدار ، فقالت فى غبطة :

ـ ما أسعدك يا سيدتى بدارك الجميلة ، انها قطعة من الجنة !

ولم تكن ليديا حتى الآن قد تقمصت تقاليد أصحاب الثروة واحساساتهم، ولهذا أعربت عن مشاعرها كاعراب العامة ، ناسية انها تستطيع فى يسر شراء مثل هذا القصر الصغير بل وأحسن منه · ولم تكن تتوقع أن تجد هناك جان بريجرلند ، بل مستر بريجرلند أيضا ، جالسين على كرسيين كبيرين من الخيزران فى الشرفة المطلة على البحر يدخنان سيجار الأمن

والدعة والسلام . وكانت مسز كول مورتيمر قد تعمدت تجنب ذكر اسم جان طوال السفر ، فقالت في ذهول المهمل :

- ألم أقل لك اننا يحتمل أن نجدها هنا ؟ لقد سافرت جان قبلنا بيومين، وسنقضى معا أياما سعيدة هنيئة . أتلعبين البريدج ؟

فأجابت ليديا بأنها لم تلعبه من قبل ، ولكن لا بأس من أن تتعلم

وقضت الساعة الباقية من النهار في تفقد الأرض المحيطة بالدار والمسالك المؤدية الى الطريق المشرف على البحر . ورأت عبر الخليج الذى تقع مونت كارلو على طرفه الآخر أضواء هذا النادى تسطع واحدا بعد الآخر ، كما أعجبها منظر « اليخوت » البيضاء مرصوصة على مقربة من موناكو ، ولاحت لها عن بعد عناقيد صغيرة من الثريات الكهربائية التى تضىء باليو ، فشهقت طويلا وقالت :

- يا للعظمة ..!

وصبت مسز كول مورتيمر التى كانت تصاحبها فيأذنيها عبارات المجاملة الرخيصة المألوفة التى يلقيها المضيف على ضيفه الشكور

وحان موعد العشاء فجلس أربعتهم يتناولونه في جو من المرح كانت جان فارسه المجلى ، فبدأت بمداعبة أبيها ، وثنت بليديا ، ثم تشعبت النكات والملح ترسلها جان ذات اليمين وذات اليسار وليديا تقهقه فرحة مسرورة

وظلت مسز كول مورتيمر وحدها تكاد أعصابها تنطق بما يساورها من قلق ، فقد علمت نبأ غير سار ولم تدر أيهما أفضل: هل تفضى به الىالجماعة أم تحتفظ بسره ؟ والضعفاء في مثل هذه المواقف يختارون أيسر السبل لاستثارة العواطف ، وسرعان ما ألقت القنبلة بقولها وهى تكاد تولول :

- تقول سيليست ان ابن البستانى الصغير مصاب بجدرى خبيث

وكانت جان اذ ذاك تقصحكاية طريفة على مسامعليديا الجالسة بجوارها، فلم تسكت أكثر من ثانية واحدة لتستمع الى هذا الخبر السىء ثم استرسلت في حكايتها . ولكن وقع النبأ على مستر بريجرلند كان كالصاعقة ،فتراجع بكرسيه قليلا الى الوراء وصاح في وجه « مضيفته » فى هلع ظاهر :

- جدرى ؟ .. يا للهول !.. هنا فى كاب مارتن ؟.. أتسمعين يا جان

فأجابت بتكاسل : أسمع ماذا ؟ هل تتكلمون عن الصبى ابن البستانى ؟ لقد أخبرونى ان الجدرى منتشر فى الريفيرا الايطالية على صورة وباء ، وقد أغلقت الحدود بيننا وبينهم من الاسبوع الماضى

فغمغم مستر بريجرلند قائلا : لكن ... لكن هنا !

فنظرت اليه ليديا نظرة المتعجب . فقد كان الهلع الذى أصابه يدعو حقا الى الرثاء ، وكان لون بشرته النحاسى قد حال رماديا أغبر ، وجعلت شفته السفلى ترتعش كشفة طفل مذعور . وقالت جان فى غير اكتراث :

- ولماذا ليس هنا ؟ ان الأمر لا يدعو الى مثل هذا الخوف (ثم التفتت الى الفتاة وسألتها مستطردة) : هل تطعمت حديثا ؟

فهزت ليديا رأسها نفيا ، وقالت : لم اتطعم منذ الطفولة ، وحتى هذه أعتقد انها لم تنجح

قالت جان : ان الصبي على كل حال معزول في العشة ، وسيأخذونه الليلة الى نيس · مسكين هذا الصبي ، حتى أمه قد هجرته · أذاهبون أنتم الى الكازينو ؟

أجابت ليديا : حبذا لو أمكنني الذهاب برغم ما أحسه من تعب

قالت جان : اذهب معها يا أبي ، وأنت أيضا يا مرجريت ، وعندما تعودون يكون قد تم تطهير الدار

فسألتها ليديا : وأنت ، ألا تحضرين معنا ؟

- كلا ، لن أخرج الليلة ، فقد زلت قدمي وما زال رسغي متيبسا · أبي!

وكان نداؤها اياه هذه المرة عنيفا ، أو منطويا على التهديد على حد تعبير ليديا ، فتحامل مستر بريجرلند على نفسه وحاول التجلد وقال :

- ··· لا شك يا عزيزتي ، انه ليسرني ··! يسرني

واختليا ببعضهما عندما صعدت ليديا الى غرفة ثيابها الفخمة المطلة على البحر

فسألها والخوف آخذ بمناكبه : لماذا لم تخبريني من قبل عن وجود هذا المرض الخبيث هنا ؟

قالت الابنة النجيبة محتفظة برصانتها : « لأني لم أكن أعلم شيئا عنه قبل أن تتكلم مسز كول · ولم يكن ثمة مفر من أن أقول شيئا ، وخاصة ان احدى الخدم ذكرت ان والدة من لا أدريه قد هجرته ، فجمعت بين طرفي القصتين ·· فيالك من عديد يا أبي ! »

فقال مولولا : « اني أمقت مجرد التفكير في المرض · ولكن لماذا لا تحضرين معنا ؟ ان قدمك لم تزل ، ورسغك سليمة »

فأجابته في حزم : أفضل أن أبقى هنا

فحملق في وجهها وقال في همس : جان ، ألا يحسن بنا أن نترك أمر هذه الفتاة وقتا ما حتى تندثر حادثة ذلك الطبيب المعتوه ؟

فمدت يدها وتناولت صندنوقا ذهبيا من جيب صديريته وأخرجت منها سيجارة وأعادت العلبة مكانها وقالت : « ليس في وسعنا أن ننتظر ساعة واحدة ·· ألا يخطر لك أن محاميها قد يقنعها في أية لحظة بأن تكتب وصية لتؤول ثروتها الى أي ملجأ ، ولو كان ملجأ قطط ، ليحول دون وصول شيء الينا ؟ نعم ، لو لم يكن جاك جلوفر هناك لأمكننا الانتظار شهورا · ثم ان هناك جاجز الذي يحيرني أكثر من صاحبه · وقد يسرك يا أبتي أن تعلم ان ذلك العجوز الارقم يخيفني ·· »

فاعترض قائلا : ولكن لا أحد منهما هنا ...

فقاطعته بدورها : « تماما ، لا أحد منهما هنا ، ولكن ليديا تلقت قبل العشاء برقية من جاك يسألها فيها عما اذا كان يستطيع أن يحضر اليها هنا فى الاسبوع المقبل ليراها .. »

وعادت ليديا فى تلك اللحظة ، فنظرت جان الى ثوبها باعجاب ظاهر وقبلتها وقالت :

ـ انك رائعة فى هذا الثوب يا عزيزتى

وارتفع فتغضن أنف مستر بريجرلند ، كدأبة كلما هاله من أمر ابنته ما يهول الناس من خوف المجهول المرتقب



انتظرت جان بريجرلند حتى حال صوت السيارة الراحلة الى همهمة خافتة ، ثم صعدت الى غرفتها ففتحت صوان ثيابها وتناولت منه «بدلة» محتبكة الاطراف لا ينفذ منها الغبار ، ترتديها عندما تقود سيارة مكشوفة فى طريق مملوءة بالغبار . وكانت قد رأت فى حجرة مسز كول مورتيمر زجاجة كبيرة من البيروكسيد ، مما يحتمل أن تكون تلك السيدة تستعين به على تلميع شعرها ، وان يكن كذلك مبيدا قويا للميكروبات . وجاءت جان بحوض صغير فيه ماء وأضافت اليه مقدارا من السائل المطهر، وغمست منديلا حريريا كبيرا فيه ثم عصرته ثم وضعته حول رقبتها سائبا دون أن تربطه . ووضعت فوق رأسها قبعة استحمام من المطاط ، وارتدت أخيرا قفازا من المطاط أيضا ، ثم نظرت الى نفسها فى المرآة وابتسمت وأطفأت النور ، وتسللت هابطة الدرج المفروش بالسجاد ، وكان الخدم يتناولون عشاءهم ، ففتحت الباب المؤدى الى الحديقة وانسلت سائرة تحت ظل الاشجار فى الطريق التى تعرف أنها تؤدى الى عشة البستانى لأنها قضت فى الدار يومين قبل وصول ليديا ومضيفتها

وكانت احدى الغرفتين اللتين تتألف منهما العشة مضاءة بمصباح خافت، وبها نافذة صغيرة استطاعت أن ترى من وراء زجاجها السرير وقد تمدد فيه الصبى المريض ، ولا أحد سواه فى الغرفة . ولم تكن رواية الخادم عن هجر أمه اياه صادقة كل الصدق ، فقد أمر الطبيب بعزل الأم ، وعهد بالصبى الى ممرضة كانت الآن واقفة على نهاية المنعطف عند الطريق العام فى انتظار سيارة المستشفى لتحمل المريض اليه

وفتحت جان باب الغرفة وتخطته الى الداخل ، ثم سحبت المنديل المبلل فغطت به فمها وأنفها ، وتناولت الطفل بين يديها الثابتتين ، فلفته فى « بطانية » وعادت به مسرعة فعبرت الحديقة وصعدت فى هدوء الى غرفة نوم ليديا رأسا، وكانت الرؤية فيها ممكنة من شعاع الضوء الداخل

اليها من حجرة الثياب ، فأخرجت الطفل من « البطانية » . ووضعته برفق فوق السرير وهو سابح في غيبوبة متصلة ، وقد ظهرت على جسمه البثور وكادت تغطيه

وجلست جان في مقعد تنتظر ، فما اهتزت ولا اختلج لها طرف وهي تقوم بهذه الفعلة الخبيثة الوحشية !

وبعد نصف ساعة نهضت فلفت الصبى فى «البطانية» وحملته فأعادته الى سريره فى العشة ، وعندئذ ترامى الى سمعها صوت السيارة وهي تقف أمام باب الحديقة ، فأسرعت فذهبت أولا الى غرفة ليديا فسوت السرير ورشت الغرفة بقليل من العطر الذى وجدته فوق مائدة الزينة ، ثم عادت ثانية الى الحديقة فخلعت البذلة والقبعة والمنديل ولفتها جميعا فى ربطة واحدة ألقت بها من خلال قضبان التهوية فى قبو بقاع الدار ، وخلعت القفاز آخر شيء ثم ألحقته بالربطة

وطرق سمعها أصوات الممرضة وعامل السيارة وهما يحملان الطفل اليها فتمتمت : « مسكين هذا الطفل ، شفاه الله »

ومن عجب انها كانت تعني ما تقول



قضت ليديا ليلة لم تشهد لروعتها مثيلا من قبل ، وعادت الى الدار فى كاب مارتن وقد أخذ منها التعب والسرور معا . وعلى الرغم من ترنحها وغلبة النوم عليها فى السيارة وهم عائدون ، لم تكد تبلغ المنزل حتى غالبت النوم وراحت تقص على جان ما رأت وما سمعت

وذهبت مسز كول مورتيمر الى مخدعها ، وكذلك مستر بريجرلند ، فور وصولهما ، وودت ليديا بعد قليل لو انتهت من حديثهما مع جان وحذت حذو صاحبيها ، فقد عاد رأسها يتهاوى تحت سلطان النوم ، ولكن جان ظلت تستزيدها وتداعبها حتى لم تجد ليديا بدا من أن تقول لها أخيرا :

ـ اذا لم أذهب الآن لأنام فاني سأنام على هذه المائدة !

ووضعت يدها على فمها تخفي تثاؤبها ، فقالت جان معتذرة :

ـ اذهبي يا عزيزتي . أنا آسفة جدا على تعبك

وصعدتا الدرج وقد لفت جان خصر صديقتها بذراعها ، وحيتها أمام باب غرفة ثيابها ومشت متثاقلة الى غرفتها

ووجدت ليديا ان احدى الخدم قد أعدت لها قميص النوم فوق مقعد كبير ، نخلعت ثوب السهرة بسرعة وارتدت القميص وعبرت الباب المؤدى الى حجرة النوم ، وبينما هى تضغط زر الكهرباء لتضيئها شمت رائحة لا هى كريهة ولا هى عطرية ، هى اذن رائحة دواء مطهر ، فأجالت بصرها لتهتدى الى

مكان تلك الرائحة من الغرفة ، وسارت قليـــلا حتى بلغت السرير ووقع نظرها عليه فوقفت ازاءه مبهوتة لما رأته عليه من بلل غامر حتى كان الماء لم يزل يتساقط من أطراف ملاءته مكونا دوائر شبيهة بالبرك المتلاحقة ٠ وكان الذى صنع ذلك دقيقا فى عمله الى حد انه أغرق البطاطين والملاءات والوسائد جميعها بالماء المشبع بالمطهر الذى أفشت سره زجاجة كبيرة خالية ملقاة بجانب السرير ، عليها بطاقة كتب عليها «فوق اكسيد الهيدروجين»

ووقفت ليديا قليلا تنعم النظر ، فقد كان الوقت مما لا يليق ايقـــاظ أحد من الدار فيه ٠ وأخيرا تذكرت ان فى غرفة الثياب أريكة فوقها سجادة ووسادة ، فعادت الى تلك الغرفة ، وما هى الا دقائق معدودة حتى غرقت فى نوم عميق

بيد أن جان لم تكن قد نامت بعد ، وانما كانت جالسة على سريرها وقد علقت سيجارة بين شفتيها ووضعت على ركبتيها كتابا ضخما وجعلت تقرأ فيه :

« والحالات الخبيثة من هذا المرض تقضى بسرعة على المريض ، وتحدث الوفاة أحيانا حتى قبل ظهور البثور التى هى أوضح أعراضه »

وعندئذ ألقت الكتاب جانبا واطفأت السيجارة كما اطفأت النور، وتمددت فى سريرها استعدادا للنوم ٠ ولكنها تذكرت قبل أن تغفـــو انها لم تؤد صلاة المساء ، فسارعت الى النزول من السرير ، وركعت بركبتيها فـــوق الأرض المتبردة ، وتلت الصلاة ، ثم عادت فنامت ملء جفونها



فى الساعة الثامنة من الصباح التالى دخلت خادم جان بريجرلند غرفتها فأيقظتها لتقدم اليها شاى الصباح وقالت :

ـ ألم تسمعى يا سيدتى بما جرى لمسز ميريديث فى الليلة الماضية ؟ وسألت جان بدورها :

ـ ماذا جرى لها ؟

ـ لم يحدث لها هى بالذات أى شىء ، ولكنها حين عادت فى الليـــل الى غرفتها وجدت سريرها مبللا يتساقط الماء من جوانبه

فجلست جان فى سريرها وقطبت جبينها ورددت :

ـ مبللا يتساقط الماء من جوانبه ؟

فهزت الخادم رأسها ولوحت بيديها وهى تجيب :

ـ نعم يا سيدتى ، لم يترك فاعل تلك الفعلة موضـــعا فى السرير ولا

بطانية ولا وسادة الا صب الماء فوقها صبا ، كما أفرغ زجاجة البيروكسيد الذى تستعمله مسز كول مورتيمر فلم يترك بها شيئا

فقذفت جان بنفسها من فوق السرير ، وجلست على مقعد وجعلت تنظر الى قدميها الدقيقتين ، ثم سألت الخادم :

- أين نامت مسز ميرديث اذن ؟ ولماذا لم توقظنا ؟

- نامت في غرفة الثياب ، وأحسبها لم تشأ احداث ضجة فى الليل

وأعرضت جان عن الشاى ، ونهضت فانتعلت خفا ووضعت على كتفيها رداء وانطلقت لترى بنفسها حقيقة ما حدث . ودخلت من باب غرفة النوم فتحققت من مطابقة الوصف للواقع ، فقد كان الفراش لم يزل بادى البلل ، وروت زجاجة البيروكسيد الفارغة قصتها

ودوى فى أذنيها صوت ليديا وهى تلهو بالغناء فى حجرة ثيابها المجاورة ، فعبرت جان اليها وهى سابحة فى تفكير عميق وابتدرتها قائلة :

- ماذا حدث الليلة الماضية يا ليديا ؟

فالتفتت ليديا على الصوت ، وتجهمت قليلا وأجابت :

- حادث السرير .. لا يدرى الا الله كيف وقع . وانما خطر لى حين صحوت اليوم ، وطافت بذهنى ذكرى الصبى المريض أن الأمر قد لا يعدو أن يكون مغالاة فى العطف ومبالغة فى تطهير الغرفة

فقالت جان عابسة : « هذا حادث غريب حقا ، وستقوم مسز كول مورتيمر بتغيير فراش هذا السرير على كل حال »

ثم عادت الى جناحها فاستحمت وارتدت ثيابها وهبطت الى الحديقة حيث كان أبوها يطالع صحيفة فى ظل شجرة ، فقالت له بلا مقدمات :

- لقد استقر رأيى على تغيير خططى

فنظر اليها من فوق نظارته ، وقال فى مزاح ثقيل :

- ما علمت قبل الآن أن لك خططا !

فأجابته غير حافلة بدعابته :

- كنت أنوى العودة الى لندن وأن آخذك معى

فقال غير مصدق :

- نعود الى لندن ؟ كنت أظنك ستقيمين هنا شهرا

فسحبت مقعدا من مقاعد الحديقة ، وجلست الى جانب أبيها وقالت :

- يحتمل أن يكون هذا هو الذى سيحدث ، اعطنى سيجارة

قال وهو يناولها العلبة : انك تكثرين من التدخين فى هذه الايام ، فهل أعصابك غير مرتاحة ؟

فنظرت اليه بجانب عينيها وتحيرت شفتاها ثم قالت :

– قد لا يكون عجيبا اذا أنا ورثت عنك شيئا من الصفراء ، ولكنى أؤكد لك ان أعصابى بخير ، ولكن السيجارة تساعدنى فى التفكير

فأجابها مؤنبا : تقولين انى مريض بالصفراء ، وقد صـــحوت وبرحت فراشى من الخامسة صباحا

– وماذا صنعت منذ تلك الساعة ؟

قال فى كبرياء : صنعت الذى يحفظ على كيانى وكفى

وهكذا جلسا يتحاوران ويتقارعان زهاء ربع ساعة ، ثم قال الوالد :

– ألا ترين يا جان ان الأفضل أن ندع هذا الأمر ونعود الى لندن ؟ ان اللورد ستوكر قد لا يسعده شيء فى الحياة مثلما تسعده كلمة طيبة منك

قالت فى اصرار : « ولكنى لن أقول تلك الكلمة .. ان كل ما يملكه هو مرتبه من الجيش الذى لايتجاوز ٥٠٠ جنيه فيالسنة،وضيعتان مرهونتان، وعقل فارغ ، ثم اللقب . وأى فائدة أجنيها من وراء هذا اللقب ؟ ان هـو الا طلاء مموه »

وخيم الصمت فوقهما برهة ثم قطعه سائلا :

– هل تحسبين المحامى مهتما حقيقة بأمر الفتاة ؟

وأجابت مستفهمة : جاك جلوفر ؟

فأومأ مستر بريجرلند موافقا ، وقالت جان فى اهتمام ظاهر :

– بل هو يوليها أعظم اهتمامه . وانى لأقدر له ذكاءه وفطنته ، وهـو فى الحق على كثير من الصفات التى يجمع الناس علىامتداحها، وأنا شخصيا لا أجد فيه ما يمنعنى من أن أحبه

فسألها أبوها ساخرا : وهل يستطيع هو أن يحبك ؟ !

أجابت موجزة : كلا ، بل لعله لا يسعده شيء فى الحيـــاة – ومعذرة اذا استعرت تعبيرك – قدر ما يرانى فى قفص المجرمين فى نفس المكان الذى وقف فيه جيمس ميريديث . فليس لدى مطمع فى اكتساب محبته

وتحسس مستر بريجرلند صلعته ، وقال : « يخيل الى انه طامع فىنقود ليديا »

فأجابته شبه محنقة : لا تكن غبيا ، ان هذا الصنف من الرجال لا يفكر فى نقود فتاة

ثم استعادت هدوءها واستطردت : حبذا لو ماتت ليديا ، اذن لسارت الأمور فى يسر وهناء

وبلع أبوها شيئا ثم ألقى اليها بعبارة تسر لها دائما ، قال : « ان لك شطحات تصدمنى أحيانا يا جان »

فقالت فى ازدراء : « انت نصف رجل ، فأنك فى الوقت الذى تدفعـك الى قتل جيمس ميريديث ، رغبتك فى الحصول على ثروته فتقتله غيلة كما

قتلت قبله المسكين بولفورد ، أراك تبكى وتنوح كلما حدثتك فى صراحة عن مشروعات للحصول على بغيتك بمجرد التخلص من امرأة . ولست أدرى مع ذلك ما الفرق بين أن تموت ليديا اليوم أو بعد خمسين عاما ؟.. ولكنكم أيها الناس تجعلون لهذه الحياة الموقوتة أكثر من قيمتها .. والأقدمون ـ وكذلك اليابانيون من أهل هذا العصر الحديث ـ هم الذين يزنون الحياة بميزانها الصحيح بلا مغالاة ولا تهويل . والواقع ان قتل الحيوان البشرى ليس بأقسى ولا أظلم من استلال الحياة من خنزير لمجرد الحصول على صحن شهى من ضلعه أو فخذه أو رقبته . وقلما قدم على المائدة طعام طيب تفوح رائحته ، الا وهو نتيجة للاغتيال المدبر الذى ليس له ما يبرره سوى شهوة النهش والتشدق . ومع ذلك لا يفكر فى هذه الحقائق أحد ، وان فعل فانما ليسخر ويتفكه ويتندر !.. أمن أجل ان الحيوان البشرى يعرف كيف يتكلم وكيف يلبس جلود الحيوانات الاخرى التى تنتزع منها بلا شفقة ولا حق مشروع ، يكون لحياته قيمة أكثر مما للحيوانات الأليفة فى حظائرها ، أو للوحوش الضارية فى أدغالها ومساربها ؟.. هذا الى أن القتل يقع عندكم بالجملة وتسمونه حربا فيكون مشروعا ، ويفعله شخص ليزيح من طريقه شخصا ما من ازاحته بد ، فيثور العالم ويمور مطالبا بالقصاص ، بينما الفعلتان متشابهتان ، ولا موجب لذلك التفريق بينهما .. أما قداسة الحياة البشرية فتعبير انطلق أول مرة من لسان جبان رعديد ، يفرق من الموت

وسألها أبوها فى صوت محتبس: « وانت يا جان ، ألا تخافين من الموت؟»

أجابت : « بل أخاف من الحياة بلا مال ، ومن الأيام المترادفة فى الكدح تحت نير مخدوم ظالم ، ومن اضطرارى الى تسور الترام والسيارات معلقة مترنحة فى الغدو والرواح الى ذلك العمل الممقوت ، وكل ذلك فى سبيل العيش فى غرفة حقيرة ، والتغذى على اللحم البائت .. أخاف من أن أجدنى مضطرة حين أستيقظ الى ترتيب فراشى وغسل مناديلى وهلاهيلى ، ومن حاجتى الى تعديل قبعتى عاما بعد عام حتى تتناسب مع آخر زى للقبعات.. أخاف من الزوج الفقير ، ومن الصف المتدرج من الاطفال ، ان وجدت يوما خادما ترعاهم ، فلن تكون الا عجوزا منهوكة فتزيد البلة طينا .. »

ونظرت عبر الخليج الى مونت كارلو وقد تكسرت عليها أشعة شمس الصباح ، والى الارض الخضراء فى رأس «داى» ، ثم الى بوليو ، تلك الجوهرة المتألقة فى قلب الكون السنجابى ، وهزت رأسها وهى تقول : « كل شىء مكتوب »

وسارت تاركة أباها ليجيب بنفسه على أسئلته ، ودلفت الى المنزل حيث كانت ليديا تختال فى ثوب جديد من الحرير الرمادى المعرق بأسلاك الفضة اللامعة

مستر ماركس ستبني

قالت جان مبتسمة : « هل وصلتم الى حل لغز السرير الغريق ؟ »

فضحكت ليديا وقالت : « لم أحاول الغوص الى أعماق هذا الأمر الذى يلوح أنه ازعج مسز كول مورتيمر أيما ازعاج »

قالت جان : « لها الحق فى أن تنزعج ، فهى التى ستدفع الثمن »

وكانت هذه أول اشارة لليديا بأن الدار مؤجرة بأثاثها

واستقلت الفتاتان السيارة الى نيس فى ذلك الصباح ، وتذكرت ليديا ملاحظات جاك جلوفر عن السائق فراحت تفحصه مليا ، وراعها أن ترى شبها بينه وبين سائق سيارة الأجرة الذى خطفها من المسرح فى الليلة المعهودة . صحيح ان سائق سيارة الأجرة كان له شارب وهذا حليق ، ولكن التشابه رغم ذلك موجود ، فسألت جان فى همس :

ـ هل يشتغل هذا السائق عندكم من زمن طويل ؟

فأجابت جان : «تقصدين موردن ؟ . . نعم ، انه معنا منذ ست أو سبع سنوات ، لا يعمل على سيارتنا سواه كلما حضرنا الى اوربا ، وهو يتكلم الفرنسية بطلاقة فضلا عن أنه سائق ماهر . وقد حاول ابى اكثر من مرة ان يحمله على السفر معنا الى انجلترا ففشل لأنه يكره لندن ، وقد قال لى منذ أيام أنه قد مضت عليه عشر سنوات لم تطأ قدمه انجلترا »

وهكذا استطاعت جان أن تقضى على فكرة التشابه التى حلقت فى مخيلته ليديا ، ولكن هذه حدثت نفسها قائلة انها ان اخطأت التشابه الجسمانى فلن يخدعها الصوت الذى ما زال يرن فى أذنيها ، فما أن نزلتا من السيارة لتسيرا على الأقدام فى طريق النزهة الانجليزى حتى خاطبته ، ولكنه رد عليها بالفرنسية . . وليس من السهل بل لعله ليس من المستطاع تحديد وجوه الشبه فى الصوت اذا ما استمعت لصوت يتكلم باحدى اللغات ، ثم استمعت الى الصوت نفسه وهو يتكلم بلغة أخرى

وكانت الطريق والمقاصف والمطاعم والمشارب غاصة بالوافدين ، فقد كان الوقت موسم السباق . وذهبت الفتاتان الى مطعم نجريتو لتتناولا غداءهما ، وفيما هما تطعمان أقبل عليهما رجل عرفت فيه ليديا المسترماركس ستبنى ذلك الاسمر الدمث الخلق الذى تمتعض منه دون أن تتبين حقيقة السبب فى امتعاضها ، فقد كان مثال الرجل المهذب دائما ، شديد الاحترام لهـا

بصفة خاصة . وكانت ثيابه كالمعتاد لا سبيل الى انتقادها ، فقد كان المستر ماركس ستبنى رجلا يقضى وقتا طويلا كل صباح فى اختيار ربطة العنق والجوارب والقميص التى يرتديها ، وتلك الأناقة ــ على ما لا تعلم ليديا ــ مضافا اليها مهارة خاصة فى ورق اللعب ، هى كل بضاعته ومرتزقه. على أنه لم يرتفع يوما صوت ضده بفضيحة ، وكانت بيئته دائما من علية القوم ، يؤمها فى الوقت والمكان الملائمين . وبعد أن تغلق الأبواب فى النوادى كان هو دائما الدليل والمرشد الى هذا الفندق أو ذاك ، أو حتى غرفة الاستقبال فى جناحه هو حيث تنصب مائدة صغيرة ليستأنف لعب الورق عليها أبناء الذوات والوارثون من المحدثين الذين هم عادة أحسن الصيد للمحترفين من أمثال صاحبنا الوجيه

وقال ماركس يحدث الفتاتين : سيكون من حظكما اذا كنتما ذاهبتين الى السباق ان تحضرا معى ، فانى مستطيع أن أعطيكما أسماء ثلاثة من الخيل الرابحة

قالت جان : « انى فقيرة ولا مال عندى أقامر به ، وقد ترى ليديا وهى الغنية التى تتدفق الأموال بين يديها ان تفيد من خبرتك ومعلوماتك »

فنظر ماركس الى ليديا نظرة فاحصة وقال : « اذا لم يكن معك نقود فى حقيبتك فلا تهتمى بشىء ، فان معى الكفاية . . ويمكنك أن تدفعى لى بعد ذلك وعند ما تشائين ، وثقى أنك تستطيعين اليوم بارشاداتى أن تربحى مليون فرنك »

وقالت جان وهى تبتسم ابتسامة لا يغيب معناها عن الرجل الفطين :

ــ أشكرك ، ولكنى لا أظن مسز مريديث تقامر بمبالغ طائلة

وعلى الرغم من هذه المؤامرة الظاهرة الخفية ، عادت ليديا الى كاب مارتن فى مساء ذلك اليوم وقد زادت ثروتها عشرين ألفا من الفرنكات

وعند ما خلا مستر بريجرلند فترة قصيرة من الوقت الى ابنته بعد عودتها سألها قائلا :

ــ لقد أخبرتنى ليديا أن الحظ السعيد وافاها اليوم فربحت أموالا طائلة

فأجابت ابنته : « نعم ، لقد ربحت خمسمائة جنيه من شرك نصبه لها ماركس ، فهى لم تكن تعرف حتى أسماء الخيل التى راهن عليها ، وبعد انتهاء السباق حضر اليها وفى يده بضع ورقات من ذات الألف فرنك فتناولتها منه فرحة مسرورة ، اذ قال لها ان هذا المبلغ هو ربحها الخالص لها ، وستراه الليلة هنا ليطمئن على صيده »

وقد حضر مستر ماركس ستبنى تماما كما حزرت جان ، وجاء مرتديا ثياب السهرة مما أثار حفيظة مستر بريجرلند وحمله على المبادرة الى ارتداء ثوبه القديم الذى يحتفظ به فى قاع حقيبة ثيابه لأمثال هذه المناسبات الثقيلة على نفسه

ولم يخطىء ماركس ستبنى فى تنظيم مائدة العشاء الذى دعا تلك المجموعة اليه فى مطعم معروف . وكان يبدى اهتماما كبيرا بمسز كول مورتيمر وجان ، وان كانتا كلتاهما تدركان نواياه ، فلم تنطل عليهما حفاوته بهما ، وجعلتا تراقبان كل حركة من حركاته التى كان يقوم بها فى انتظار فرصته

وحانت هذه الفرصة عندما انتقلوا بعد الانتهاء من الطعام الى الشرفة المطلة على البحر ، وابترد جو الليل ، فجاء مستر ستبنى بالدثر والفراء للسيدات ، ونظم المقاعد بحيث انفصل هو وليديا عن سائر المجموعة حتى يكون الهمس بينهما ــ بينه وبين ليديا ــ أبعد من أن يصل الى أى أذن لمستمع

ولم تعن جان فى جلستها بين أبيها وبين مسز كول مورتيمر بمتابعة حديثهما عنايتها بأن لا يفوتها شىء مما توقعت أن يجرى بين رفيقيها الآخرين ، ولم تتحرك من موضعها الا حين رأت على ضوء المصباح الخافت المعلق فى السقف رأس ماركس ستبنى يميل ميل الأسرار نحو صاحبته ، وعندئذ نهضت وسارت نحوهما ، ولم يظهر شىء من الارتباك على ماركس لثقته من أنها لم تلتقط شيئا مما أسره الى ليديا ، ونهض لمقدمها فقدم اليها مقعده واجتذب مقعدا آخر فجلس عليه ، وسألته ليديا :

ــ هل تعرف الآنسة بريجرلند هذا الامر ؟

قال مستر ستبنى وعلائم السرور بادية عليه : لا

ــ هل اخبرها ؟

ــ طبعا

ــ يقول مستر ستبنى أن سباقا عظيما سيجرى غدا ، وانى استطيع ان أربح منه خمسة ملايين فرنك بلا أدنى مجازفة

قالت جان مبتسمة : « لن تكون هناك مجازفة طبعا الا بمليون واحد ، فهل أنت مستعدة للرهان بهذا المبلغ ؟ »

فهزت ليديا رأسها نفيا ، وقالت : « أنا أولا لم أحضر الى فرنسا مليون فرنك ، وحتى لو كان معى هذا المبلغ لما جازفت به »

وبعد عودتهم الى كاب مارتن ، وضعت جان يدها فى ذراع ماركس وقادته الى الحديقة . فلما أصبحا فى أمان من وصول صوتهما الى أى شخص ثالث قالت :

ــ انك يا ماركس غبى من وجوه كثيرة

فسألها متجهما : « لماذا ؟ »

ــ لأن محاولتك الفجة ، الرخيصة ، هى بألاعيب الاطفال أشبه . أمن اجل مبلغ حقير ، مليون فرنك ، عشرين ألف جنيه ، تعرض سمعتك للتلطيخ فى لندن حين يعلمون انك سرقت فتاة . . .

فقاطعهـا متحمسـا : « ليس فى الأمر أى سرقة ، فان فالدو سيربح بلا شك ».

فأجابته فى أسلوب الحكيم : « أليس من الجائز أن ينتهى الشوط بمعجزة ، ويتدخل فالدو متخلفا ثانية واحدة ، وعنـدئذ لا يسعك الا أن تملأ فمك بالاعتذارات ، ويضيع على ليديا المسكينة مبلغ المليون ، ثم أنت على أحسن الفروض قد لا تصيب منه أكثر من الربع أو الثلث »

فكانت اجابته المقتضبة : « انني على شفا أزمة حادة »

وهكذا لم يحاول اخفاء مهنته ولا خطته الوضيعة ، ذلك أنه كان بين هذين الاثنين لون من الزمالة ، ان تكن هى لا تراعى شروطها فلأن جرائمها من النوع الشديد الخطورة . ولكن يلوح أنه كان يكتفى منها بثقته من أنها تقيم فى الجانب الآخر من الحياة المشروعة . وبعد تفكير لم يطل مداه قالت جان :

— لقد خطر ببالى فكرة لا بأس بها وأنت جالس تروى لها قصتك ، فلماذا لا تتزوجها يا ماركس ؟

فهتف من أعماقه : « تقولين أتزوجها يا جان ، هل انت مجنونة ؟ »

فأجابت ساخرة من قوله : « نعم تتزوجها أيها الفر الحكيم ! ولا يحتاج الأمر الى أكثر من وضع الفكرة فى رأسك وقبالة عينيك »

فسكت ولم يجب ، واستطردت هى قائلة :

ـ أنها صاحبة ستمائة ألف من الجنيهات ، والمودع باسمها نقدا فى البنك مائتا الف جنيه على ما أعلم عن ثقة

وعندئذ القى عليها السؤال التالى الدال على انه قد بلع الطعم ووقع فى الفخ قال :

ولماذا تريدين أن ـوجها ؟ وما هى الفائدة التى ستجنينها انت من وراء ذلك ؟

— فائدة كبيرة ولا شك ، فان هذا المبلغ النقدى ميسور الحصول عليه فى أية لحظة ، وستقدمه هى اليك ، وربما أكثر منه ... .

فتساءل : « وكيف ذلك ولماذا ؟ »

قالت : لتوافق على الطلاق ، فانى أعرفك تماما ، وأعلم انه ما من امرأة تطيق الحياة معك ، أو تفقد عقلها

فتنحنح وقال : « وعندئذ أعطيك المبلغ كله لتتصرفى فيه ؟ »

فأجابت : « هذا لن يحدث طبعا ، فما أنا بالطماعة ، وانما يكفينى منـه النصف »

ففكر قليلاً ثم قال لها « : وماذا تنوين أن تطلبى منى ضمانا لتنفيـذ هذا الاتفاق ؟ أنكتب عقدا فيما بيننا ، أم تريدين أن تأخذى منى سندا موقعا عليه ومسجلا كذلك ؟ »

فالتقت عيونهما وأمسكت ذراعيه بيديها ، وقالت : « أنا أثق بك يا ماركس ، ولا يخامرنى أدنى ريب فى أنى اذا قدمت لك المساعدة اللازمة ، وقمت أنت من جانبك بالدور الذى سأرسمه لك ، فانك ستعطينى نصيبى كاملا غير منقوص »

فتنحنح مرة ثانية ، وقال : « اننى لم أخن فى حياتى زميلا قط »

وقالت جان تطمئنه : « أنت رجل عاقل ما فى ذلك شك ، وخاصة فى معاملاتك معى ، لأنك تعلم أنك ان غدرت بى ، فانى أستطيع التبليغ عن اسمك واسم زوجتك وعنوانها »

فارتجفت شفتاه وهو يقول : « ما . . . ماذا ؟ »

ووضعت جان يدها فى ذراعه وقالت : « هيا بنا نعود اليهم ، فلقد طال غيابنا »

وضاعف من سرورها ما أحسته من رعشة تسرى فى جسم هذا الرجل القوى وهو سائر بجانبها



رصاص على الشاطىء

خيل الى ليديا أنه قد مضي عليها بعيدة عن وطنها سنوات ، في حين انه لم يكن قد مضى عليها غير ثلاثة أيام في كاب مارتن عندما أصبح مستر ماركس ستبني زائرا مستديما . ومن المسلم به أن أثقل الناس في المقابلة الاولى لا يلبث أن يصبح مقبولا بعد اطراد التعارف

والواقع أن مسترماركس ستبني لم يضايق ليديا يوما ما ، بل كان معينه الذى لا ينضب من النوادر والذكريات ــ وهو يتخير ما يلقيه منها حتى لا يجرح مستمعا ــ من أسباب انشراحها وطرد ما قد يعتريهـا من أفكار سوداء . وكان سوى ذلك ذا خلق رياضي . وفي صبيحة اليوم التالى لحفلة العشاء التى دعا اليها مجموعة دار كاب مارتن جاء الى هـذه الدار ــ بناء على موعد ــ وصحب ليديا الى مرفأ مسقوف يضم كوخي استحمام . فأنشأ أول تعارف بينها وبين بحر الروم الباسم

وفي مونت كارلو ، على الجانب الآخر من الخليج ، كان الاستحمام في البحر ممنوعا قبل شهر مايو ، فلا عجب أن وجدت ليـديا الماء أكثر برودة مما توقعت . على أنهما ما كادا يبلغان في سباحتهمـا رصيفا عائما حتى رأيا مستر بريجرلند وجان مقبلين نحوهما وقد ارتدت جان لباس البحر ومن فوقه دثار من قماش شفاف سرعان ما خلعتـه وألقت بنفسـها في اليم فأثارت اعجاب ليديا بغوصاتها الرائعة التى كانت تبقى خلالها تحت الماء وقتا يثير القلق ... وعندما خرجت من الماء ووقفت على الشاطىء تمسح الماء وقد أشرق وجهها بعد ما قامت به من حركات رياضية قوية ، قالت لها ليديا : « لم احسب أبدا ان في جسمك الصغير كل هذا النشاط وهذه القوة »

وفجأة هتف مستر بريجرلند : « هناك من يصوب علينا منظاره من فوق الربوة » واشار الى موضع عال وراء الشاطىء ، ولكن أحدا غيره لم ير شيئا

وحددت جان نظرها في الموضع الذى أشار اليه أبوها ، ورفعت يديها فوق جبينها لتحجب الشمس عن عينيها عساها ترى ذلك المقتحم ، وقالت :

ــ لا بد أنه زائر من مونت كارلو ، فان الناس في كاب مارتن أبلغ أدبا من ان يأتوا مثل هذا الاسفاف

ونظرت الى أبيها رافعة رأسها صوب المكان المتهم ، فانساب في الماء ،

حتى اذا خرج من الضحل جعل يسبح ضاربا بذراعيه ضربات قوية ، ميمما صوب الربوة

وقالت جان : « لقد ذهب أبي ليستطلع الخبر » . وتهيأت للعود الى الماء وهي تقول : « حقا ان الماء أدفأ مكان » . ثم انسربت الى البحر الصافي الزرقة كأنما هي حوت مدرب ، ثم غاصت الى الأعماق في ثنايا البحر الساكن ، وبرزت بعد طول انتظار من بقعة لا يتصورها أحد ، وانطلقت فور بروزها تجدف بيديها تجديفا منتظما وهي رافعة رأسها الى أعلى ، ثم دارت حول نفسها وغاصت في الماء مرة ثانية غوصة حارت العيون في أي موضع تتجه لتراها وهي خارجة كالجنية من الماء !

في تلك اللحظة ، وليديا مأخوذة مبهوتة بألعاب الماء البهلوانية التي لم تر من قبل لها مثيلا ، وصل مستر بريجرلند الى الشاطيء على سفح الربوة ، وانتعل حذاء ومعطفا كلاهما من المطاط ، وبدأ يصعد الى حيث تراءى له الشبح مطلا عليهم وبعد برهة لفظ البحر جان على مقربة من لوحة القفز ، فتسلقتها وانتصبت قامتها فوقها وهي تنثر الماء من فوق وجهها ، وعلى حين فجأة سألتها ليديا سؤال الناسي الذي تذكر : « أين والدك يا جان ؟ »

فتطوع مستر ستبنى بالاجابة : « ذهب على ما أظن للبحث عن العساس المتلصص »

وكان ماركس متجهما على غير العادة ، وهذه أول كلمة قالها منذ وصول آل بريجرلند الخالي من الذوق والفطنة ، وكأنما أدركت جان مايجول بخاطره فعاجلته قائلة بلهجة الأمر : « انزل الى الماء يا ماركس » . ثم تراجعت من وقفتها على لسان لوحة القفز واستطردت : « أحب أن أرى مسز مريديث في غطسة »

واحتجت ليديا قائلة في دهشة : « من ؟ أنا ؟ حقا انه لا يجوز لي أن اعرض نفسي للسخرية اذا أنا غطست بعدك »

قالت جان : « أريد أن أريك الطريقة الصحيحة للغطس .. قفي على حافة اللوحة »

فأطاعت ليديا ، واستطردت جان : « افردي جسمك ويديك الى جانبك .. الآن ارفعي ذراعيك مفرودتين بحذاء كتفيك .. والآن ... »

... دوت طلقة من الشاطيء ، وسمعت ليديا صوت صفير مر بجانب رأسها ، ثم اصطدمت الرصاصة بحافة أحد الأعمدة فسمع صوت انفلاق الخشب وتبعه انصفاق الرصاصة في الماء واستقرارها في قاعه

وامتقع وجه ليديا وقالت لاهثة : « ما ... ما هذا ؟ »

ولم تكد تتم تساؤلها حتى دوت طلقة ثانية ، ولكنها ذهبت هذه المرة عالية جدا ، وجاء في أعقابها من ناحية الشاطيء أيضا صوت أنين صارخ

ولم تنتظر جان ، وألقت بنفسها في اليم سابحة بأقصى قوتها . ولم تكن

الطلقة هى التى أزعجتها بل الصرخة ، وقد اندفعت من الشاطىء صاعدة الربوة على نفس الطريق التى سلكها أبوها ، فانتهت الى بساط من الخضرة تقوم فى وسطه شجرة صنوبر ذات جذعين متوازيين وقد انطرح أبوها فى صورة مشوشة على أحدهما ، فقبلته واذا به يتنفس تنفسا عميقا ولكنه غائب الرشد ، وكان فى مؤخرة رأسه جرح بشع ذو شعب ومعطف المطر ولباس الحمام ملطخة بالدماء . فنظرت حولها بسرعة باحثة عن ضاربه ، بيد أنها لم تر أحدا ولا اثارة لشخص ثالث ، وكل ما وجدته على الحشيش الأخضر ظرفان لامعان من النحاس للطلقتين اللتين ذهبتا هباء



لم تشعر ليديا قط برغبتها فى الفرار من مكان مثلما شعرت وقتئذ وهى تلقى بنفسها الى الماء متجهة نحو ماركس ستبنى الذى سبح معها ببطء نحو الشاطىء . ولم يداخلها شك مطلقا فى أن الطلقتين كانتا موجهتين اليها ، فقد سمعت صفير أولاهما على كثب من أذنها ، وسألها ماركس ستبنى :

ــ اتظنين ذلك ؟ أليس من الجائز أن يكون هناك جنود يتمرنون ؟

فهزت رأسها نفيا ، فقال لها :

ــ اسمحى لى اذن ان أذهب لأرى ما حدث . .

وانطلق متابعا أثر جان حتى بلغ الموضع الذى كانت واقفة فيه بجانب مستر بريجرلند الذى فتح عينيه فى تلك اللحظة وجعل يدير بصره من حوله

وقالت جان : « اعنى لنسنده يا ماركس »

ولكن مستر ستبنى أخرج منديلا من جيبه ، وقال : « فلنضمد له جرحه أولا »

فقالت جان فى هدوء : « لا لزوم لهذا ، فقد سال منه كل ما يمكن ان يسيل من دم ، اذ ليس هناك كسر فى الجمجمة ، فقد حبستها بيدى »

وهتف مستر بريجرلند وهو يئن : « لقد هوى على الخبيث بضربة ! »

وسألته الفتاة : « من هو ؟ »

فهز بريجرلند رأسه وغمز بعينه لابنته ، وقال : « لا ادرى ، اسندنى يا ستبنى »

ونهض مترنحا وهو يستند الى ماركس الذى سأله : « ماذا حدث ؟ »

فقالت الفتاة بحدة : « لا تسأله الآن عن شيء ، ولنعد به الى الدار أولا »

واستدعى طبيب فخاط الجرح وطمأنهم على أنه لا خطر منه ، ولم يعن باستقصاء سبب الاصابة ــ شأن الأطباء فى مونت كارلو ــ فان زوار هذا المكان قلما ينجون من الحوادث !



« واندفعت جان فى الشاطىء صاعدة الربوة ، فوجدت والدها غائب الرشد »

وقبيل المساء جلس بريجرلند فى سريره مسندا ظهره الى مساند ذات عدد ، وراح يقص ما حدث له فقال :

ـ عندما رأيت الشبح يتحرك فوق الربوة ويختفى عند النظر نحوه ، لم أجد بدا من الذهاب الى موضعه لأرى من عساه أن يكون . وقبل أن أكشف مكانه سمعت صوت الطلقة الاولى ، فدلتنى على موضعه حيث كان مختبئا بين فروع الشجرة ، فانقضضت عليه وكان مصوبا بندقيته ليرسل الطلقة الثانية ، فتعلقت بذراعه ، وانتم تذكرون طبعا أن الطلقة الثانيــة ذهبت عالية جدا فى الفضاء

وسأل ستبنى : « هل تذكر شكل الرجل ؟ »

أجاب بريجرلند :« أرجح أن يكون ايطاليا ، وهو قد عاجلنى على كل حال بضربة شديدة بمؤخرة بندقيته ، فلم أدر ماذا حدث حتى وجدت جان بجانبى »

وسألت ليديا فى هلع : « هل تظنه كان يقصدنى بالذات ؟ »

قال بريجرلند : « أنا واثق من ذلك تماما ، فقد كان تصويبه بعناية فائقة فى اتجاهك »

فهتفت ليديا : « انى عاجزة عن شكرك ، ومعجبة أيضا بشجاعتك فى هجومك على رجل مسلح وانت اعزل »

فأغمض مستر بريجرلند عينيه وتأوه ثم قال : « لا شكر على واجب »

وقبل العشاء سنحت فرصة لخلوة بينه وبين ابنته فأجابها يشرح لهــا الحادث قائلا :

ـ كان قصدى فى الواقع من رسم تلك الخطة أن أبرهن على خطئك فى اتهامى بالجبن ، فذهبت صباح امس الى أميان حيث اشتريت من فلاح هناك بندقية انجليزية قديمة ، أعطانى الرجل معها علبــة من الذخيرة . وعدت بها فاخترت ذلك الموقع بين جذعى شجرة الصــنوبر ، فأخفيت البندقية بين فروعها ، وعلقت نظارة سوداء فى مكان من الشجرة فى مواجهة حوض السباحة بحيث اذا وقعت عليها أشعة الشمس عكست ضوءا يخيل لمن يراه أن شخصا يطل من ورائها ، وهكذا ترين انى حسبت لــكل شىء حسابه . . .

فقاطعته بحدة : « ثم ماذا ؟ »

فاستطرد : « فلما ذهبنا اليوم للســباحة تعللت بوجود من يتلصص علينا ، وتظاهرت بأنى قاصــد الى ذلك المكان للبحث عنــه ، والباقى مفهوم ! »

فهزت رأسها وقالت : « هذا اذن هو السبب فى طلبك منى أن أجعلها تقف على لوح القفز ؟ »

فأومأ ايجابا وطلبت هى منه أن يتمم قصته فقال :

ــ ووجدت البندقية فى مكانها فتناولتها وصوبتها باحكام ، وأنت تعرفين دقة تصويبى ...

فقاطعته ساخرة : « ولكنك لم تحسن الدعاية لنفسك اليوم ، واحسب أن شخصا جاء بعد ذلك فضربك على رأسك ، فمن هو هذا الشخص ؟ ! »

فآلمته زرايتها به وأجابها بحدة : « هذا سؤال سخيف ، كانى كنت أصوب للطلقة الثانية بعد أن أخطأت الاولى الهدف بقيد شعرة ، وهذا هو كل ما أذكره حتى فتحت عينى لأراك بجانبى ، وقبــل ذلك كنت فى ظلام دامس »

وعادت تستجوبه قائلة : « هبك نجحت ، فبأى شيء كنت تعلل هــذا الامر ؟ »

أجاب : « الامر بسيط جدا .. كنت أقول انى سمعت صوت اطلاق النار وأنا فى طريقى للبحث عمن كان يطل علينا ، فاندفعت للبحث عنــه ولكنى لم أجد غير البندقية »

فقالت فى ازدراء ظاهر : « لقد كان من الممكن طبعا أن يمر أى انسان فى تلك اللحظة ، وحينئذ كان نجاحك يؤدى الى تحول الحادثة من قتل خطأ أو بالقضاء والقدر الى جريمة قتل مع سبق الاصرار ، فهل هذا ما تصفه بأنه تدبير محكم ؟.. اسمع يا أبى ، لا تصنع شيئا من ذلك مرة ثانية ، فان حماقتك ــ ويؤسفنى أن أضطر لتوجيه مثل هذه الصفة اليك ــ توشك أن تحطم أمانينا »

وخرجت تاركة المكان لمسز كول مورتيمر التى لاحت قادمة لتصب فى أذنه عبارات التقدير والاعجاب بشجاعته فى مواجهتــه وهو أعزل لرجل يحمل السلاح

وازاء هذا الحادث لم يخرج احد من الدار تلك الليلة ، ولم تأسف ليديا على هذا القعود ، فان النــوم على اريكة لا يكفــل للجسم راحته التامة ، فلتتمتع اذن هــذه الليلة بنوم مريح فى سرير خال من الموانع . وكذلك انصرف ستبنى حين رآها تتثاءب تثاؤبا متواصــلا ، وقد غيرت ثيابهــا استعدادا للنوم



العجوز جاجز

وسكن الهدأء على حين فجأة وارتفعت حرارة الجو فعادت ليديا وفتحت باب الشرفة المطلة على البحر . واغراها السكون وهلال ربع الشهر بالخروج الى الشرفة والوقوف على حافتها تتأمل ما رسمته ظلال الاشجار على الارض وفيما هى كذلك لمحت بين الاشجار شبحا متنقلا ظنتـه أول الأمر ماركس ستبنى قد عاد اذ لم يستطع النوم مبكرا على خلاف عادته ، ولكنها لم تلبث أن تبينت خطى الشبح التى لم تكن غريبة عنها . وحين وصل الشبح تحت الشرفة رفع رأسه الى أعلى ، فهتفت ليديا مشدوهة : « من هذا ؟ »

فأجابها الشبح هامسا : « لا أحد يا آنسة ، أنا العجوز جاجز »

فسألته فى مثل همسه : « وماذا تصنع هنا ؟ »

قال : « لا شيء .. لا شيء .. انما انا أتجول هنا »

وسارع يعرج حتى غيبته الظلمة ..

ونامت ليديا تلك الليلة نوما هادئا عميقا ، وانفتلت من سريرها نشطة عند ما طلع الفجر ناشرا ألويتـه على البحر يكسوه بلونه الرمادي الفاتر ، فدخلت الحمام وخرجت منه فارتدت ثيابها وهبطت الى الحديقـة وقد صبغت الشمس الأفق الشرقى بلون ذهبى ، ولم يكن الخدم قد استيقظوا بعد ، فانسابت خارجة الى الشارع الصغير وتدرجت منه الى الطريق العام ووقفت قليلا على الناصية تجيل بصرها ذات اليمين وذات اليسار ، واذا بها ترى رجلا يخرج من بين الاشجار ويدور من حول دار قريبة ثم يظهر فى الطريق العام ميمما شطر مونت كارلو ومسرعا فى مشيته

وسرعان ما عرفته فنادت : « مستر جاجز ! » . ولكنه لم يحفل ، بل ضاعف من سرعة خطوته العرجاء . ولم يطل تردد ليديا ثم انطلقت تعدو وراءه بكل قوتها ، والتفت هو على صوت أقدامها ثم انتحى جانبا مستظلا كدأبه بجذع شجرة ، وبدا أشد عبوسا من المعتاد ، وقد ارتدى فى يديه قفازين قديمين وعلت رأسه قبعة لا شك أنها شهدت أياما أسعد . فلما اقتربت منه الفتاة حياها فى مثل طنين نحل كثير قائلا : « سعدت صباحا يا آنسة »

فسألته وهى تلهث : « لماذا تجرى بهذه السرعة يا مستر جاجز ؟ »

فنظر اليها مغضبا وأجابها : « انا لا أجرى يا آنسة ، وانما أتجول »

قالت مبتسمة : « وهل تقضى لياليك كلها متجولا ؟ »

فغمغم قائلا : « نعم يا آنسة »

ولاح من بعيد جندي راكبا دراجة ، وهدأ من سرعته حين رآهما من قريب ، ثم نزل من فوق دراجته فحيا ليديا تحية الصباح ، ثم أشار الى جاجز واستطرد :

ــ هل هذا الرجل فى خدمتكم يا سيدتى ؟.. انى أراه يخرج من منزلكم كل يوم فى الصباح الباكر

فأجابت ليديا بسرعة : « نعم ، هو ... »

ولم تعرف ماذا تقول ، فأنقذها جاجز من موقفها الحرج قائلا :

ــ تابع السيدة الخاص وحارس الدار

وتكلم جاجز نفرنسية أدهشت ليديا ، وأمنت على قوله بعد أن أفاقت من ذهولها ، ورددت : « نعم ، وحارس الدار أيضا »

وقال رجل البوليس : « حسنا يا سيدتى . أرجو أن لا أكون قد أزعجتك »

وبعد ابتعاد الجندى قال جاجز فى فرنسية صحيحة : « ليس كذلك يا آنسة ؟ »

وقبل أن تجيب على عبارته أدار لها ظهره وسار يظلع فى اثر الجندى . فنظرت اليه وهى تفكر فيما كشف لها عنه حديث رجل البوليس من أن جاجز يقضي الليل فى أرض الدار أو حولها ، واشاعت هذه المعرفة فى نفسها شعورا عميقا بالارتياح والاطمئنان

وعندما عادت الى الدار وجدت الخدم قد استيقظوا ، ولم تظهر جان الا على تناول الفطور ، فسنحت بذلك فرصة تحدثت أثناءها ليديا مع الخادم الفرنسية التى جاءت بها مسز كول مورتيمر لدى استئجارها الدار ، وعلمت منها ليديا خبرا لم تكد جان تجلس بجانبها الى المائدة حتى أفضت به اليها قائلة :

ــ ان الصبى ابن البستانى يتماثل للشفاء يا جان

فأومأت جان بالموافقة وقالت : « أعرف ذلك ، فقد سألت عنه فى المستشفى أمس بالتليفون ! »

وحملقت ليديا فى محدثتها حائرة لا تدرى أتعجب بمروءتها أم تعجب من خداعها أن صح ما يقوله عنها جاك جلوفر ؟

ودار نقاش حول ما اذا كانت ليديا تستطيع أن تذهب الى المعزل حيث تقيم الأم لتقدم اليها ما علمت أنها بحاجة اليه من مساعدة ، وانقسمت الآراء فكانت جان موافقة ، وخالفها أبوها ومسز كول مورتيمر ، وعندئذ أدارت ليديا الحديث وجهة أخرى ، فقالت :

ـ صحوت مبكرة جدا صباح اليوم وخرجت لأستنشق نسمات الصباح الصافية ، واذا بجندى البوليس الراكب ينزل عن دراجته أمامى ، وقد خطر لى أنه ربما سألنى عن حادث اطلاق النار ، فهل أبلغ الحادث الى البوليس ؟

فأجاب مستر بريجرلند متلعثما دون أن يرفع نظره من طبقه قائلا :

ـ أ أ .. أى نعم ، طبعا ، هل ذهبت الى مونت كارلو ؟

فهزت ليديا رأسها نفيا وقالت : « كلا ، صحوت مبكرا كما قلت لك ، وقد قابلت الجندى على ناصية شارعنا فى الطريق العام (وأغفلت ذكر جاجز واستطردت قائلة) والحقيقة أن بوليس موناكو مهذب جدا »

فسعل مستر بريجرلند وقال : « جدا »

وسألت ليديا : « هل لدى البوليس نظريات عن مسألة اطلاق النار »

ولم تكن تعلم أن هــذا الموضوع أشد ازعاجا لمستر بريجرلند وابنته من الخلاف الذى كاد ينشب بينهما حول زيارة ليديا للمصحــة أو عدم زيارتها لها

ورد مستر بريجرلند على سؤالها ملفقا قوله : « نعم ، عندهم نظريات ، ولكن أنصحك يا عزيزتى بأن لا تتحدثى عن هذا الموضوع مع أحد من رجال البوليس ، فانى قلت لهم انك لا تعرفين أنك كنت المقصودة باطلاق النار ، وأخشى أن يستدرجوك فتظهر لهم غباوتى بذلك الانكار الذى ما قصدت به الا اراحتك »

وانتهزت جان فرصة ابتعاد الخادم بعد خروج ليديا ومسز كول مورتيمر فقالت لأبيها : « أرجو أن تكون قد تحققت الآن من مجانبة خطتك للعقل والحكمة ، وها أنت ذا مضطر لتغطيــة فعلتك بسلسلة من الأكاذيب غير المعقولة ، ومن يدرى ، فقد يزيد ماركس الطين بلة وينشر الخبر فى مونت كارلو ، فنصبح غدا ورجال البوليس فى دارنا يسألوننا لماذا أغفلنا التبليغ عن الحادث ؟ »

فتمتم الوالد قائلا : « لو كنت ذكيا مثلك .. »

فقاطعته ملقية منشفتها على المائدة وقالت : « من قال انك ذكى ؟ انك أعظم رجل وجدته مجردا من الذكاء ..! »



الصليب المفقود

صعدت ليديا الى جناحها فوجدت الخادم فى غرفة نومها ، وما كادت هذه تراها حتى وضعت يدها فى جيبها فأخرجت منه شيئا لامعا قدمته الى ليديا قائلة :

ــ ارجو ان لا تكونى قد غضبت علي يا سيدتى من أجل هذا

وكان « هذا » عبارة عن صليب صغير من الفضة ، يغطيه نصف الريال، وظاهر عليه انه مستعمل وان يكن قد صقل حديثا

وبينما راحت ليديا تتأمله استطردت الخادم قائلة :

ــ عندما رفعنا الفراش من سريرك بسبب تلك الفعلة الغامضة المرذولة ، وجدنا هذا فى طيات الملاءة ، وظننا أول الامر انه لا يمكن أن يخصك اذ هو من نوع رخيص لا يليق بك ، ولكننا عدنا هذا الصباح فاستقر رأينا على انه قد ينطوى على ذكرى غالية للسيدة

وعصرت ليديا الخادم بالأسئلة حتى ثبت لها قطعا أن الصليب قد عثر عليه فعلا فى فراشها ، وقلبته فوجدت حرف × محفورا فى موضع التقاء العمودين ، فوضعته فى حقيبة يدها معتزمة سؤال مسز كول مورتيمر عنه ، ولكنها نسيت أن تسألها حين لقيتها وهى فى طريقها الى الخارج

واعتذرت جان عن مصاحبتها ، فاستقلت سيارة أجرة الى نيس ، وارتاحت الى انطلاقها وحدها

والمعزل واقع فوق أكمة ، ولم تحصل على اذن الزيارة الا بصعوبة فائقة ، وقيل لها انها كزيارة السجناء ، المعزولة وراء صف من القضبان ، وانت خلف صف غيره

وأدخلت الى غرفة الزائرين ، وبعد قليل جيء بزوجة البستانى ووقفت وراء صف القضبان الثانى ، وتحدثت الى ليديا فذكرت لها أن الصبى بخير ، وأنها حقا بحاجة الى النقود لتشترى بها الغذاء الزائد عن «تعيين» المعزل الذى أمر به الطبيب ، وقالت ان زوجها موجود فى باريس من قبل أن يمرض الصبى ، ولكنه لم يحفل حتى بالرد بعد ما كتبت اليه وأحاطته بالنبأ

ودفعت لها ليديا من بين القضبان ورقة من ذات الخمسمائة فرنك ، واستطردت الأم البائسة شاكية :

ـ ساعدينى يا سيدتى فى استعادة الصليب المقدس الذى باركه البابا ، وما تماثل ابنى للشفاء بعد أن أشفى على الموت الا لأنى تركتـه عنـدما أخذونى الى المعزل ، على قميصه الصغير وهو على فراشه ، وقد علمت أنه ضاع ، وأنا واثقة أن أولئك المطببين اللصوص قد سرقوه »

فهتفت ليديا : « صليب ؟.. ما شكله ؟ »

ـ صليب من الفضة يا سيدتى ، لا يساوى مالا قط ، ولكن الصغير « كزافيير Xavier » ...

ورددت ليديا : « كزافيير ؟ » . وتذكرت حرف الـ X المحفـور على الصليب الذى وجد فى سريرها ، ففتحت حقيبتها وهى تقول : « انتظرى لحظة يا سيدتى » ، وأخرجت الصليب ، فلم تكد الأم تراه حتى أطلقت الزغاريد وقالت :

ـ هو بعينه يا سيدتى ، هو بعينه .. وها هو ذا حرف x الذى حفره نيافة الأب بمقراضه المقدس

ودفعت اليها ليديا بالصليب وخرجت من المعزل وهى ممتلئة عجبا من هذه المفارقة ، فالصليب كما تقرر الأم كان على صدر الصبى وهو ملقى يحتضر فى فراشه ، وقد وجد مع ذلك فى فراشها !.. فلا بد اذن أن الصبى نفسه كان فى فراشها !.. وخطر لها وهى تضع قدمها داخل السيارة أن هذا يفسر اغراق سريرها بالماء ووجود زجاجة فوق الاكسيد فارغة بجواره. فقد وضع كزافيير اذن فى سريرها ، وعرف شخص ما أن الفراش قد تلوث فصب الماء صبا حتى لا تستطيع النوم فيه ، فمن يكون هذا الشخص ؟.. أهو جاجز العجوز !

وانطلقت بها السيارة عائدة الى كاب مارتن عن طريق الكورنيش الكبير ، وفى منتصف الطريق لاحظت وجود صرة من الثياب على أرض السيارة ، فسألت عنها السائق ، فأجابها قائلا :

ـ جاءوا بها من المستشفى يا سيدتى ، فقد سألنى البواب عما اذا كنت قادما من فيللا كازا . وقال لى انها ثياب أرسلت الى المستشفى للتطهير !

وتناولت ليديا الصرة فوجدت عليها بطاقة تحمل اسم المعزل ومكتوب تحته « الآنسة جان بريجرلند » . فتراجعت مستندة الى ظهر السيارة وأغمضت عينيها ، فقد حل بها التعب من التفكير فى هذه المشكلة ، ولكنها صممت على ذلك على اماطة اللثام عن غوامضها . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ هل تخبر جان بما كشفته وما دار بخلدها ؟ نعم ، بل لا ، فلتتحدث الى جاجز أولا .. ولكن أين تجده ؟.. كان واضحا أنه يقيم فى مكان ما بمونت كارلو ، فهل يمكنها أن تستدل عليه ؟

ولم تكن قد استقرت على رأى بعد حين جاء ماركس ستبنى ليأخذها للغداء فى مطعم باريس

وكادت تنكر نفسها ، وتنكر الفلك الذى تدور فيه ، وزعمت أن المحيطين بها جميعا يعيشون فى عالم من الخيال لا يمت الى الحقيقة بسبب ، ولكنها عادت فتذكرت أنها هى نفسها مثال لقلب الأوضاع ، فها هى فى بضعة أسابيع تتحول من صحفية بائسة ، الى زوج ، الى أرملة واسعة الغنى يخطب الناس ودها بدلا من أن يرسلوا المحضر للحجز على منقولاتها



حيلة فاشلة

اختفى شعور السدى من محضر مستر ستبنى ، وأصبحت ليديا لا تأنف كما كانت قبل أسبوع من تناول الغداء معه ، فقد كان يذكر الناس بأكرم النعوت والصفات ، ولم يصدق عليه ظنها القديم من أنه همزة لمزة ، بل لقد استثار اعجابها بما كان يتلمسه من أعذار للخاطئين ، وما لا يفتأ يدعو لهم به من الخير . لقد كان المستر ستبنى رجلا خبيرا بطبيعة النفس البشرية ، ولا يستعصى على مثله أن يشيع السرور والارتياح فى أى نفس. وكان موقفه من ليديا موقف البائع من متفرجة تقلب البضاعة ، فلا يمكن أن يصدر عن البائع ما ينفرها أو يهز مشاعرها

كانت البضاعة بضاعته ، والواجب يقتضيه أن يعرضها فى أحسن صورة على المشترى . أما بضاعته فعبارة عن قامة طولها ١٧٠ سنتيمترا لرجل جذاب الملامح ، حسن الهندام ، مدرك مدى الاهمية فى عرض الناحيةالبراقة من بضاعته على عميله ، واتمام الصفقة فى أقصر وقت

وبسبيل ذلك راح مستر ستبنى يقص على ليديا وهما على مائدة الغداء تاريخ حياته بأسلوب يستدر عطفها عليه. وهى قصة تختلف دائما باختلاف سامعيها . وقد رسمت خطوطها اليوم على هدى ما علمه من الكفاح الذى تعرضت له ليديا فى حياتها ، وخاصة فى الايام التى أعقبت وفاة أبيها والآلام التى برحت بها أثناء محاولتها تسديد ديونه. وكانت جان قد أحاطته بتفاصيل تلك المحنة ، فساعده ذلك على جعل تاريخه مطابقا لقصة حياة ليديا التى علقت على قصته بقولها :

ــ ان تاريخ حياتك متفق تماما مع تاريخ حياتى

فهتف مستر ستبنى دون تأثر ظاهر : « وانى لارجو أن يستمر هذا التوافق ، فأننى رجل لا أقارب لى ولا أصدقاء اللهم الا معارف الندوات الليلية وأماكن اللهو التى يؤمها محبو الظهور فى المواسم ، وهو كما قد تعلمين مجتمع مصطنع لا رابطة بين أفراده الا الكذب والنفاق ! »

قالت ليديا : « وهذا هو ما أعانيه أنا الآن فعلا »

فهز رأسه قائلا : « حبذا لو تهيأ لى الاستقرار فى بيت صغير فى الريف يضم عددا من الجياد الصافنات وبضع بقرات وامرأة تفهمنى وأفهمها ... »

واستضحكت ليديا وأتمت حديثه قائلة : « ومجموعة من أفراخ الدجاج

والبط والاوز تسير وراءك .. لا ، لا يا مستر ستبنى ، انك لم تخلق لمثل هذه الحياة »

فأجابها محتجا : « انه لما يحز فى نفسى يا سيدتى أن الناس جميعا يتهموننى ظلما بالتقلب والميل الى التنقل وعدم الاستقرار على حال ، وأن همى فى الحياة هو اقتناص اللذة والمتعة »

فقالت ليديا فى رشاقة : « ليس أسعد من هذه الحياة ولا أفضل »

وهكذا قطعت عليه سبيل الاسترسال فيما لم تخف عليها الغاية منه ، ثم أمعنت فى استبعاد ذلك الموضوع بسؤالها اياه :

ــ هل لك أن تحدثنى عن ذلك الدعى المغربى الذى يقيم معك فى الفندق؟.. لقد رأيته يوما يتنزه على الكورنيش ، وأرى الصحف تكثر من الاشارة اليه

فتنهد مستر ستبنى ، وذكر لها أنه تعرف الى مولاى عبد الحفيظ ، ذلك الرجل الجبار ، لكثرة ما يلتقيان فى ممرات الفندق وردهاته ، وأن فرنسا تصطنع هذا الرجل وتضفى عليه صفات العظمة والزعامة نكاية بالسلطات الاسبانية التى وضعت مكافأة لمن يأتيها به حيا أو ميتا



واظهرت ليديا اهتماما بالدعى المغربى اكبر من اهتمامها بالدعى المرافق لها ، فما كادا يعودان الى « فيلاكازا » وتصعد ليديا الى جناحها لتغير ثيابها ، حتى قال ستبنى لجان :

ــ أؤكد لك يا جان أن مشروع زواجى فاشل ولا رجاء فيه

قالت الفتاة الماهرة :

ــ ما أسرع استسلامك للهزيمة !

ــ أنت مخطئة يا جان ، فانى أعرف بالنساء من ظهر يدى ، وقد ثبت لى يقينا انه يستحيل حمل الفتاة على ذلك الامر ، وما أنا بالغبى لاحاول المستحيل

فتأملته قليلا ، ثم قالت :

ــ كلا ، انك لست غبيا ، ولكنك قد تصيب النجاح اذا قمت بعمل جرىء

ــ وما هو هذا العمل الجرىء الذى تشيرين اليه ؟

ــ لماذا لا تهرب بها كما كان فرسان العصور الوسطى يختطفون من يقع عليها اختيارهم ؟

فأجابها ممتعضا :

ــ كان الفرسان يفعلون ذلك حين لم يكن هناك قضاة ولا محلفون لا يبالون أن يغيبوا فى السجون سنوات عديدة مقلدى أولئك الفرسان

وكانت جان جالسة فى مقعد مستطيل تواجه منه البحر ، واخرجت من

حقيبتها مدية ذات يد طويلة من العاج وجعلت تشذب بسلاحها عودا من فروع الشجر ، كدأبها كلما غاصت فى تفكير عميق ، وقالت لصاحبها وهى تحاوره :

ـ ليس حتما أن تبلغ كل امرأة حادث اختطافها لرجال البوليس ، فمنهن من تتجنب الفضيحة ، ومنهن من يتحول سخطها على خاطفها الى الاعجاب بشجاعته ومخاطرته ، وعندى أن معظم النساء يحببن تودد القوى من رجال الاحراش اليهن

فقال لها بصوت لم تتبين مراميه :

ـ وهل تحبين أنت هذا النوع من الرجال يا جان ؟

فأجابت :

انا انما ألقى اليك بنظرية لها ما يدعمها فى جميع العصور

فاندفع قائلا فى سرعة لا تسمح له بالتفكير فيما يقول :

ـ فلتذهب ليديا وثروتها الى الجحيم اذن ، فأنه ليس فى العالم الا امرأة واحدة قد أجازف من أجلها بمثل ما تقترحين على القيام به يا جان ، وأنت تعرفين استعدادى لبيع حياتى فى سبيل الحصول عليها

وانثنى فأمسك ذراعها بقبضة يده الضخمة القوية ، فلم تحاول تخليص ذراعها ، واكتفت بأن قالت فى هدوء :

ـ أرجو منك يا ماركس أن تبقى على يدك لنفسك

ـ ألم تقولى أن طريقة رجال الاحراش هى الطريقة المثلى لنيل الاوطار من المحبوبة النافرة ؟ فسأضحى بنفسى اذن من أجلك أيتها الشيطانة الصغيرة !

وقالت له : « كن عاقلا » . بيد أنه لم يكن هذا القول هو الذى حمله على سحب يده ، فقد أجرت جان حد مبراتها الصغيرة مرتين على ظهر يده حتى هاله الدم المتدفق فرفع يده متألما وهتف : « يا لك من وحش ! »

فنهضت متثاقلة وقالت :

ـ لا تخلو الدنيا من نساء أحراش كذلك يا ماركس ، ولكل منهن طريقتها .. والآن اعطنى منديلك لامسح هذه المبراة

ولم يبد حراكا حين مدت يدها الى جيبه فتناولت منديله فمسحت به المبراة ثم أقفلتها ووضعتها فى حقيبتها قبل أن تعيد المنديل الى جيبه بينما لم تزل يده تنزف دما . حتى اذا ابتعدت عنه واختفت عن نظره أخرج المنديل فربط يده وسقطت من عينيه دمعتان كبيرتان وهو يقول « يا لها من شيطانة ! »



مفاجأة جلوفر

اكتشفت جان أن زائرا جديدا قد وصل الى المنزل لدى عودتها اليه

فقد وصل جاك جلوفر قادما من لندن على غير موعد ـ كما قالت لها ليديا ـ واستقبلها جاك فى رقة فائقة قائلا :

ـ ما أسعدكم فى هذه الجنة الفيحاء! ان المطر ينهمر من أفواه القرب فى لندن ، والجو عندنا أسوأ من أن يوصف ، وها أنت يا آنسة بريجرلند تتحولين الى سمراء فاتنة

وأجابته جان متهكمة : « يظهر أن روح الجنوب الدافىء قد سرى فى دمك يا مستر جلوفر ، وأحسب أن بضعة أيام فى الريفيرا كافية لتجعل منك انسانا كبيرا ! »

فسألها متظرفا : « وأنت ، ماذا يجعل منك انسانة ؟ »

وتدخلت ليديا قائلة : « مالكم أيها الناس ؟ .. الا تستطيعان أن تلتقيا بلا عراك !؟ »

ولم يفت جان ـ التى لا يفوتها شىء ! ـ ان تلاحظ التغير الذى طرأ على ليديا من تورد وجنتيها وشيوع الغبطة فى روحها ، فقالت :

ـ انا لا اتعارك مع جاك ، وانما هو الذى يبتكر أسباب النزاع ، ويلقى وزرها على .. هل تقيم عندنا طويلا يا مستر جلوفر ؟

ـ يومين فقط ، لان عندى عملا هاما يقتضى وجودى فى لندن وسألته على سبيل الدردشة :

ـ ألم تحضر معك مستر جاجز ؟

فأجاب جاك مشدوها :

أليس هو هنا ؟ .. لقد أرسلته منذ أسبوع مضى !

وهتفت جان :

ـ أرسلته الى هنا ؟.. آه !.. هو هنا اذن ؟

ووضح لها بعض ما لم تكن تدرك كنهه حتى الآن ، ولم تعد فى حاجة الى البحث عمن أغرق السرير ولا عمن ضرب أباها تلك الضربة التى افقدته الوعى .!

وأرادت ليديا تحويل مجرى الحديث ، وتذكرت شيئا نسيته فقالت :

ـ أوه ، لقد نسيت يا جان أن أعطيك شيئا جئتك به من المصحة

وذهبت تعدو الى غرفتها ثم عادت بعد دقيقة أو دقيقتين تحمل الصرة التى وجدتها فى السيارة ، ودفعت بها الى جان قائلة : « هاك »

وأدركت جان ماذا تحتوى الصرة ، فتلقفتها فى ثبات وقالت :

ـ آه ، تذكرت ، هذه بطانية قديمة كنت أعطيتها لزوجة البستانى لما أخذوا ابنها الى المستشفى

ومدت يدها بالصرة الى الخادم وأمرتها أن تحملها الى غرفتها ، وبعد قليل اعتذرت من البقاء معهما وصعدت الى جناحها حيث وجدت الصرة على منضدة فتناولتها وفتحتها فأخرجت منها بدلة الوقاية من الغبار التى ارتدتها ليلة حملت الصبى الغائب عن الرشد من عشته الى سرير ليديا . وكان فيها أيضا قبعة المطاط والقفاز والمنديل وقد طهرت جميعا وغسلت وكويت ، فجعلت تنظر اليها وتستعيد ذكرى القائها فى البدروم المهجور من خلال نافذته ، متسائلة عمن أرسلها باسمها للتطهير فى المصحة !

ولم يطل بها التأمل ، ثم هتفت بصوت مسموع :

ـ جاجز !.. حقا يا مستر جاجز انك تستحق أن تذهب الى .. الجنة !



وخرج جلوفر وليديا معا الى أحد المطاعم وكانت السيارة تعدو بهما حين سألها : « من يا ترى أولئك المتغطرسون الذين استقبلتهم جان فى حجرة الاستقبال ؟ »

أجابت ليديا : « يظهر أن جان المسكينة تعانى مشكلة غرامية منذ ثلاث أو أربع سنوات ، فهنالك رجل يلاحقها بخطابات تهديد ، وقد تلقت صباح اليوم خطابا فظيعا جدا يهددها كاتبه الذى بعث به من مونت كارلو بالقتل ، ويعتقد مستر بريجرلند أن الرصاصة التى كادت تقتلنى منذ أيام كانت جان هى المقصودة بها »

فقال لها جاك :

ـ لم أسمع بحادث اطلاق النار عليك . متى وقع هذا الحادث ؟

فذهبت تروى له التفاصيل وهو يستمع اليها بلا تعليق ، حتى اذا انتهت طلب اليها أن تتم له قصة عدو جان اللدود ، فاستطردت قائلة :

ـ انها لا تعرف حتى اسمه ، وهو رجل جاوز نصف مرحلة الحياة ، وقد رآها أول مرة فى مصر وراح يتعقبها فى الحل والترحال غير عابىء بما يسببه لها من مضايقة

قال جاك :

ـ وتزعم أنها لا تعرف اسمه ! .. يا لها من قصة !

فقالت ليديا :

ـ ان حقدك عليها يصور لك أشياء غريبة حقا يامستر جلوفر ، وأؤكد أننى

لم أر الفتاة المسكينة مضطربة كما شهدتها هذا الصباح

ــ وهل يعتزم البوليس يا ترى أن يجعل لها حرسا يتبعها في تنقلاتها ؟ ثم ذلك الرجل الثقيل ، مستر ماركس ستبنى ، هل هو أيضا له ضلع فى الحكاية ؟ . . لقد رأيته يطوف حول الدار هذا الصباح ، وقد ربط احدى يديه كما لو كان بطلا قادما من معركة

قالت : لقد جرحت يده عندما كان يجمع لى بعض الزهور البرية . . .

وأرسل جلوفر ضحكة عالية مجلجلة ، فحدقت فيه مشمئزة وقالت :

ــ انك لفظيع ! وأكاد أندم على خروجى معك

فقال جاك معتذرا :

ــ لا تؤاخذينى ، فقد ضحكت على صورة تخيلتها لمستر ستبنى سائرا محاذرا على ثيابه أن يختل هندامها ليجمع لك الزهور فى قبعته العالية

قالت وقد تخففت من حدتها :

ــ فلنتحدث عن اى شيء الا أصدقائى

فأجابها : اننى لم ابدأ الحديث عن أصدقائك بعد ، وانما يبدو لى أن جان لم تكن مخطئة فيما زعمته من ان هواء الجنوب قد تسرب الى دمى فجعلنى ثرثارا لاأحسن ضبط لسانى وهوائيا أضحك من لا شيء. وأرجو أن تذكرينى قبل سفرى لكى أحذر جاجز من ذلك « الروميو » العجوز ، فقد تتودد اليه جان وتحرضه على جاجز المسكين لتتخلص منه

فقالت ويكاد يسمع لاسنانها صريف ــ لا أدرى لماذا تسيء الظن بجان الى هذا الحد ؟

قال مؤكدا ــ لأن لى عقلا جنائيا مثل عقل جان مع فارق واحد ، هو أنى أحترم القانون والضمير فلا أدلس عليهما ولا أدنسهما ، ولا أطيق أن يدخل قرش فى جيبى من طريق غير شريف . ومع أنى أقر لجان بالذكاء الخارق ، فلست أدرى ان كانت أفكارى هذه توافقها وتسعد بها اذا اتخذتها دستورا لها فى الحياة

فسألته ليديا متهكمة : وأنت ، ماذا يسعدك ؟ . . أهى جان ؟

ولم يجب جلوفر وصمت ، حتى اذا كانا على مائدة فى المطعم الذى قصدا اليه ، أجابها قائلا :

ــ جان ؟ . . كلا ، انى لا أريدها ، فهى رائعة حقا يا مسز ميريديث ، رائعة جدا ، وما أكثر ما تخطر ذكراها ببالى دون أية مناسبة ، فأجدنى ذاهلا ومفكرا فى أمرها ، ومحاولا أن أعثر على شبيهة بها ممن أحتفظ التاريخ بسجلات جرائمهن . فهناك لوكريشيا بورجيا ، ولكنها طفلة بالقياس الى جان ، وسوى ذلك لم تصنع المسكينة ما صنعت الا بعد أن تلقت صدمة عنيفة لعلها هى التى أثارت فى نفسها ذلك الحقد الاثيم . ولكن لعل الاقرب شبها بها من لوكريشيا فتاة عاشت فى بواكير قيام انجلترا الحديثة ، فى القرن

السادس عشر ، وكانت تشعل النار فى محترفات السحر لا لشيء الا لانها كانت تغتبط لرؤية النار ترعى فى أجسادهن . ذلك أن التاريخ لا يحفظ لجان شبيهة تامة الشبه بها ، فهى لا تنتزع السرور من ايذائها الناس أكثر مما تشعرين به انت من سرور بقطعك هذه البطيخة التى قد تكون غير ناضجة، ولا يمكن أن تفكرى فى أنك تقضين بذلك على حياتها قبل الأوان . . .

وتظاهرت ليديا بالبله :

ــ للبطيخة اذن حياة مثل حياتها . . لن أقتلها اذن . .

ثم تلبست بالجد واستطردت قائلة :

ــ هل تؤمن حقا بأن جان سفاكة بطبيعتها للدماء ؟

فأجابها دون أن يبتسم :

ــ نعم،بالفكر والتدبير على الاقل،فانى لا أعلم يقينا أنها قتلت أحدا بيدها، ولكنها وضعت خططا كثيرة للاغتيال

فتململت ليديا واسندت ظهرها الى خلف وقالت متذرعة بالصبر :

ــ ألا تزال مصرا على رأيك بأنها معنية باقتناص حياتى التافهة ؟

فأجابها متئدا :

ــ ليس هذا برأى ، ولكنى أؤكد لك أنها قامت فى الأسبوعين الماضيين بأربع محاولات لاغتيالك . . !

فقالت محتدة :

ــ هيا ، قل لى ما هى هذه المحاولات ؟ . . الأولى ؟

ــ الاولى كادت تكون القاضية ، وهى حادثة ميدان هايد بارك ؟

ــ هل تتفضل بأن تشرح لى المعجزة التى استطاعو بها أن يدبروا اندفاع السيارة نحوى أنا بالذات وقد جاءت من بعيد بتلك السرعة الجنونية،وماكنا واقفين تحت مصباح ، ولا يغمرنا ضوء ساطع ؟

عندئذ ابتسم جاك وقال :

ــ هذا سهل جدا ، فقد وقف بريجرلند العجوز على عتبة المنزل ليشعل سيجارة . وقد أخبرنى جاجز أن نور « الولاعة » كان ظاهرا من بعيد ، وكانت هذه هى الاشارة الى السيارة لتنطلق ، وكذلك ابتعدت جان عنك ــ وهى سائرة بجانبك ــ فى اللحظة التى أذهلتك فيها المفاجأة ، وتخلخلت ساقاك فأصبحت هدفا جيدا

والثانية كانت بمساعدة طبيب معتوه عاونه بريجرلند على الفرار ، وجاء به الى بيتك ، ولم أستطع تحقيق طريقة حصوله على المفتاح ، ويحتمل أن تكون جان قد دبرتها ، ألم يدر بينكما حديث حول المفاتيح مطلقا ؟

وسارت الفتاة الى الانكار قائلة : « لا . . » ، وطافت بخيالها ذكرى قالت لها « اما أن تكونى كاذبة أو ناسية » . ولمح جاك ترددها فسألها :

ــ هل أنت واثقة ان ذلك لم يحدث قط ؟

وأجابت ليديا متحدية :
ــ يحتمل أن يكون قد حدث ، فما هى الثالثة ؟
ــ المحاولة الثالثة هى تلويث فراشك بمرض خبيث
وهتفت الفتاة منكرة : جان فعلتها ؟ . . لا ، لا ، هذا مستحيل
قال : لقد رآه جاجز فى سريرك ، وجاء بجردلين من الماء فأغرقه بهما لكيلا تنامى عليه
فسكتت قليلا ثم قالت :
ــ أظن المحاولة الرابعة هى اطلاق النار ؟
فهز رأسه موافقا وأجاب متسائلا :
ــ هل صدقت الآن ؟
وهزت رأسها منكرة وأجابت فى هدوء :
ــ لا ، لا أصدق ، وما أراك الا قد استعنت ببراعة حجتك فى عرض وجهة نظرك التى انا موقنة باقتناعك بها . .
قال : عبارتك الاخيرة هى الصواب بعينه
ثم تناول منظارا كان قد وضعه على المائدة ، واستعان به على كشف الطريق الدائر مع حنية الخليج ، واستطرد :
ــ أريدك يا مسز ميريديث أن تقومى بعمل معين،وتخبرى جان بريجرلند بأمره
فسألته : وأى شىء هو ؟
قال : أريد منك أن تكتبى وصيتك ، ولا يهمنى لمن توصين ، ما دام من غير من تحبينهم
فأجابت وهى ترتعد : لا أحب كتابة الوصايا ، انى أقشعر لمجرد ذكرها
فأجابها مصرا ــ ستكون القشعريرة اشد ان لم تكتبيها . انآل بريجرلند هم ورثتك الشرعيون
فرفعت بصرها اليه بسرعة : وقالت : هذا اذن هو ما ترمى اليه ؟. . تظن أن كل تلك المؤامرات تحاك لازاحتى من الطريق ليتمتعوا بمالى ؟
فهز رأسه عدة مرات بالموافقة ولم يتكلم ، فاستطردت قائلة :
ــ لو لم أعرفك محاميا نابها ، وعنيدا !. . لحسبتك مؤلفا روائيا يريد أن يؤمن بقصته قبل أن يكتبها ، وسأرضيك واكتب الوصية ، وان أكن خالية الذهن تماما عمن أوصى له بمالى الكثير على ما اظن . أليس كذلك .؟
ــ المال النقدى الموجود بحسابك الجارى فى البنك هو ١٦٠٫٠٠٠ جنيه ، وهو ثمن ما بيع قبيل زواجك وما تمت اجراءات بيعه بعد ثبوت وراثتك . ويمكن أن يحصل أى انسان بمجرد امضائك على هذا المبلغ بمجرد طلبه من البنك ، غير أن رينيت وشخصى الضعيف قد اشترطنا على البنك أن لا يدفع

الحوالات بمبالغ جسيمة الا بعد استشارتنا .

ثم رفع المنظار الى عينيه مرة ثانية ، وفتش الطريق الذى جاءا منه ، فسألته :

ــ هل تنتظر قدوم أحد ؟

فأجابها ببراءة : « أنتظر قدوم جان »

ــ ولكننا تركناها . . . . . .

ــ تركناها تتحدث مع رجال البوليس ولكن ذلك لا يعنى أنها لن تحضر الى هنا ، فهى لا تحبنى كما تعلمين ، وتعمل الف حساب وحساب لخلوتنا هذه

وقطع الحديث وصول الطعام ، ثم عادا وحيدين فسألته :

ــ ماذا أصنع بالنقود ؟ هل أشغلها ؟

ــ طبعا ، ولكن أهم شيء أن تكتبى الوصية ، فهى أولى بالتقديم

وكان للغرفة التى يجلسان فيها بابان على الشرفة تتدلى عليهما الاستار ، وكان أحد هذين البابين ، المواجه للمائدة ، مفتوحا عند وصولهما ولم يغلقه أحد من عمال المطعم ، وهو الآن مقفل

واحتفظ جاك لنفسه بهذه الملاحظة ، وعادت ليديا تسأله :

ــ ماذا يحدث عندما يتقدم أحد الى البنك بحوالة عليها امضائى ؟

ــ اذا كانت الحوالة بمبلغ كبير يبادر مدير البنك الى استدعائنا ، واذا وافق رينيت أو وافقت أنا دفع المبلغ فى الحال ، ولا خوف من هذه الناحية مطلقا ، فهناك اجراءات دقيقة للتحقيق من امضائك والظروف التى وقعت بها فيها . . .



ورأته ليديا فى تلك اللحظة يتصلب وتتجه عيناه الى الباب ، وبعد ثانية واحدة نهض دون أن يحدث صوتا ما ، وسار على أطراف أصابعه حتى بلغ الباب فدفعه على مصراعيه ، واذا به وجها لوجه أمام جان بريجرلند وهى تبتسم

سألتها ليديا مشدوهة : كيف ومن أين جئت الى هنا ؟

وأجابت جان فى تراخ : ذهبت الى نيس ، فقد كان رجال البوليس ذاهبين الى هناك ، واضطررت لتوصيلهم

وقال جاك : آه ! جئت اذن من الطريق الخلفى ، ولذلك لم أر سيارتك

فابتسمت وجلست الى المائدة وقالت : كنت تنتظرنى اذن ؟ وصلت من ثانية واحدة ، وكنت فى الواقع ممسكة بالباب أريد أن أفتحه حين دفعته أنت فكدت تضربنى به فى وجهى . يا لك من رجل كالعاصفة ياجاك ! ستكون حتما من أشخاص القصة التى أكتبها

وتمالك جلوفر نفسه وقال مازحا : « ستضيفين اذن لونا جديدا الى جرائمك بأن تصبحى مؤلفة ، أليس كذلك ؟ وما اسم القصة يا آنسة بريجرلند . »

فأجابت ببرود : سيكون اسمها « مظلومة » ، وسيروى قصة روح معذبة

وكظم جاك غيظه وقال : خير ما يكتبه المرء قصة حياته، وستكون بلا ريب قصة عجيبة .!

وقالت ليديا : ستكون قصة رائعة يا جان ، ولكن لماذا لم تخبرينى بها قبل الآن ؟

وأجابت جان فى بسمة المفكر : بدأت التفكير فى هذه القصة منذ سنتين ، وسأهديها الى جاك ، وبدأت كتابتها منذ ثلاثة أو أربعة أيام ، انظرى الى رسغى !

ومدت يدها الجميلة الى ليديا التى قالت وهى تضحك :

ــ رسغ بديع جدا ، ولكن ماذا فيه ؟

ــ لو كانت عينك عين خبير لأمكنك أن تلاحظى الورم الناتج من ضغط القلم

وقال جاك : «ان أسطورة العجوز الولهان جديرة بأن يفرد لها فصل خاص فى هذه الرواية ، ولعلك تخصصين أيضا فصلا تحت عنوان (الحوادث العرضية) . . »

فلم ترفع جان عينيها ، وقالت فى رنة أسى :

ــ لا توهن عزيمتى ، فلا بد لى من التكسب بطريقة أو غيرها

وكان جاك متعجبا ومتأوها فى قرارة نفسه من ضياع المجهود الذى بذله فى تحذير تلك الفتاة التى يكاد يفنى نفسه فى سبيل حمايتها ، ومن استمرار غفلتها بعد هذا الحديث الذى سمعته ، والاحداث التى خاضتها . واذا كان النساء ممثلات بالطبيعة فان ليديا لم تكن الآن تقوم بدورها ، وتبين جلوفر أنها تحب جان حبا صادقا وانها كانت تستمع الى تحذيراته منها كما يستمع المرء الى هذيان محموم ، وأكد له هذا الراى أنها ، بعد عودتهم الى الدار ، لم تجامله حتى بطلب بقائه لتناول العشاء معهم عندما أعلن اعتزامه الرحيل فى صبيحة اليوم التالى وانه قد لا تتاح له رؤيتها مرة ثانية قبل سفره .

وتردد جاك قليلا ثم بدأ يقول : بشأن تلك الوصية . . .

ولكنه لم يتم كلامه اذ أسبلت ليديا عينيها متظاهرة بالتعب

بيد أنه لم يكد يذهب حتى أحست ليديا الاسف على الخشونة التى قدمتها الى جاك جلوفر الذى كانت تؤمن باخلاصه لها ونزاهته برغم مخالفتها اياه فى شأن جان ــ بل هى لا تكاد ترى فيه عيبا غير موقفه من صديقتها جان . وتطور احساس الاسف الى رغبة فى العزلة والتأمل . وتركتها جان ــ دون أن تدعها تفلت من رقابتها ــ تهبط الى الحديقة وتذرعها ذهابا وجيئة

لتفسح للعاصفة الثائرة فى صدرها طريق الخروج . ثم انها بكرت تلك الليلة فى الذهاب الى فراشها ، ولم تعترض جان لانها وجدت فى ذلك لها فرصتين : الاولى أن ليديا بروحها الخيرة ستفسر تغاضي جان عن الالحاح بالحديث عليها ولو لتدفع عن نفسها اتهامات جاك بأنه دليل على براءتها وطهر نفسها . والفرصة الثانية التي سوف تتيحها خلوة ليديا ونومها مبكرا هى ما سيتهيأ لها من خلوة بأبيها كانت ترجوها



وجلس مستر بريجرلند يصغى فى تواضع تام لتسجيل الحديث الذى دار بين جاك جلوفر وليديا ، لان جان كانت — لدى اكتشاف أمرها فى المطعم — قد مضى عليها ربع ساعة على الاقل تتابع بأذنيها الحادتين كل حرف من ذلك الحديث القيم . وعلقت أخيرا على هذا الحديث قائلة :

— لقد كنت أعلم أنه سيقترح عليها فكرة الوصية ، واذا كانت قد رفضتها الآن ، فهى ستعاودها وتراودها آنا بعد آن ، ولذلك أرى أنه لم يبق لنا الا أقل من أسبوع

فتمتم مستر بريجرلند :

— ما أرى الا انك قد قطعت فى الأمر برأى ، وجهزت خطتك ، فأخبرينى ما هى هذه الخطة ؟

قالت فى تأمل : « عندى ثلاث خطط،اثنتان منها تمتازان على الثالثة بعدم الحاجة فيهما الى استخدام شخص ثالث »

فتساءل مستر بريجرلند مشدوها :

— وهل كانت لديك خطة يشترك فيها شخص ثالث ؟.. أحسب أن فتاة ذكية مثلك ...

فقاطعته فى هدوء قائلة : امسك عليك لدعاتك ، ولا تحاول أن تبيعنى ما أنت شاريه منى .-ان الشخص الثالث الذى فكرت فيه ما هو الا ماركس ستبنى

ثم أفضت اليه بموجز للاحاديث التى دارت بينها وبين ذلك المقامر ، والاتجاهات التى تسير عليها العلاقات بينهما ، ثم استطردت قائلة :

— ان لصا مثل ماركس لا يترفع عن استلابنا نصيبنا ، وهذا اذا تغابينا وسلمنا بأن سيدفع اى شيء بالمرة . ثم انى على ثقة من انه لا يخشى اتهامه بتعدد الزوجات . وهكذا ترى انه لم يكن فى نيتى السماح له بالاقتران من ليديا ، وكل ما هناك انى وضعت أمامه شيئا يشغله ويزغلل عينيه ، فقد يكون من وراء ذلك فائدة لنا من ناحية أخرى

ثم نهضت ، ومدت ذراعيها ، وتثاءبت ، وقالت :

— أنا ذاهبة الآن الى غرفتى لأخط بضعة أسطر أخرى فى قصتى قبل

أن أنام ، وستقوم أنت بترقب المستر جاجز

وتساءل مستر بريجرلند :

ــ قصتك ماذا ؟.. لم تخبريني من قبل انك تكتبين قصة !

فأجابت :

ليست هذه فقط ، بل هناك عشرات من الأمور الهامة لا تعرف أنت عنها شيئا يا حضرة الوالد

وتركته معطل الذهن ذاهل اللب وانصرفت

ولكنها لم تخدعه هذه المرة ، فقد كانت تتوسط مخدعها عندما دخلته منضدة كتابة عليها ورق وقلم،فجلست اليها وتنهدت قليلا ثم تناولت القلم وبدأت تكتب . وسرقتها لذة الكتابة حتى انتصفت الثالثة بعد نصف الليل ، فجمعت أوراقها واتجهت نحو فراشها وهمت بالاستلقاء فيه واذا بها تذكر أباها الساهر مترقبا في الطابق الارضي ، فهبطت اليه ونقرت خفيفا على باب غرفته المظلمة ففتح لها الباب بسرعة ، وقال لها مؤنبا :

ــ ما حاجتك الى النقر على الباب ؟ لقد أفزعتني

فأجابت : فضلت النقر على أن أضرب بالنار . ألم تسمع شيئا أو تر أحدا

ــ كلا ، لم يحضر العجوز الليلة

قالت : لم يخطر لي الا منذ لحظة ان الارجح أن لا يحضر الليلة

وقال لها أبوها وهو يحاورها : « ألا ترين ان اطلاق النار في الليل يحدث ضجة ويثير التساؤل ؟ »

فأجابته تعاتبه : « دع عنك هذا التغابي !.. الم يعرف البوليس أن عجوزا مدنفا قد هددني بالقتل ؟.. فمن البديهي أن تبادر الى اطلاق النار على العجوز الذي تراه يطوف متلصصا حول المنزل » !

وعضت على شفتها مفكرة ثم استطردت قائلة :

ــ فلتذهب أنت الى فراشك ، انه لن يحضر الليلة ، أما في الليلة القادمة ، فسيحضر

وصعدت الى غرفتها فركعت الى جانب سريرها وتلت الصلاة ، وسرعان ما نامت



قصة عجيبة

كانت ليديا ناسية كل شيء عن قصة جان حين رأتها فى الصباح التالى جالسة الى منضدة صغيرة بين الازهار فى الحديقة وهى تكتب . وكان الوقت شهر فبراير ، ولكن الريح والشمس دافئتان ، فخيل الى ليديا انها لم تر منظرا أجمل ولا أبدع من صورة تلك الغادة الهيفاء فى جلستها التى تتسامر فيها مع النسيم والزهور والاطيار ، وتستلهمها ما تجرى به القلم على الورق المنشور فوق المنضدة

وسألتها فى ابتسامة حلوة صافية : « هل يضايقك وجودى ؟ »

ووضعت جان القلم ومسحت على رسغها وهى تجيب : « أبدا ، فقد تعبت ، ولكنى وصلت الى موقف مؤثر فى القصة ، ولابد من اتمام هذا الفصل ، وان كنت سأرتاح قليلا حتى يهدأ الألم الذى يحز فى رسغى »

وسألتها ليديا : « هل يمكننى أن أقوم لك بأى خدمة ؟ »

فهزت جان رأسها نفيا ، وقالت : « لا أجد ما يمكن أن تعمليه لى .. اللهم الا .. ولكن لا ، لا أحب أن أكلفك بذلك »

ـ قولى أولا ما هو هذا الأمر ، وأنا واثقة انك لن تطلبى منى عملا يستحيل على القيام به

قالت جان فى استحياء : «خطر لى انى قد أستطيع أن أملى عليك صفحتين أو ثلاثا ، فان الفكرة ماثلة فى ذهنى ، والحوادث أمام عينى ، حتى لأكون متهاونة مقصرة ان لم أسجل وحى الشعلة المقدسة ـ وأظن أن هذا هو التعبير الصحيح ـ وتركتها تنطفىء »

قالت ليديا : « انى على أتم استعداد، ولكنى لا أعرف الاختزال، فسأكتب كما تملين »

ـ لا حاجة الى الاختزال فانى لا أملى بسرعة ، وأفكارى تسير ببطء أيضا

ـ وما هو محور القصة ؟

ـ انها تدور حول فتاة سرقت مالا كثيرا وفرت الى أمريكا حيث عاشت فى بحبوحة من النعيم والمرح ، ثم تذكر خطيئتها ويطوف بها طائف الندم ، فتقرر التوارى من المجتمع ، وتعمل على اذاعة اشاعة بين الناس بأنها قد أغرقت نفسها منتحرة ، بينما تذهب هى فى الحقيقة الى دير . وقد وصلت

الى حيث وقفت تودع صديقها الأعز،فهل تشعرين الآن انه يمكنك متابعة الموضوع ؟

وجلست ليديا على المقعد الذى كانت جان قد أخلته منذ هنيهة وأمسكت بالقلم وقالت :

ـ لم أشعر فى حياتى برغبة وحماسة لأى عمل كما أشعر الآن

وذهبت جان تذرع المكان ذاهبة آيبة تعتصر ذهنها ، ثم وقفت بجانب ليديا وبدأت تملى عليها ببطء ، وهذه تكتب كلمة كلمة وصف الندم العارم الذى أرق البطلة حتى استقر رأيها على كتابة خطاب لصديقها

واستغرق هذا الوصف صفحة ونصف صفحة ، وعندئذ طلبت جان الى ليديا ان تأخذ ورقة جديدة لتكتب عليها الخطاب ، محتجة بأنها قد تحتاج الى نصف الصفحة الخالى لتملأه بنفسها بكلام تريد أن تحتفظ الآن بسره

وتناولت ليديا ورقة جديدة وأملت عليها جان الخطاب الآتى :

« صديقى العزيز

« لا أدرى كيف يمكننى أن أكتب اليك هذا الخطاب ، وكنت عازمة على أن أخبرك عندما التقينا منذ أيام بما أعانيه من تعاسة وشقاء ، ولم يؤلمنى الاستماع الى شبهاتك واتهاماتك بقدر ما تألمت لجهلك بحادث حيوى ، أصبحت الحياة بسببه عبئا ثقيلا لا يطاق . ولم تدخل النقود سرورا الى نفسى ، فقد قابلت رجلا وتحاببنا ، ولكن يستحيل الجمع بيننا ، وقد اعتزمنا الموت معا .. فوداعا

« سامحنى ، ولا تعتبر ما أنا مقدمة عليه جبنا عن مواجهة الحياة ، واذكرنى دائما فى صلواتك

صديقتك »

وزمت جان شفتيها وقالت : لا أدرى ، أأجعلها تمضى باسمها كاملا ، أم الأليق أن تكتفى بالحروف الاولى منه ؟ »

وسألت ليديا : « ما اسمها ؟ »

ـ لورا مارتن ، فليكن بالحروف الاولى ، اكتبى ل.م. وكفى

واستضحكت ليديا وهى توقع بالحرفين وقالت ـ هذا توافق عجيب ، فهذان هما الحرفان الأولان من اسمى .. استمرى

ولكن جان اعتذرت بأنها لا تجيد الاملاء فور البديهة ، وقد كان هذا كل ما أعدته فى ذهنها من صور ، وشكرت لليديا معاونتها الصادقة ، وجمعت أوراقها فى تواضع ، وحملتها معها الى غرفتها معتذرة بحاجتها الى الراحة ، وتواعدا على أن يلتقيا بعد الظهر ويخرجا فى نزهة يعوضان بها تعب شغل الصباح

وعادا مع المساء بعد سباحة ممتعة ، وعند وصولها الى الدار قالت جان :

– على فكرة ، أرجوك يا عزيزتى أن تعطينى عنوان جاك جلوفر فى لندن
وكانتا قريبتين من مخدعها،فانفلتت وعادت تحمل ظرفا وقلما فقدمتهما الى ليديا قائلة : « اكتبيه هنا »

وكتبت ليديا العنوان بريئة نقية من خواطر السوء · ودخلت جان الى غرفتها فتناولت الخطاب الذى يحمل توقيع «ل·م·»،فوضعته داخل الظرف وأغلقته · وكانت ليديا ميريديث أقرب الى الموت فى هذه اللحظة مما كانت عندما اندفع السائق موردن بسيارته الفيات الكبيرة ، صاعدا بها فوق رصيف ميدان هايد بارك ليدهمها



وفى مساء اليوم التالى تلقت ليديا برقية صادرة من لندن وتحمل امضاء جاك جلوفر يخبرها فيها بأنه قادم الى كاب مارتن

وقالت جان حين اطلعت على هذه البرقيـة : « ما أسعدك يا ليديا ، لك حارسان ملكان ، أحدهما فى لندن يحافظ على أموالك ، والآخر هنا يقضى الليل ساهرا مطوفا حول مخدعك لحمايتك من كل سوء »

– تقصدين جاجز ؟ هل رأيته يا جان ؟

– لم أره مطلقا ، وانى لمشوقة لرؤية هذا الرجل قبل أن نرحل من هنا

بيد أن أباها هو الذى تحققت أمنيته فى هذه الناحية قبل ابنته ، ففى الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة ، وهو جالس فى مكانه بجوار النافذة المطلة على الحديقة فى الطابق الارضى،رأى شبحا يتنقل بين الاشجار قفزا من شجرة لأخرى ، وكلما أدارأ فى احـداها تلفت يمنة ويسرة والى أمام والى خلف قبل أن يقفز منها الى الشجرة التالية فى خط سيره نحو مبانى الدار · ولم يسارع مستر بريجرلند الى اطلاق النار من البندقيـة المعدة بجواره مخافة أن يكون الشبح أحد رجال البوليس قادما للبحث عن العجوز العاشق الذى قدمت جان خطابه الذى يهددها فيه بالقتل · ولكنه – أى بريجرلند – ما لبث أن تأكد من شخصية الشبح حين أصبح قريبا منه ، فتناول البندقية من مكانها وسددها نحو الهدف وأطلق النار

وأيقظ صوت الطلقة الفتاتين فقفزتا من فراشـهما فى وقت واحـد ، وخرجتا كل الى شرفتها ، ورفع بريجرلند رأسه على صوت وقع الاقدام ، وكان موقفه تحت شرفة ليديا ، وقال :

– لا تراعى يا مسز ميريديث ، فما أحسبه الا لصا

وخشيت ليديا أن يكون جاجز ، لما تعلمه من طوافه بالليل حول مخدعها، فهتفت :

– وهل تراه أصيب اصابة بالغة ؟

ـ لقد اختفى على كل حال بعد أن أطلقت النار عليه ، وقد يكون رأى البندقية فانبطح على الارض ثم نجا بنفسه

والتفت جان برداء فوق قميص النوم وطارت نازلة الى حيث وقف أبوها وسألته فى همس : « هل أصبته ؟ » ، وأجابها هو فى مثل همسها : « أكاد أجزم بأنى قد أصبته ، ولكن الشيطان العجوز لابد أن يكون قد رآنى وأنا أسدد البندقية اليه ، فانبطح على الارض »

وعندئذ تناولت جان البندقية وانطلقت تعدو الى الحديقة وتفتش الاشجار شجرة شجرة . وفيما هى تتأمل شجرة باسقة باحثة بين فروعها ، اذ بها ترى شبحا يزحف على الارض متجها نحوها ، فرفعت البندقية الى كتفها ، ولكن يد الزاحف كانت أسرع فى امساك يدها من اطلاقها النار ، وكذلك غطى فمها بيده الأخرى قبل أن تتمكن من الصراخ ، ثم ألقاها على الارض مبطوحة على وجهها ، وهمس فى أذنها : « صلى صلاتك الاخيرة ! »

وحاولت بكل ما فيها من قوة أن تفلت من قبضته ، ولكنها كانت بين يديه كالطفل ، وضيق الخناق حول عنقها وهمس مرة ثانية قائلا : « ستموتين ، فكيف شعورك نحو الموت ؟ »

وامتلأ قلبها رعبا ، وسمعت من بعيد كالحلم صوت أبيها وهو يناديها ثم فقدت وعيها

وعندما أفاقت جان وجدت نفسها بين ذراعي ليديا ميريديث ، ورأت أباها جالسا مطرقا معتمدا رأسه بين يديه وقد زاد الكمد لونه قتامة وسوادا ، فتحاملت على نفسها حتى جلست وقالت :

ـ ما هذا يا جماعة ؟ وماذا جاء بى الى هنا ؟

ورد أبوها قائلا فى رعدة : « لقد خرجت أبحث عنك فوجدتك مستلقية فوق العشب فاقدة الوعى »

فسألت : « هل رأيتم الرجل ؟ »

وأجابت ليديا : « لم نجد أحدا هناك ، ولكنى لا أظنه جاجز ؟ »

وأشرق وجه جان بابتسامتها البريئة وأجابت : « لا ، لا يمكن أن يكون جاجز . هل تسمحوا لى بأن أذهب الى فراشى ؟ »

وعادت الى مخدعها ولكنها لم تنم ، وكيف تنام وهى تكابد الخوف لأول مرة فى حياتها ، وأى خوف ؟.. لقد رأت الموت بعينيها ، وأحست دبيبه وهو يسرى فى جسمها ، وذاقته فترة الغيبوبة التى لم تعلم مداها

ولشد ما عجبت ليديا ميريديث عندما شهدتها على مائدة الفطور وليس عليها من أثر للحادث الذى كاد يقضى عليها ولما يمض عليه ساعات ! فقد كانت بادية النشاط والمرح ، وملء عينيها تلك الحيوية وذلك الصفاء اللذين يلازمان الشخص الفكه المتندر الذى لا يفتأ يتعقب الناس بنكاته ولذعاته

ولم تسبح ليديا فى ذلك اليوم ، وفشـــل ماركس ستبنى فى محاولته حملها على مرافقته الى أى مكان . ورأتها جان قبيل المساء جالسة الى منضدة صغيرة فى الحديقة تكتب ، ففاجأتها متندرة :

ـ هل تكتبين وصيتك ؟

ولم تكتمها ليديا انها تفعل برغم ما يلفها من انقباض منذ بدأت تكتبها. فعملت جان على ادخال السرور على صديقتها ، فلم تنجح فى حملها على ملء الفضاء بضحكاتها الرنانة فحسب، بل جعلتها تعدل أيضا عن كتابة الوصية التى تثير ذكراها الكمد

وانقضى النهار والليل الذى تلاه بلا طوارىء من الخارج ، اللهم الا مقابلة قصيرة بعد الغروب بين جان وبين سائق سيارتها ، لم تلبث بعدها ان لاذت بغرفتها ، حتى ان ليديا وهى فى طريقها الى مخدعها بعد ذلك بقليل نقرت على بابها لتقرئها تحية المساء فلم تتلق جوابا



تزوير مالى

وكانت التعليمات التى أصدرتها جان الى أبيها فى باكورة الصباح التالى أن يجعل عينيه فى ذلك اليوم على مسز ميريديث ، وأن يجد لها ما يشغلها ويلهيها النهار بطوله

وانطلقت بسيارتها الى فندق باريس ودخلت الى ردهة الاستراحة متظاهرة بالرغبة في كتابة خطاب ، ودست فى حقيبتها ورقتين أو ثلاثا من أوراق الفندق وغلافا يحمل اســـمه وعنوانه ، ثم ذهبت فاستأجرت آلة كاتبة ، وعادت الى الدار فتسللت الى غرفتها وقضت زهاء ساعة انتهت فيها من كتابة الخطاب ، ثم أنفقت وقتا أطول فى البحث بين أوراق ليديا حتى عثرت على خطاب يحمل امضاء جاك جلوفر ، ولكنها لم تتعب كثيرا فى الحصول على امضاء ليديا ، ولا فى العثور على دفتر الشيكات الخاص بها ، فانتزعت منه ورقة من آخره ، وتم لها بذلك الحصول على كل ما تريد من مواد وأدوات

وبعد ظهر ذلك اليوم ذهب موردن الســـائق بالسيارة الى نيس ، وفى التاسعة من المساء هبط من الطائرة فى باريس · وفى الصباح التالى وصل الى لندن حاملا خطابا مستعجلا باسم المســـتر رينيت المحامى · ولكنه لم يسلم ذلك الخطاب بنفسه ، فقد كان يعرف فتاة فرنسية مقيمة فى لندن ، وهى التى حملت الخطاب الى المحامى الذى لم يكد يطلع عليه ويفحصه فحصا دقيقا حتى هز رأسه مستسلما ، وتناول ورقة خط فوقها الى مدير البنك الكلمات التالية :

« الشيك المرفق سليم ولا غبار عليه ، فأرجو دفع قيمته »



وجلست جان الى أبيها فى اليوم التالى تقول له :

ـ ان الأمراض الخطيرة لابد لها من علاج خطير

ورفع مستر بريجرلند بصره من الكتاب الذى كان يقرأه وقال :

ـ صدقينى يا جان ان هذا هو ما كنت أفكر فيه منذ لحظة ، فقـد كنت أستعرض مركزنا المالى وظهر لى اننـــا فى مأزق نحتاج للخروج منه الى عشرين ألف جنيه ، فخطر لى أن ألتجىء الى القمار ، وهو كما تعلمين وسيلة اليائس

فأجابت فى كبرياء : « وهل كنت تحسبنى غافلة عن الضـــائقة التى تتهددنا ؟ انهذه الحال الخطيرة هى التىدفعتنى للالتجاء الى وسيلة لا أحبها »

ثم قصت عليه ما اتخذته من تدابير لعلاج الضائقة ، حتى اذا انتهت من حديثها قال لها ممتعضا :

ـ لقد أصبح موردن يعلم من أسرارنا أكثر مما ينبغى ، وهذا ما أخشاه فألقت اليه بابتسامة مطمئنة وقالت :

ـ لا تخش شيئا من ناحية موردن ، فانى سأتزوج قريبا منه

فغاض الماء من وجه أبيها وصاح منفعلا : « ماذا ؟٠٠ تتزوجين من سائق انتشلته من الوحل ، ولو كشفت يوما حقيقته ما كان جزاؤه الا المشنقة ؟ »

فأجابته ببطء متسائلة : « أهو وحده الذى يستحقها ؟ »

وهدأت ثائرة مستر بريجرلند فسألها : « ومتىيتم ذلك الحادث الخطير؟»

ـ بعد حوالى شهرين تقريبا ، أى على عيد الفصح ، فان هذه الطبقـــة من الناس تتفاءل بالزواج فى هذا العيد ٠ وقد اتفقنا أنا وهو على أن نكتم هــذا الأمر ، ولولا اشارتك الى أننا قد بتنا تحت رحمته لما حدثتك بخبره فهز مستر بريجرلند رأسه وقال :

ـ فى هذين الشهرين قد يغير الله الاحوال ، فاذا بدا لك انهاء هذه الحال فأخبرينى

ـ لكل شىء نهاية ، وقد تكون نهاية هذا الأمر أقرب مما تظن ، ولكنى أحب أن ألفتك الى شىء يا أبى ، وهو أن لا تطلق النار على المستر جاجز اذا رأيته الليلة فى الحديقة ، فقد ينفعنا هذا الرجل نفعا كبيرا

فضرب مستر بريجرلند فخـــذيه بيديه وقال : « حقا انى لا أفهمـــك يا جان ! »



وفي وقت متأخر من تلك الليلة شـــاهدت جان فى نافذة غرفة موردن ، القائمة فوق الجراج ، مصباحا صـــغيرا ينبعث منه ضوء خافت هو الاشارة المتفق عليها بينهما اعلانا عن عودته من مهمته ، فبادرت بالذهاب اليـــه وسألته بلا أدنى مقدمة : « هل أحضرت النقود ؟ »

فتناول من فوق سريره صرة وفتحها فأخرج منها خمس ربطات من ورق النقد من ذات الألف فرنك وقدمها اليها قائلا :

ـ هاك خمس ربطات كل منها ألف ورقة فيكون مجموعها خمسة ملايين فرنك ، وقد استبدلت جانبا منها فى لندن والباقى فى باريس

وسألته : « والمرأة ، أليس ثمة خطر منها ؟ »

فابتسم ابتسامة المعتد بنفسه وأجاب : « كلا يا آنســة ، انها لا يمكن أن تغشى أمرى ، وهى علاوة على ذلك لا تعرف اسمى ولا عنوانى ، فما هى الا فتاة عرفتها فى مرقص ، واعلم انها من ذوى السيرة الرديئة،والبوليس الفرنسى يبحث عنها ، ولكنها تعرف كيف تفلت منه »

قالت : « حسنا فعلت يا فرنسوا » • وربتت على يده ، وحاول هــو احتجاز يدها بين يديه ، فاســتطردت قائلة له فى وقار : « أنت وعدت يا فرنسوا ، والفرنسى الاصيل يحافظ على كلمته » • فحياها بانحنــاءة النبلاء وقال :

– هل من خدمة أخرى أستطيع أن أؤديها ؟

قالت : « نعم ، أريد منك أن تكتب لى خطابا بفرنسيتك البليغةوسأمليه عليك قدر استطاعتى ، ولكنك ستصوغه طبعا فى أسلوبك الرفيع »

فجلس وأخذ ورقة وقلما وأملت عليه :

« سيدتى العزيزة
« لقد عدت من لندن ، واعترفت لمدام ميريديث
« بأنى قلدت امضــاءها وسحبت من نقودها
« بالبنك ١٠٠٫٠٠٠ جنيه

وسألها مشدوها : « لماذا أكتب هذا الخطاب يا جان ؟ »

فأجابت : « سأخبرك قريبا ، فهيا ، أتمم الخطاب »

« وقد عرفت الآن فقط ان مدام ميريديث تحبنى ،
ولا أدرى الى أى شىء ينتهى بنا هذا الحب ، فهى سيدة
جريئة ، فانظرى ما سيقع »

ولما لم تطلب اليه امضاء الخطاب ، ظن انها ستضع عليه امضاء مما تجيد تقليده ، وتستخدمه فى الايقاع بشخص آخر ، فأكدت له ان هذا هــو ما ترمى اليه ، ولكنها لن تلجأ الى ذلك الا اذا حامت حوله الشـــبهات ، وهدده خطر اكتشاف أمره ، فاقتنع بهذا التعليل ، وأعجب بفكرتها الى حد أنه ضمها بين ذراعيه ، ووضع شفتيه على شفتيها فى قبلة حارة وقال لها :

– لله درك يا جان ، يا معبودتى

فتخلصت منه بلطف قائلة : « صبرا يا فرانسوا ، فلم يبق الا القليل »

وانفلتت خارجة وسارت على أطراف أصابعها حتى اذا بلغت مخدعهــا وقفت أمام المرآة وأخرجت منديلها فمسحت موضع القبــلة من فمها ، وألقت بالمنديل فى سلة المهملات ، وكان ذلك منها بمثابة حكم بالاعدام على فرانسوا موردن

كانت جان آخر من هبط من السيارة عندما عادت مجموعة فيلا كازا من

المسرح الذى قضوا فيه الليلة التالية لحوادث الفصل السابق ، وخاطبها موردن فى احترام ظاهر قائلا :

ـ أرجو يا آنسة أن تتكرمى بالحضور الى الجراج لأطلعك على الاطارات الجديدة اذ يبدو لى انها ليست جيدة

وكان هذا هو اصطلاح بينهما ومعناه ان لديه ما يقوله لها :

فأجابته : « حسنا يا موردن ، سأحضر بعد قليل »

وسألها أبوها محنقا : « لماذا يريدك موردن ؟ »

فأجابت متحدية : « لقد سمعته ، وكلامه واضح لا يحتاج الى تفسير ، فلا تسألنى أكثر من ذلك ٠٠ ! »

ودخلت مخدعها فغيرت ثيابها وانتظرت برهة ثم تسللت خارجة

ووقف موردن فى الظلمة أمام باب الجراج ، فلم تره حتى خطت بضع خطوات الى الداخل وتبعها هو حتى اذا استدارت تواجهه قال لها فى لهجة الأمر :

ـ تعالى نصعد الى غرفتى ، فلى كلام معك ليس هنا موضعه

ـ بل هذا هو المكان الذى لا ينبغى لنا أن نتخطاه الآن يا فرنسوا ، فأنت تعلم ان أبى لا بد أن يكون قريبا منا ، ومدام ميريديث لم تنم بعد ، وقد تحضر الى هنا ، فماذا يكون موقفى اذا رأونى فى غرفتك ؟

فسكت هنيهة ، ثم قال : « أنا فى حيرة شديدة من أمرك يا جان ، وأنت أشطر منى ، وأنا لا أفهم خططك ، ولا أفهم غرضك من الخطاب الذى استكتبتنيه وذكرت فيه ان مدام ميريديث تحبنى ٠ وقد فكرت طويلا فى هذا الأمر ، ويبدو لى انى قد تورطت »

فقالت متهكمة : « يا لك من مسكين يا فرانسوا ! ولأجل من تتورط ان لم يكن لزوجتك فى المستقبل القريب ، ألا يكفيك أن تعلم أن فى هذا الخطاب مصلحة لى لتكتبه ؟ »

وسكت مرة ثانية ، ثم قال فى خشونة : « لا أستطيع أن أتكلم هنا ، ويجب أن تأتى معى الى غرفتى »

وترددت جان ، ولكن اضطراب صوته جعلها تفضل الاذعان ، فقالت : «حسنا» ، ثم تبعته على السلم ، حتى اذا دخلا الغرفة طلب منها مصرا شرح الغرض من الخطاب

وتبينت جان ـ التى تفهم الرجال وتقرأ دون أن تخطىء أفكارهم ـ انه لا سبيل الى المماطلة الآن ، فقالت :

ـ سأشرح لك الأمر ولو انى لا أرتاح الى أسلوبك هذا فى الخطاب ، فلست أنت المقصود بالورطة ، وانما مدام ميريديث

فقال : « أنا الذى أعترف فى الخطاب بأنى حصلت على خمسة ملايين

فرنك بطريق التزوير ، وأنا الذى أقرر فيه صراحة اننى واياها سنقتل أنفسنا أو نهرب معا ، فهو مستند خطير ضدى يا جان ، ولا ينبغى أن يكون فى يد أحد غيرى »

فقالت فى رقة : « ستتضح لك جلية الأمر غدا يا فرانسوا ، وفى الحق ليس هناك ما يدعوك الى القلق ، فلابد من حسم هذه العلاقة النكدة »

فسألها بسرعة : « معى أنا ؟ »

وأجابت : « لا ، بل مع مدام ميريديث ، فقد تعبت من الانتظار لاتمام زواجنا ، وعزمت على أن أطلب من أبى السماح لنا بعقد قراننا فى الاسبوع المقبل . ولا أكتمك يا فرانسوا انى كتبت فعلا الى القنصل البريطانى فى نيس طالبة اليه اتخاذ التدابير اللازمة لذلك الاحتفال »

وفوجىء السائق بالنبأ السار ، فسألها متلهفا : « أحقا ما تقولين ، أم أنت تخدعيننى ؟ »

فأجابت فى صوت هادىء متوسل : « لا يا فرانسوا ، أنا لا أستطيع أن أخدعك فى أمر لا هم لى سواه »

فجعل ينظر اليها لاهث الانفاس وتكاد عيناه الملتهبتان تنفذان فيها ثم قال : « ستعطيننى الخطاب الذى كتبته ، أليس كذلك يا جان ؟ »

ــ سأعطيكه غدا

فأخذ يديها بين يديه وقال : « بل الليلة ، لا شك ان لى الحق فى هذا ، فالخطاب أخطر من أن يظل له وجود ، هاته الآن »

قالت : « هو فى غرفتى » . وهو قول لا لزوم له ، بل هو فى مثل هذه الظروف مثير للريبة ، وقد استقرت عيناه فعلا على الحقيبة المعلقة فى يدها

وقال : « بل هو هنا يا حبيبتى يا جان ، فحققى لى رجائى . ان جسمى يقشعر كلما ذكرت هذا الخطاب ، وقد كنت مجنونا ولا ريب حين كتبته »

فقالت : « انه ليس معى هنا » . وحاولت الرجوع الى الوراء ، ولكنه كان أسرع منها وانتزع الحقيبة من يدها بخشونة ، وهم بالاعتذار اليها فلم تمهله وانقضت عليه كلبؤة ثائرة فاختل توازنه وتراجع الى الوراء وعادت الحقيبة الى يدها ، فحملق فيها وقد فر لونه وقال فى سكون كالذى يسبق العاصفة :

ــ ما هذا ؟ اسمعى يا صديقتى ، ان هذا الخطاب سوف يجلب على ضررا كبيرا ، ولن أتركه معك

وتقدم نحوها ، فدفعته فى وجهه ، ولف ذراعه حول خصرها ومضت دقيقة وهو يحاول انتزاع الحقيبة من يدها وهى تمنعه ، وعندئذ فتح الباب ودخل مستر بريجرلند ، فما ان رآه موردن حتى أرخى ذراعه ، وصرخ فيه الرجل العجوز قائلا : « انت نذل » . ثم لكمه بقوة فسقط على الارض . ولبث فى موضعه لحظة مذهولا ، ثم مد يده الى جيبه فأخرج مسدسا

أستطاعت الفتاة أن تختطفه منه قبل أن يطلقه . وعندئذ استوى واقفا والشرر يتطاير من عينيه ، ولكن جان التفتت الى أبيها وقالت فى هدوء :

ـ لا حق لك يا أبى فى ضرب فرانسوا ، وانى وان لم أخبرك بعد فقد كنت عازمة على أن أذكر لك انه سيعقد قراننا ، فرانسوا وأنا، فى الاسبوع المقبل

ففغر بريجرلند فاه وصاح : « ماذا ؟ »

فأجابت : « قلت لك اننا سنتزوج فى الاسبوع القادم ، والحال التى شهدتنا عليها لا تمسك من قريب ولا بعيد »

وسحرت هذه الكلمات موردن وزال غضبه وجعل ينظر الى جان والى أبيها ، وكأنه لا يصدق أذنيه ، واستأنفت جان قائلة :

ـ لقد اختلفنا الليلة على أمر لا شأن لسوانا به ، وقد فات أوان اعتراضك يا أبى على زواجنا ، وسنمضى ـ فرانسوا وأنا ـ فى طريقنا ونواجه مصيرنا كما يحلو لنا ، ويؤسفنى حقا أن أراك معترضا فقد كنت لى دائما الوالد المحب العطوف

وكانت هذه أول اشارة تلقاها مستر بريجرلند من ابنته بأنه يحتمل أن يكون لكلامها معنى آخر قد تشرحه له عندما يخلوان لنفسيهما ، فهدأ من حدته وقال :

ـ حسن جدا ، انى لا أزال غير موافق على هذا القران غير المتكافىء ، وانما يجب الآن أن تعودى معى الى المنزل ، فانى لا أستطيع أن أسمح بأن تصبح ابنتى مضغة فى الافواه

فأومأت بالموافقة واتجهت نحو موردن قائلة :

ـ سأراك فى الصباح الباكر يا فرانسوا ، فسأذهب قبل الفطور الى نيس لشراء بعض ما يلزمنى

فانحنى السائق ومد يده ليسترد المسدس الذى أخذته منه ، فجعلت تقلبه بين يديها مبدية اعجابها بنقوش الفضة التى تحلى قبضته العاجية الأنيقة ، ثم قالت فى احدى ابتساماتها النادرة :

ـ لن أأتمنك الليلة على هذا .. عم مساء يا فرانسوا

فتناول يدها وقبلها وقال بصوت مرتجف : « سعدت مساء يا جان »

وقبل أن يبلغا المنزل مدت جان يدها بالمسدس الى أبيها وقالت :

ـ احتفظ بهذا ، لقد رأيت حروفا منقوشة بالفضة على مقبضه ، ولا بد أن تكون الحروف الأولى لفرانسوا موردن اذا صدق نظرى فيه . ولتحضر الى غرفتى قبل أن تنام ، فعندى لك كلام كثير

وعرجت على الردهة حيث كانت مسز كول مورتيمر تحاول تلقين ليديا لعبة البيزيك ، وألقت ليديا الورق من يدها وسألتها :

ـ أين كنت يا جان ؟

فجلست جان وقالت : « كنت أدبر لك اختبارا طريفا ، ولكنى لا أدرى ان كان هذا الاختبار سيصادف هوى من قلبك الصغير ، أم هو لا يزال فى غنى عنه ؟ »

وسألتها جان متحدية : « هل تحبين أحدا ؟ »

ــ أحب ؟ كلا ٠٠ كلا

ــ أحسن ، فهذا يجعل الاختبار أطرف وأعمق أثرا ، فأنك اذا جلست على « كرسى المحبين » ولم يكن لك حبيب معلوم ، أعلن اليك اسم الشخص الذى ستصبحين زوجته ٠ أما ان كان لك حبيب فان اعلان اسم الزوج سوف يثير حرجا

وسألت ليديا : « وأين هذا الكرسى السحرى ؟ »

ــ على طريق سان ريمو بعد نقطة الحدود ٠ انت ذهبت الى هناك يا مرجريت ؟

أجابت مسز كول مورتيمر : « مرة واحدة » ٠ ولم تكن فى الواقع قد خطت خطوة من كاب مارتن نحو الشرق ، ولكن القاعدة عندها انها رأت كل شىء جدير بالناس أن يروه

واستطردت جان : « فى مكان موحش ، وموقع رهيب ، بينه وبين أقرب مكان مأهول عدة أميال »

ــ متى تأخذيننى الى هناك ؟

فهزت جان رأسها وقالت : « وجود شخص آخر يفسد العمل ، فاذا كنت تريدين أن تتمتعى حقا بهزة الدهشة ــ وهى تجربة جديرة تماما بأن يمر المرء بها ــ وخاصة لأنه أجمل منظر على طول الشاطىء ، فيجب أن تذهبى وحدك »

فقالت ليديا موافقة : « سأذهب غدا ، هل المسافة طويلة أم يمكن قطعها مشيا ؟ »

فهتف جان : « يا للمشقة انها مسافة بعيدة ، سيأخذك موردن الى هناك، فهو يعرف الطريق جيدا ، وما ينبغى أن تذهبى الا مع سائق خبير ، وعندنا ترخيص لتعبر السيارة الحدود ٠ ويحتمل أن تلتقى مع أبى فى (سان ريمو) فقد أخبرنى منذ هنيهة أنه ذاهب فى رحلة اليها « بالموتوسيكل » ، أليس كذلك يا أبى العزيز ؟

وسحب مستر بريجرلند نفسا طويلا وأومأ بالموافقة ، وكان قد بدأ يفهم !

كرسى المحبين

كان بين السفن الراسية فى ميناء (موناكو) زورق طويل ، له شراع قصير عريض سمى (ملك السحاب) • وهذا الزورق لنبيل انجليزى أخنى عليه الدهر ، ولم يبق له ما يعيش به الا ما يحصل عليه لقاء تأجير زورقه للراغبين فى النزهات البحرية

ولعل السيدة (كول مورتيمر) قد أغراها اعتدال قيمة ايجار الزورق أو (اليخت) كما ذكر فى الاعلان عنه ، فضلا عما ورد فى الاعلان أيضا من أنه يتسع لنوم أربعة أشخاص ، وعلى هـذا سارعت الى استئجاره بخطاب أرسلته بالبريد بعد أن طوته على قيمة ايجاره شهرين • ثم ما كادت ترى الزورق بعـد ذلك هى وأصحابها حتى تبين لهم أنه ليس (يختا) لكنه زورق صغير بمحرك ، ان وسع اثنين فلابد من أن يكون أحـدهما قصيرا ضئيل الجسم • وهكذا رأوا أنهم وقعوا ضحية للاعـلان البراق ، فتركوا الزورق لصاحبهم (ماركس ستبنى) يصـول به ويجول ، ويضيف به الى نفسه مظهرا آخر من المظاهر التى يحتاج اليها فى عمله ومرتزقه

وكانت نفسه لا تزال متأثرة بنظرية رجال الاحـراش والادغال التى صبتها (جان) فى أذنيه ، حين ذهب صبحة ذلك اليوم يدعو (ليديا) الى رحلة صيد سمك ممتعة ، أعد لها عدتها من وقود ومأكل ومشرب منذ الليلة السابقة !

واعتذرت ليديا من عدم استطاعتها اجابة الدعوة لارتباطها بموعد سابق، وأصرت على اعتذارها برغم الحاح ماركس ، لكنها استحيت أن تخبره بأنها ذاهبة لتجلس على (كرسى المحبين)

وتدخلت (جان) فى الأمر مؤيدة ليديا فى اعتـذارها ، ثم نظرت الى (ستبنى) نظرة ذات معان ، وطلبت اليه ارجاء دعوته (ليديا) الى الغد ، وفهم ماركس من نظرتها أنها تحاول أن تعاونه على تنفيذ خطته الوحشية، فاطمأنت نفسه ، وذهب الى « اليخت » ليقضى فيه بعض يومه

وكانت جان قد خرجت فى الصباح الباكر بالسـيارة يقودها موردن طبقا لاتفاقهما عقب المشادة التى تدخل فيها أبوها • وطالب السائق بالخطاب تنفيذا لوعد جان برده فى الصباح ، ولكنها استمهلته محاولة ازالة شكوكه، ووعدته بأن تعطيه الخطاب فى المساء ، ثم استطردت قائلة له :

ــ أنت شديد التأثر ، سريع الانفعال ، ضعيف الثقة حتى بأقرب الناس

اليك . ومن أجلك وقفت ذلك الموقف الشاذ مع أبى فى الليلة الماضية ،على أنه ما زال مصرا على فسخ خطبتنا ، وقد ردد على سمعى ما يتوقع أن يقوله أصحابنا ومعارفنا فى لندن من أن المجتمع سوف ينبذنى ..

فقطع كلامها سائلا : « وأنت بماذا أجبته يا جان ؟ »

فقالت : « أجبته بأنى لا أعبأ بشىء من ذلك ، وأنى لا يمكن أن أكون سعيدة الا معك أنت يا فرانسوا ، وانى مستعدة لتلقى بذاءة أبى وغضبه من أجلك أنت ! »

وود موردن لو يأخذ يدها ويقبلها ، ولكنهما كانا فى الطريق العام ، فاكتفى بأن قال لها :

ــ لقد كنت دائما مؤمنا بأنى سأنال شيئا عظيما يا جان ، وقد أحببتك من أول نظرة ، وكنت مستعدا دائما للتضحية بحياتى طوعا لأمرك . ولم أتردد فى المخاطرة بنفسى يوم انقضضت بالسيارة فى لندن على السيدة وكدت أقتلها لولا ذلك الرجل العجوز الذى حملها فى اللحظة الاخيرة . ولعلك تذكرين أيضا يوم وقفت أراقب ذلك الرجل الذى يدعى ميريديث..

فقطعت كلامه وقالت بصوت خفيض : « فلنتكلم فى موضوع آخر »

فقال : « أريد أن أقابل أباك وأعتذر له مما حدث فى الليلة الماضية »

فأجابت : « لقد ذهب أبى بالموتوسيكل فى رحلة الى ايطاليا ، ومن رأيى ألا تخاطبه فى شىء اذا رأيته ، وسأبذل جهدى لتهدئته »

وكانا قد وصلا الى (فيلا كازا) ، فقالت له وهى متجهة الى البيت :

ــ لا تنس أنك ستأخذ مدام ميريديث الى (كرسى المحبين) فى الساعة العاشرة والنصف !



كانت ليديا فى غرفتها ترتدى ثيابها استعدادا للرحلة حين دخلت السيدة (كول مورتيمر) الى القاعة حيث جلست جان تكتب وقالت لها : « ان على التليفون شخصا يتحدث من (مونت) طالبا ليديا »

فقفزت جان قائلة : « سأرد على المتكلم »

ولم يكن صوته الأجش غريبا على سمعها ، وقال لها :

ــ أنا صديق لمسز ميريديث ، وأريد أن أتحدث اليها فى شأن عاجل

فأجابت جان : « يؤسفنى أن أقول لك انها خرجت الآن فقط »

فتأفف المتكلم ثم سأل : « هل تعرفين أين ذهبت ؟ »

ــ أظنها ذهبت الى مونت كارلو

ــ اذا لم أقابلها هناك وعادت الى البيت فأرجو أن تخبريها بألا تخرج مرة ثانية حتى أحضر لمقابلتها

فأجابت جان : « سمعا وطاعة » . ولم تكد تضع السماعة بعد ذلك حتى جاءت ليديا من خلفها وسألتها :

ـ أكان أحد يطلبنى على التليفون ؟

وأجابت جان : « نعم يا عزيزتى . يبدو أن ماركس ستبنى كان يريد أن يكلمك ، وقد أخبرته بأنك خرجت . هل أطلبه لك ؟ »

وقالت ليديا وهى تستعد للقفز على السلم : « لا وحقك !. أأنت مصرة على عدم مرافقتى ؟ »

ثم قبلتها مودعة واستطردت مازحة :

ـ حذار أن تفكرى فى غير الشخص الذى تحبين !

وكان موردن واقفا بجانب السيارة يختال فى بذلة جديدة بيضاء واقية من الغبار . فلما ركبت ليديا معه ، انطلق بالسيارة حتىغابت عن الانظار، بينما عادت جان الى مكانها من القاعة .. ثم دق جرس التليفون مرة ثانية ، فنهضت قبل السيدة كول مورتيمر ، وتناولت السماعة فقال لها المتحدث:

ـ لم تذهب السيدة ميريديث الى مونت كارلو ، ولا شـوهدت سيارتها على الطريق اليها ؟

فسألته جان فى صوت عذب : « أأنت مستر جاجز ؟ »

فقال : « نعم يا آنسة »

قالت : « لقد عادت السيدة ميريديث الآن ، ويؤسفنى أنى ذكرت لك انها ذهبت الى مونت كارلو ، فقد كنت أظن ذلك ، وهى الآن فى غرفتهـا تشكو صداعا أليما ، فتعال اليها ان كنت تريد مقابلتها »

وسكت جاجز لحظة ثم قال : « حسنا ، سأحضر »

وبعد عشرين دقيقة وقفت سيارة أجرة أمام الباب ، وهبط منها جاجز ، وقادته احدى الخادمات الى القاعة ، ووقفت جان تسـتقبله وتجيل نظرها فيه من كل جانب ، ثم أشارت الى مقعد ودعتهللجلوس ، فجلس وهو يقول بصوته الأجش :

ـ أفضل أن أقابل السيدة ميريديث على الفور ، فلا وقت عندى للانتظار

قالت جان : « قد أتيت بك الى هنا فى الواقع بنبأ غير صحيح ، لانمسز ميريديث ليست هنا »

فهم بالوقوف وهو يردد : « ليست هنا ؟ »

وقالت جان : « لقد استقلت السيارة فى نزهة مع السائق ، وقد أردت أن أقابلك يا مستر جاجز لأن .. »

وسكتت قليلا ثم استطردت فأتمت كلامها قائلة :

ـ انك من أبر أصدقائها بها وأحفظهم لصوالحها . صحيح أنا لا أعرف

من أنت ، ولكنى أعلم أن مستر (جاك جلوفر) هو الذى اختارك لهذه المهمة

فقال لها فى غلظة :

ـ لست أفهم هذا الكلام ، ولا حاجة بى اليه ، وليكن كلامك صريحا اذا كان لديك ما تريدين قوله

فأجابت : « حقا لست أدرى كيف أبدأ ٠٠ ان الموضـــوع دقيق بحيث أكره حتى الكلام فيه ، ولكن موقف الســيدة ميريديث من موردن سائق سيارتنا ، يدعو الى أشد الاسف ، وأحسب أنه يجب احاطة مستر جلوفر بالأمر ٠ وقد أعلم أن مثل هذا الأمر يحدث كثيرا ، ولكنى على كل حال أشمئز من وقوعه مهما يكن السائق جميلا ورشيقا ومهما تكن الشابة صغيرة السن ! »

فهتف بها فى لهجة الأمر :

ـ أفصحى فى كلمة واحدة عما تريدين قوله

قالت : « أقصــد أنى أخشى أن تكون ليديا المسكينة قد شغفها موردن حبا » .

فانتصب واقفا وقال :

ـ هـــذا كذب دنىء !٠٠ ويجب أن تخبرينى الآن بما حــدث لليديا ميريديث ، ولتعلمى يا جان بريجرلند أنه لو أصيبت شعرة من رأس هــذه الفتاة بسوء فسأتم العمل الذى بدأته هناك (وأشار بيــده الى الحديقة) وأخنقك بيدى هاتين ٠٠!

فرفعت عينيها الى عينيه، ولكنها خفضتهما بسرعة وبدأت ترتعد،ودارت على عقبيها فجأة وولت هاربة الى غرفتها وأغلقت بابها بالمفتاح ثم أسندت ظهرها لتزيد اغلاقه احكاما ، بينما بهت لونها ، وأخذت تهتز اهتزازا عنيفا ٠٠ وكانت هذه هى المرة الثانية فى حياة جان بريجرلند التى أحست فيها الخوف !

وسمعت وقع خطواته ، ثم قرع الباب كأنه يريد أن يحطمه ٠ واشـتد بها الخوف فأجالت بصرها فى الغرفة باحثة عن مهرب ، وخطر لها خاطر ، فجرت نحو حجرة الحمام مسرعة وتناولت اسفنجة كبيرة موضوعة لتجف فى نافذة مفتوحة ، ثم تناولت من فوق رف هناك زجاجة كبيرة مملوءة بسائل مخدر ، وسرعان ما نزعت السدادة ، ثم أدارت وجهها بعيــدا ، وراحت تصب ذلك السائل فوق الاسفنجة ، ثم عادت أدراجها بسرعة والســائل يقطر من الاسفنجة التى فى يدها على الارض ، وما كادت تصل الى الباب الذى وقف وراءه جاجز حتى أدارت المفتاح فى قفل الباب بهدوء . ولم تمض دقيقة حتى فتح الباب ودخل الرجل العجوز مندفعا،فصوبت هى الاسفنجة الى وجهه ضاغطة اياها بكل قوتها ٠ فانبثق السائل المخدر وأصاب عينيه

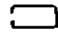
فكاد يعميهما ، كما نفذت رائحته المخدرة الى أنفه فسقط جانبا على ركبتيه، ثم لم يلبث قليلا حتى فقد وعيه

وحين عاوده الحس ولما يفق تماما من غشيته ، وجد أن يديه موثقتان خلف ظهره ، وأن قدميه مقيدتان لا يستطيع بهما حراكا . وكانت عيناه ما زالتا مغلقتين ، فأجفل حين أحس بيد تمسح عليهما بخرقة مبللة،وعندئذ رن فى أذنه صوت جان وهى تقول له فى سخرية لم يعهدها من قبل :

ـ يؤسفنى أن أنازل عجوزا مثلك وأنزل بك هـذا الأذى ، وستفتح عينيك بعد دقيقة واحدة ، وان كنت ستبقى هنا حتى أرسل فى استقدام رجال البوليس

وفتح عينيه ببطء ، ونظر اليها شزرا وقال :

ـ لا يدخلن فى وهمك يا جان أنك قد انتصرت على ، بل اعلمى اننى أنا جاك جلوفر ، ولم أبرح مونت كارلو منذ وصلت ليديا ميريديث الى هنا ، أما سبب حضورى الآن ، فلكى أخبر السيدة ميريديث بأن مائة ألف جنيه سحبت من رصيدها فى البنك بامضاء مزيف



ما حانت الساعة الحادية عشرة صباحا حتى كان مستر بريجرلند قد عبر الحدود الفرنسية منطلقا بدراجته البخارية (الموتوسيكل) فى الطريق نفسها التى سلكتها سيارته بقيادة موردن حاملة ليديا الى (كرسى المحبين)

وكانت تقع على هذا الطريق ـ قريبا من الأكمة الصخرية التى يربض فى بطنها ذلك الكرسى العجيب ـ مزرعة صغيرة من أشجار الزيتون ، وجد فيها مستر بريجرلند مخبأ صالحا ليخفى فيه دراجته ، كما وجد فيها مظلة تقيه حرارة شمس الظهيرة التى قد تؤذى صلعته ، علاوة على ما يتخللها من نسيم صاف يجعل التريض فيها متعة

وبعد حوالى نصف ساعة ، وصلت السيارة تتهادى بين يدى سـائقها الذى كان فى حالة من الغبطة لا تكاد الدنيا معها تتسع له ، وذلك بفضـل ما شنف سمعه من حديث جان

ووقفت السيارة على كثب من أكمة الصخور ، وهبط منها موردن ففتح الباب لليديا ، ثم أشار الى طريق هناك وسط تلك الأكمة وقال لها :

ـ هذا هو الطريق الى كرسى المحبين !

ووجدت ليديا نفسها على رأس سلم طبيعى من الصخر غير متسـاوى الارتفاع ، وتحت مستوى الطريق بحـوالى ست أقدام ، برز كرسى المحبين منحوتا فى صخرة هائلة بيضاوية الشكل ، يصطدم الماء بجدارها المقوس ، حتى ليرى الجالس على الكرسى ألوفا من السمك الصغير الملون تسبح تحته

وقبل أن تأخذ ليديا مكانها على الكرسى ، جلست على الدرجة الاخـيرة

المقابلة له ، وراحت تتأمل الصخر والبحر وقد استغرقت فيما يحيط بها من الوحـــدة والسكون ، ولم تكن ترى من مكانها حتى موردن الذى كان جالسا على سلم السيارة غارقا فى تأملاته وأحلامه

ولم يشعر هذا باقتراب مستر بريجرلند منه ، ولهذا أجفل حين فوجىء برؤيته واقفا أمامه دون أن يبدو عليه أثر للغضب من حادث الأمس !

وهب موردن واقفا مرتبكا محييا ، فوضع مستر بريجرلند يده على كتفه ملاطفا وقال :

ــ كاد اندفاعى فى الليلة الماضية أن يفسد ما بيننا يا فرانسوا ، ولعلك تكون مثلى قد نسيت ما حدث ؟

فتمتم موردن قائلا :

ــ بل أنا المخطىء يا سيدى !. ولن أغتفر لنفسى ...

فقطع بريجرلند كلامه وقال له وهو يربت كتفه :

كلا !.. كلا !. ان تصرفك كان نبيلا حقا !

ثم أشار بيده الى جهة البحر وسأله :

ــ ما هذه السفينة الواقفة هناك ، أهى سفينة حربية ؟

وما كاد فرانسوا موردن يدير وجهه الى جهةالبحر حيث أشار بريجرلند حتى سدد هذا الى رأسه فوهة المســـدس ذى المقبض العاجى ، وكان قد أخفاه فى يده التى جعلها وراء ظهره ، فجندلته على الارض بجانب السيارة، حيث تمدد هناك جثة بلا حراك !

ودوى صوت الطلقة بين الصخور حتى خيل لليديا أنهــا تتكأكأ عليها ، ثم تراءى لها أنه قد يكون صوت انفجار عجلة سيارة ، وسارعت الى السلم فصعدته لترى ما هناك ، فوقعت عينها على مســـتر بريجرلند واقفا معطيا ظهره للسيارة ، وتحت قدميه جثة موردن ملقاة على وجهها . ولم تتمالك نفسها ازاء هذه المفاجأة فصرخت مذعورة ، وضاعف من ذعرها أن شــهر مستر بريجرلند مسدسه فى وجهها . ثم همت بأن تنــاديه لتستوضحه حقيقة الموقف ، ولكن صوتها وقف فى حلقها اذ فوجئت فى هذه اللحظة بطلقة مدوية أخرى أطاحت بقبعتها من فوق رأسها ، فتخاذلت ســاقاها ، وارتمت على الارض وهى ترتعد كريشة فى مهب الريح !

وحينما رفعت رأسها أخيرا وهى واقفة على أسفل الدرج ، التقت عيناها بعينى مستر بريجرلند ، ثم دوت طلقة ثالثة ، وأحست شيئا يصطدم بها فى عنف فانقلبت على حافة الجرف ، وهوت فى البحر !



« والتقت عيناها بعيني مستر بريجرلند ، فشهر مسدسه فى وجهها »

جلوفر يبحث عن ليديا

لم تعجب جان لشيء في حياتها كما عجبت حين أعلن لها جاجز العجوز انه هو جاك جلوفر بشحمه ولحمه ، وقد كادت لا تصدقه أول الأمر وأخذت تسأله في دهشة : « كيف هذا ؟! أنت مستر جلوفر ؟! »

فقال لها : « لو أنك فككت وثاقي لما تعذر على أن أثبت لك شخصيتي ! »

وكان صوته قد عاد الى طبيعته فعرفته ، ثم اقتربت منه في دلال وراحت تحل وثاقه

ولما فرغت جان من هذه المهمة ، سارع جلوفر فخلع الشعر المستعار من فوق رأسه ، وانتزع اللحية من وجهه ، ثم نظر الى جان ، وقال لها : « لقد كدت تعمينني بذلك السائل ! »

فقالت معتذرة : « لم أكن أعلم حقيقة شخصيتك ، بل كنت أحسبك ذلك العجوز الذى ...

فقطع كلامها قائلا :

— بل كنت تعرفين الحقيقة وتتجاهلينها !. وأنا أخبرك الآن بأنى كنت على قيد خطوة منك حين صرحت لأبيك يوما في لندن بأننى لن أستطيع تمضية الليل في دار ليديا ميريديث الا اذا ذهبت متنكرا في زى رجل عجوز!

فسألته : « ولكن لماذا كنت تصر على أن تقضى الليل في دارها ؟ »

فأجابها محنقا : « هذا سؤال لا محل له ، لأنك تعرفين أيضا أنى كنت أقضى الليل هناك للمحافظة على حياتها من مؤامراتك لاغتيالها ! »

فردت مبهوتة : « مؤامراتي لاغتيالها ؟! لا شك أنك لا تدرى ما تقول !»

فأجابها بصوت كالرعد :

— لا تسخرى !.. ان في يدى من الادلة ما يكفي للقبض على أبيك ، وربما عليك أنت أيضا .. لقد قضيت شهورا منقبا في حادث ذلك الاسترالى الذى مات ميتة فجائية عجيبة !.. واذا لم يكن في مقدورى اثبات الجرم عليكما في قضية ميريديث ، أو تعذر على القاؤك في السجن جزاء الجرائم التى دبرتها للسيدة ميريديث ، فان الأدلة التى عندى عن الجريمة الأولى تكفى لوضع حبل المشنقة في رقبة أبيك !

وكانت جان تعلم أن جلوفر لا يلقى الكلام على عواهنه ، فاستحضرت في ذهنها تفصيلات الجريمة التى أشار اليها ، عساها أن تتبين الثغرة التى

دخل منها جلوفر للكشف عن ذلك التدبير المحكم الذى عجل بخاتمة أول رجل أوقعه سوء طالعه فى حبها . وأخيرا قالت له :

ـ لن يؤثر فى تهديدك هذا.فلا علم لى بأى شىء عن هذه الجرائم المزعومة التى تحاول الصاقها بى !

فأجابها قائلا : « على كل حال ، سيتضح أمر هذه الجرائم عما قريب . أما فيما يختص بهذا الحادث الاخير ـ حادث الاستيلاء على مائة ألف جنيه من أموال ليديا ـ فقد صدر الأمر بالقبض على سائقك موردن ، وقد حصل البوليس على بيانات وثيقة عن حركاته من اللحظة التى استقل فيها الطائرة من نيس حتى وصوله الى لندن ، وعرفت المرأة التى قدمت الشيك ، كما عرف الصيارفة الذين أبدلوا النقود فى لندن وباريس ! »

وكان جلوفر يتوقع أن تفزع جان لهذه الانباء ، ولكن ظنه خاب ، اذ تلقتها فى هدوء ، ثم قالت له :

ـ لا أكاد أصدق أن موردن يفعل شيئا من ذلك ، فهو رجل أمين لم نعهد عليه خيانة قط . وعلى كل حال هل تسمح لى يا مستر جلوفر بأن ألفت نظرك الى أن مخدعى ليس المكان الذى تبحث فيه مثل هذه المسائل ، وهل لك أن تتفضل بانتظارى فى القاعة الكبرى بالطابق الأرضى ؟

فقال لها : « عسى أن لا تكون هذه محاولة لتخرجى من الدار ؟ »

فأجابت فى ترفع : « حقا انك تذكرنى برجال البوليس الذين نقرأ عنهم فى المجلات القصصية الرخيصة !.. فليست لك أى سلطة لاحتجازى فى هذه الدار أو ذلك المكان ، وأنت أعرف الناس بهذه الحقيقة ، ولكنى مع الأسف أؤكد لك أن ليس هناك أى سبب يدفعنى الى الهرب . ولك ان أحببت أن تجلس على السلم ريثما أعود اليك »



على أثر خروج جلوفر من الغرفة ، قرعت جان الجرس ، فلما أقبلت الخادم ناولتها خطابا مغلقا وقالت لها :

ـ سأهبط الى الطابق الارضى عما قليل للتحدث مع مستر جلوفر فى القاعة الكبرى ، فاحضرى لى هذا الخطاب هناك ، وقولى لى بأنك وجدته فى الردهة !

وأخفت الخادم الخطاب فى صدر ثوبها وانصرفت ، وغيرت جان ثوبها الذى أفسدته تلك المعركة العجيبة التى انتصرت فيها بسهولة لم تكن حتى هى نفسها تتوقعها ، وكان أول شىء قالته لجلوفر عندما دخلت القاعة :

ـ أود لو أعرف ماذا تعتزم عمله الآن يا مستر جلوفر ، وما خطتك ؟.. هل ستأخذ ليديا ؟.. أنا أعلم طبعا أنك تحبها و ...

فقطع كلامها قائلا : « ليست الصلة بينى وبين السيدة ميريديث صلة

حب كما تزعمين ، ولكنى جئت الآن لأحاول استعادة مالها المسروق ، وقد ساهم فى السرقة سائقك موردن كما قلت لك »

فقالت : « ثق يا مستر جلوفر بأنى مستعدة لتقديم كل عون لك للوصول الى غايتك ، واذا كان موردن قد ارتكب هذا العمل الشائن ، فانه يجب حتما أن يلقى جزاءه . ولكنى مع ذلك أعجب كيف يقـــدم على هذا العمل وهو صديقها !.. ثم صدقنى يا مستر جلوفر ان ليديا سيئة التصرف ! »

فسألها فى هدوء :

ـ وأى شىء يحملك على هذا الاعتقاد ؟

فقلبت كفيها وقالت :

ـ كنا كلما افتقدناها وجـدناها معه ، وقد رأيتهما فى الحديقة معا فى الليلة الماضية ســاهرين الى وقت متأخر جدا ، وقد دفعنى الى الســـهر ومراقبتهما ما كنت أخشاه من أن تلاحظ السيدة كول مورتيمر هذا الأمر!

فقال لها مستر جلوفر :

ـ هل أفهم من هذا أن السيدة كول مورتيمر لا تعرف شيئا عن هـــذه العـــلاقة التى تزعمينها .. حقا انك ماهرة يا جان !.. فانك حتى وأنت تبتكرين من خيالك لا يفوتك أن تحتاطى لما يكذبك فيه الآخرون !.. انى لا أصدق حرفا مما تقولين !

وفى هذه اللحظة سمعت نقرة على الباب ، ثم دخلت الخادم تحمل طبقا من الفضة فيه خطاب ، وقالت وهى تقدمه لسيدتها :

وجدت هذا الخطاب ملقى على المنضدة فى الردهة ، وهو يحمل عنوانك ، فهل رأيته يا سيدتى ؟

فأظهرت جان الدهشة وقالت :

ـ كلا !.. لم أره

ثم تناولت الخطاب وتظاهرت بأنها تحقق النظر فى العنوان ، ثم فضته ، ولم تكد تنتهى من قراءته حتى استبان جاك جلوفر على وجهها أمارات الذهول والفزع . ثم حملقت فى الخطاب مرة ثانيـــة ، وعادت فرفعت بصرها الى جلوفر ، ومدت يدها اليه بالخطاب ، وقالت لاهثة متداعية :

ـ خذ واقرأ يا سيدى !

وشرع جلوفر فى قراءة الخطاب ، فاذا فيه :

« سيدتى العزيزة

« لقد عدت من لندن ، واعترفت للســـيدة ميريديث بأنى قلدت امضاءها وسحبت من نقودها بالبنك مائة ألف جنيه

« وقد عرفت الآن فقط أن الســـيدة ميريديث تحبنى ، ولا أدرى الام ينتهى بنا هذا الحب ، فهى سيدة جريئة ، فانظرى ما سيقع »

وقرأ جلوفر الخطاب مرة ثانية ، ثم تمتم قائلا : « الخطاب بخطه ولا شك، ولكن هذا مستحيل !٠٠لان السيدة ميريديث لم تغب عن عيني منذ وصولها الى هنا !٠٠ »

ثم تساءل : « ترى هل تركت هي الاخرى خطابا ؟ »

فقالت له جان :

ـ لم أدخل مخدعها اليوم ، فهل لك أن تصحبني اليه ؟

وتبعها الى السلم ، فصعدا الى الطابق الأعلى ودخلا مخدع ليديا ، وهناك وقعت عين جلوفر على خطاب مغلق ملقى فوق منضدة بجـانب السرير ، فسارع الى تناوله ، وشد ما دهش اذ وجده معنونا باسمه ، ووجد العنوان مكتوبا بخط ليديا ، ففضه مسرعا ، ثم أخذ في قراءته وقد شحب وجهه فلما فرغ منه سأل جان : « الى أين ذهبا ؟ »

فأجابت : « الى سان ريمو »

فسألها : « هل ذهبا بالسيارة ؟ »

فأومأت برأسها موافقة

وعندئذ نهض جلوفر دون أن يتكلم،وانطلق هابطا السلم بأقصى سرعته، ثم اندفع خارجا الى الطريق فوقف هنيهة حتى جاءت سيارة أجرة فاستقلها وطلب الى سائقها أن يسرع به الى سان ريمو !

وعندما وقفت السيارة عند نقطة حرس الحـدود ، علم من الضابط أن سيارة تقل سيدة قد عبرت الحدود منذ حوالى ساعة ولم تعد

وانطلقت به السيارة تدور وتنعطف مع الطريق حتى بلغت الموضع الذى كانت سيارة آل بريجرلند واقفة فيه ، وكان حولها حلقة من الناس ،فهبط جلوفر يستطلع الخبر ، وسرعان ما وقعت عينه على جثـة موردن ملقاة على الارض هناك وقد غاصت في بركة من الدماء ، ورأى بجانب الجثة اثنين من رجال الشرطة في يد أحدهما مسدس ذو مقبض عاجي ، وسمعه يقول :

ـ بهذا المسدس ارتكبت الجريمة ، وبرصاصة واحدة قضى على هـذا القتيل ، بينما أطلقت من المسدس ثلاث رصاصات ، فعلى من يا ترى أطلقت الرصاصتان الأخريان ؟

وغامت الدنيا في عيني جلوفر ، وشعر بدوار فاستند بيـده الى مؤخر السيارة ، ثم رأى من مكانه فتحة في الصخرة فذهب مسرعا وأطل منها فلم ير هنالك الا قبعة ممزقة وقناعا عرف لتوه انهما من ثياب ليديا !



القبض على بريجرلند

قبيل عصر ذلك اليوم ، كان مستر بريجرلند يقتل الوقت على رصيف موناكو ، واذا به يرى الزورق المسمى « ملك السحاب » يدخل الميناء ، وماركس ستبنى يلقى بالحبل الى المرفأ ثم يصعد منه الى البر

وناداه بريجرلند محييا ، فرد ستبنى التحية وهو يبلع ريقه ، ثم سأله بريجرلند بصوت أبوى رقيق :

ـ أكنت تصطاد اليوم أيضا ؟

فأومأ موافقا ، وقال : « نعم ٠٠ وأنا عائد من الصيد الآن »

ـ وهل اصطدت سمكا كثيرا ؟

ـ لم أصطد الا سمكة واحدة فقط يا سيدى !

ـ يا للحظ السيء !٠٠ ولكن أين السيدة ميريديث ؟٠٠ ألم تستطع اقناعها بمصاحبتك فى نزهتك ؟

ونظر اليه ستبنى ساهما ، ثم قال :

ـ بل ذهبت الى سان ريمو

فهز بريجرلند رأسه وقال :

ـ صدقنى ٠٠ لقد نسيت !

وبعد قليل اشترى نسخة من صحيفة « نيكواز » المسائية ، فما أن طالع فيها نبأ الفاجعة التي وقعت على طريق (سان ريمو) حتى عجل بالأوبة الى الدار ، ودخل الى القاعة حيث كانت جان جالسة ، والصحيفة منشورة فى يده ، وقال لها :

ـ نبأ مزعج يا عزيزتى ٠٠٠

على أنه قطع حديثه اذ رأى فى القاعة رجلين ، أحدهما طويل لا يعرفه ، والآخر جاك جلوفر ٠ وما لبث هذا الأخير أن ناداه قائلا دون أية تحية :

ـ تعال هنا يا بريجرلند ٠ هذا هوكبير مفتشى بوليس المنطقة ، فقل لنا أين كنت ؟ واسرد علينا تفاصيل انتقالاتك منذ خروجك فى الصباح

فقال مستر بريجرلند فى ترفع :

ـ انتقالاتى ؟!٠٠ هل تتوهم أن لى يدا فى هذه الفاجعة الرهيبة؟٠٠انها فاجعة قد أصابتنى فى الصميم ، وأثارت فى نفسى الندم على تهاونى

واغضائى عن تودد ذلك السائق اللعين الى ليديا !
وقال مفتش البوليس :
ـ برغم ذلك يا سيدى ، لابد أن تخبرنا أين كنت ؟
فقال : « هذا أمر هين ٠٠ لقد ذهبت الى سان ريمو »
وعاد المفتش يسأله : « ذهبت من طريق البر ؟ »
فقال : « نعم ، وكنت مستقلا دراجتى البخارية »
فسأله : « متى وصلت الى سان ريمو ؟ »
فأجاب : « وصلت اليها عند الظهر ، أو قبله بحوالى ربع ساعة »
فقال له المفتش : « هل تعلم أن جريمة القتل وقعت هناك فى الساعة الحادية عشرة والنصف ؟ »
قال : « قرأت ذلك فى الصحف ! »
فسأله : « أين قضيت الوقت الذى لبثته فى سان ريمو ؟ »
فأجاب : « قصدت أولا الى مشرب فتناولت كأسا من النبيذ ، وذهبت بعد ذلك الى مطعم فيكتوريا فتغديت ، ثم ركبت قطار الساعة الاولى بعد الظهر الى مونت كارلو »
ـ ألم تسمع بالحادث فى سان ريمو أو فى القطار ؟
ـ كلا !٠ لم أسمع عنه كلمة واحدة !
وهنا سأله المفتش : « ألا تعلم بوجودعلاقة بين سائقكم وبين ضيفتكم ؟»
فأجاب قائلا : « لم أكن أظن أن الصلة بينهما وثيقة الى هذا الحد ، فقد كنت أراه يتحدث اليها أحيانا فى الحديقة فلا أعلق على ذلك أهمية كبيرة ، لأنني وابنتى ندين بالديمقراطية ، حتى اننا كنا نعامل موردن السائق معاملة صديق ! »
ومد المفتش يده الى الستارة التى كان واقفا أمامها ، فتناول من خلفها بندقية انجليزية قديمة وعرضها عليه وهو يسأله :
ـ هل هذه بندقيتك ؟
فأجاب بلا تردد :
ـ نعم هى بندقيتى ، وقد عثرت عليها فى اميان فاشتريتها اذ هى من ذكريات جنودنا الأبطال !
فقال المفتش متهكما :
ـ أعلم أنك اشتريتها بدافع من حبك وطنك ، ولكن هل تستطيع أن تشرح لى كيف انتقلت البندقية الى شخص غيرك ؟
فأجاب مستر بريجرلند مشدوها :
ـ لا أدرى !٠٠ بل لم يخطر لى أنها قد تكون سرقت ، برغم أنى لم أرها

منذ اسابيع ، فهل يمكن أن يكون موردن ··· ولكن لا ، لا أحب أن أذكره بسوء !

وهنا سأله جلوفر :

ـ ماذا كنت تريد أن تقول ؟·· هل موردن هو الذى أطلق النار منها على السيدة ميريديث وهى تستحم ؟·· دعنى أوفر عليك محاولة الكذب والتمويه ، فأنت الذى أطلقت النار ، وأنا الذى ضربتك على رأسك فألقيتك فاقد الوعى !

وبهت بريجرلند لهذا الاتهام المفاجىء ، وشحب وجهه ، وجف ريقه ، وبدا عليه الذهول ، بينما أخذ الرجلان يدرسان وجهه وحركاته التى أثارها هذا الاتهام

وأخيرا تمالك نفسه وأجاب قائلا بصوته الرقيق الرائع :

ـ لا أدرى لماذا لا تفتأ توجه الى تهما وحشية لا أصل لها !

ثم التفت الى ابنته وخاطبها قائلا :

ـ تكلمى أنت يا عزيزتى ، فقد تستطيعين ايضاح هذا الأمر

ولم تكن جان قد تكلمت منذ دخول أبيها ، وظلت جالسة على مقعدها فى وضع مستقيم ، ويداها مطبقتان ومسندتان الى فخذيها ، وعيناها تستقران تارة على وجه جلوفر وتارة على وجه مفتش البوليس ، فلما قال لها أبوها ذلك هزت رأسها وقالت :

ـ لست أعرف شيئا عن البندقية ، بل لم أكن أعلم أن لديك هنا بندقية على الاطلاق · ولكنى أرجو منك يا أبى أن تجيب على أسئلتهما كلها بما تعلم ، فانى مثلك راغبة فى جلاء حقيقة هذه الفاجعة الرهيبة !

ثم التفتت الى جلوفر ومفتش البوليس وقالت :

ـ هلا أخبرتما أبى بأمر الخطابين اللذين وجدناهما ؟

فصاح مستر بريجرلند قائلا :

ـ هل عثرتم على خطابات ؟·· وهل تركت ليديا المسكينة خطابا أيضا ؟

فقالت جان :

ـ سيخبرك مستر جلوفر بأمر هذين الخطابين يا أبى ، فقد تعلقت المسكينة ليديا بالسائق موردن ، وما وقع منهما اليوم واضح ، فهما قد خرجا من هنا هذا الصباح معتزمين ألا يعودا ·· وقد ···

فقطع جلوفر كلامها قائلا فى هدوء :

ـ الثابت أن السيدة ميريديث لم تكن تعلم شيئا عن (كرسى المحبين) · ولم تقرر الذهاب اليه الا باغراء منك ، وشهادة السيدة (كول مورتيمر) فى هذا الشأن صريحة واضحة كل الوضوح !

وبعد بضعة أسئلة أخرى طرأت فكرة على ذهن جلوفر ، فأشار الى مفتش

البوليس اشارة خرجا على أثرها من القاعة ، ثم سارا حتى بلغا سيارة المفتش فتواريا خلفها ، وهناك طلب اليه جلوفر أن يعطيه الخطاب الذى تركته ليديا ليعيد فحصه على ضوء الخاطر الذى جال بذهنه

وما أن نشر الخطاب بين يديه حتى أشار بلهفة الى كلمة « صديقى العزيز » فأجاب المفتش حائرا :

ــ أتقصد القوسين اللذين وضعت بينهما هذه الكلمة ؟٠٠ ماذا تظنها قصدت بذلك ؟

فقال له جلوفر : « أعرنى سمعك جيدا ٠٠ لقد تذكرت الآن أن الآنسة بريجرلند أخبرتنى بأنها تكتب قصة ، وأذكر أيضا أنها شكت لى من أن الكتابة أصابت رسغها بالتهاب سببه ضغط القلم ٠ وقد لاح لى أن من الجائز أن تكون الآنسة بريجرلند قد تعللت بتلك الاصابة وكلفت السيدة ميريديث أن تكتب بالنيابة عنها جانبا من تلك القصة تمليه هى عليها ٠ ولما كانت السيدة ميريديث قد عملت فى الصحافة من قبل وتعودت استعمال الاقواس لحصر الكلام المستقل عن السياق ، فلعلها وضعت الأقواس المذكورة من تلقاء نفسها وهى تكتب ما يملى عليها ! »

ففكر المفتش قليلا ، ثم ألقى نظرة فاحصة على الخطاب وقال معقبا :

ــ هذا جائز ، وقد يؤيده أن الكتابة متسقة ولا أثر فيها لاضطراب ، ويحتمل أن تكون الحروف الأولى للشخصية القصصية (ل٠م٠) ٠٠ على أنه لو صح أن هذا الخطاب جزء من قصة لكانت هناك أوراق أخرى مكتوبة منها ، فهل ترى أن أقوم بتفتيش البيت للبحث عن تلك الاوراق ؟

فهز جلوفر رأسه نفيا وقال :

ــ ان الآنسة بريجرلند أذكى من أن تحتفظ بمثل هذا الأثر فى البيت ، والأرجح أنها ألقت الى النار بتلك الاوراق !

فقال المفتش محتجا :

ــ أى نار ؟٠٠ ان المواقد هنا كلها كهربائية ، الا ان تكون أحرقتها فى المطبخ !

فقال جلوفر :

ــ لا ، انها أحرص من أن تثير اشتباه الخدم بحرق أوراق فى المطبخ ، وانما يجوز أن تكون قد أحرقتها فى الحديقة

وأطرق المفتش اطراقة التسليم باحتمال صحة الفكرة المقترحة ، ثم عاد الرجلان معا الى الحديقة وسارا ببطء متنقلين بين الاشجار ، وعيونهما لا ترتفع عن الارض

وكانت جان منهمكة فى التحدث الى أبيها حين لمحتهما هناك من خلال النافذة ، فدهشت لوجودهما هناك على تلك الحالة وتساءلت :

ـ عم يبحثان يا ترى ؟

ثم صعدت الى غرفة ليديا المشرفة على جانب الحديقة الذى كانا سائرين فيه ، وأطلت عليهما من وراء الاستار • وفجأة انحنى المفتش والتقط شيئا من الارض ، فعضت على شفتيها من الغيظ وحدثت نفسها قائلة : « القصة المحروقة •• لم يخطر لى قط أنهم قد يبحثون عنها ! »

ووجدا قصاصة صغيرة محترقة ولكنها متماسكة برزت فيها بضع كلمات واضحة بخط ليديا ، لفت نظر المفتش منها خاصــة اسم « لورا مارتن » فهتف قائلا :

ـ ل•م !• تماما كما قدرت !

ولم تكن هناك كلمات ظاهرة عدا ذلك الاسم سوى كلمتى : « محزن » و « الندم » • على أنهما واصلا التقاط بقية القصاصات المحترقة ، ولما لم يجدا بينها أية كتابة يمكن أن تقرأ ، أخذا طريقهما الى باب الخروج•وبقيت هى تراقبهما حتى غابا عن نظرها ، فهبطت مسرعة وقالت لأبيها :

ـ اننى خائفة !•• ويجب أن تعلم يا أبى أننا فى خطر شديد لأن •••

وقطع عليها حديثها دخول (ماركس ستبنى) ثم قوله لها :

ـ أريدك فى كلمة خاصة يا جان

فهتف مستر بريجرلند مغضبا :

ـ ماذا تريد أن تقول لها ؟• أليس من نهاية لهذه الأسرار ؟!

فنظر اليه ماركس نظرة خالية من العطف وأجابه فى خشونة :

ـ ستكون هذه هى المرة الاخيرة اذا لم يكن عندك مانع

ونهضت جان وكلها انتبـــاه ويقظة فالتقطت لفافة كانت قد أعدتهــا بجانبها ، وسارت متجهة الى الحديقة وماركس فى أثرها

ومضت عشر دقائق دون أن يعودا ، ثم انقضت فترة أخرى ، وبدأ القلق يساور مستر بريجرلند ، فانتصب واقفا وألقى الكتاب الذى كان يطالعه جانبا واتجه الى باب القاعة ، وما قطع نصف المسافة اليه حتى فتح الباب ودخل منه جلوفر ووراءه أحد رجال الشرطة ، وقال هـــذا الأخير لمستر بريجرلند :

ـ عندى يا مستر بريجرلند أمر من المحافظ بالقاء القبض عليك

فقال بريجرلند متلعثما :

ـ أمر بالقاء القبض على ؟!•• بماذا تتهموننى ؟!

فأجاب الشرطى :

بقتل فرانسوا موردن عمدا مع سبق الاصرار !

فصاح بريجرلند : « هذا كذب ، فلا علم لى بأى ••• »

وماتت الالفاظ الباقية على شفتيه ، وراح يحملق فيما وراء الشرطى ، فقد وقعت عيناه فى هذه اللحظة على (ليديا) واقفة بالباب !

نجاة وفرار

منى ماركس ستنبى فى ذلك الصباح بفشلين : أولهما حين اعتذرت ليديا من عدم استطاعتها مصاحبته ، والآخر أنه كان كلما جذب الشبكة من الماء وجدها خالية من السمك !

وأخيرا ألقى الشبكة فى سلة الطعام الذى أعده للوليمة التى لم تتم !

وكان « ملك السحاب » اذ ذاك على بعد عشرة أميال من الشاطىء ، وقد احتوت السلة عدا المأكولات على زجاجتين صغيرتين من الشمبانيا الفاخرة ، فأفرغ احداها فى جوفه ، ثم تناول قليلا من الطعام ، وطافت بذهنه جان بريجرلند ونظرية خطف الزوجة المنشودة ، أو طريقة أهل الادغال التى ألقت جان بذرتها فى قرارة نفسه ، ونفثت الصهباء فيه روح المرح فقال لنفسه متندرا :

– يا للشيطانة الصغيرة !٠٠جدير بهذه الطريقة ان تسمى حبا بالاكراه!

ثم قهقه مسرورا من النكتة ، وسال لعابه ففتح الزجاجة الثانية ، وسلسلها كأسا وراء كأس

واشتدت حرارة شمس الظهيرة ، وبدأ يتثاءب وقد ثقل رأسه حتى كاد يغلبه النوم ، لولا بقية من عقل كشفت له عن المتاعب التى تفاجئه ان هو استسلم للنوم فى وسط البحر ، فأدار دفة « ملك السحاب » نحو أقرب بر ، مؤملا أن يجد فيه مرفأ يرسو عليه !

وسرعان ما تبين له أن أمله قد تحقق بأحسن مما كان يرجو ، فقد رأى البحر والجو كأنما تعاونا هناك على شق تجويف كبير فى سلسلة عالية من الصخور ، ولم يشك فى صلاحية هذا التجويف الطريف ليكون مرفأ أمينا لملك السحاب ، ولاسيما بعد أن تحقق عمق الماء وسكونه هناك

وما كاد يدخل بالزورق فى حنايا ذلك التجويف ، ثم يلقى مرساته ، حتى اضطرب جيش من السمك ، أيقظ شوقه الدفين الى الصيد ، فألقى الشبكة فى الماء ، وجلس جلسة مريحة ، تاركا النوم بعد ذلك يداعب عينيه كما يشاء !

وأيقظه من غفوته صوت طلقة مسدس،ثم لم يلبث أن سمع طلقة ثانية ، ثم ثالثة٠وعلى اثر ذلك سقط شىء فى الماء خلف الصخور الممتدة فى البحر، والتى يتألف منها أحد ضلعى التجويف الرابض فيه « ملك السحاب » ٠ وكان ماركس قد استيقظ تماما ، وتبخرت من رأسه أو كادت أشعة

الشمبانيا ، فأخذ يحقق النظر تحت قاع الصخور فى الجهة التى سقط فيها ذلك الشىء · وسرعان ما لاح له شبح امرأة تدور حـول نفسها مبتعدة من الشاطىء ، حتى اذا بلغت مكانا من البحر صالحا للسباحة انقلبت على ظهرها وبدا له وجهها ظاهرا جليا لا مراء فيه ، فوضع طرف حبل مثبت فى الزورق بين أسنانه وقذف بنفسه فى الماء دون تردد ، وبقى يسبح حتى وصل الى تلك المرأة فربط الحبل حول خصرها ، ثم عاد الى الزورق فى مثل السرعة التى سبح بها وسحب الحبل حتى وصلت المرأة الى حافة الزورق ، فانتشلها من الماء ، ووضعها على سطح زورقه وهو يعاود النظر الى وجهها ، وقلبه يخفق لفرط ما اعتراه من جزع واجهاد

وقد ظن بادى الرأى انها لفظت آخر أنفاسها ، ولـكن أذنه ما لبثت أن حملت اليه صوتا خافتا لضربات قلبها ، فسارع الى السلة وتنـاول منها زجاجة من النبيذ ، ثم صب منها قطرات بين شفتى المرأة الغريق ·فشهقت وتشنجت أعصابها قليلا ، ثم لم تلبث أن تحت عينيها !

وقال لها ماركس :

ــ اطمئنى ·· انك مع صديق !

ولم تكن هذه المرأة الغريق سوى السيدة مريديث · فجلست ، وبدأ ذهنها المضطرب يستعيد المشاهد التى مرت بها منذ حين،فكادت من الفزع والجزع أن يغمى عليها من جديد ، وغطت وجههـا بكفيها والدم يكاد يجمد فى عروقها وأجهشت بالبكاء

وتركها ماركس حتى استـردت بعض جأشها ثم سألها عما وقع لها ، فأجابت بصوت خافت ضعيف :

ــ لا أكاد أفهم شيئا ، ولكن الأمر فظيع ، فظيع جدا ·· !

وكانت تحس ألما شديدا فى كتفها اليسرى ، كما كان كم ثوبها ممزقا ، ويبدو منه جرح متورم على مدى سمك الغضروف الذى يغطى المفصل ما بين الذراع والكتف · وسألها ماركس محزونا :

ــ أكاد أقول : ان هذا جرح رصاصة ، وقد سمعت صوت طلقة ، فهل أطلق عليك النار أحد ؟

فأومأت برأسها موافقة ، بينما عاد ماركس يسألها : « من ذلك الجـانى الآثيم الذى أطلق عليك النار ؟ »

فحاولت جاهدة أن تلفظ باسم الجانى ، ولكن صوتها انحبس وانخرطت فى البكاء مرة ثانية !

وعاد يسألها بصوت محتبس : « ليست جان ؟ »

فهزت رأسها نفيا ، فسأل : « مستر بريجرلند ؟ »

فأومأت أن نعم ، وردد ستنبى الاســم مرتين تخللهما صـفير ورعدة ، ثم قال :

– فلنذهب من هنا والا قتلنا البرد ، وستبعث الشمس الدفء فينا ! »

ثم أدار آلات الزورق ، ومضى يشق به الطريق فى الممر الضيق الى عرض البحر ، وكانت ليديا قد خفت وطأة الحادث الشديدة عليها ، فأخذت تقص على منقذها ما شهدته منذ رأت موردن مضرجا بدمه الى وقت سـقوطها فى الماء،وبقى ماركس يستمع لها بكل جوارحه حتى فرغت من حديثها فقال لها:

– اذن٠٠موردن مات ؟!٠٠يا للخسة !٠٠ولكن كيف يعللون هذا الأمر ؟

ثم ابتسم وهو يستطرد قائلا : « ما أظنك كتبت خطابا قلت فيه انك ستذهبين مع السائق الى غير عودة ؟ »

فانتبهت ليديا ، وسبح خيالها قليلا ثم أجابت ببطء :

– لقد كتبت خطابا كهذا ، ولـكنه لم يكن خطابا حقيقيا ، بل جزءا من قصة أملتها على جان

وذكرت له بالتفصيل موضـــوع القصة والصفحات الثلاث التى أملتها عليها جان ، ومن بينها الخطاب الذى ذكرت فيه البطلة أنها ستفر مع من هو دونها مكانة فى المجتمع !

وعلق ماركس على ذلك بقوله :

– ان جان لم تدع أحدا الا حاولت استغلاله للتخلص منك بأية وسيلة !

وذكر لها – تحت تأثير الموقف – كيف انه ، بايعـــاز من جان ، كـان سيخطفها اليوم ، وانه زود يخته الصغير لمرحلة تتجاوز ألف ميل ٠ ولم يحاول التهوين مما كان مقدما عليـــه الا بذكر الحقيقة ، وهى ان جان قد استغلت حاجته الى النقود ، فوضعت له خطة ذلك الزواج بالاكراه !

وكان « ملك السحاب » عندئذ قد أشرف على اللسان الاخضر الممتد فى البحر ، والمعروف باسم (كاب مارتن) ٠ فقال لها ماركس :

– خير لك ياسيدة ميريديث ألا يعلم بريجرلند بأنك نجوت من الموت ، ولنذهب الى (نيس) حيث نستطيع الاختفاء بين جماهير الناس !

وفى منتصف السـاعة الرابعة بعد الظهر هبطا من الزورق الى نيس ، حيث أنزلها بفندق هناك ، ثم عاد هو بزورقه الى (موناكو) حيث لقيـه بريجرلند على رصيفها

وقضى ماركس ساعتين فى صراع مع حبه لفتاة لا شك عنده فى أنهـــا قاتلة سفاكة دماء !

وأخيرا انتصر الحب !٠ وعندما حل الظـــلام ذهب فأعاد تزويد « ملك السحاب» بصفائح الوقود والطعام والشراب ، ثم انطلق به الى (كاب مارتن ومعه فيه جان بريجرلند ، لينجو بها مما ينتظرها من قصاص !



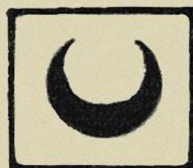
الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر يوليو 2018 **

www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي



الفصل الاربعون

أقامت ليديا فى فندق هادئ فى نيس وجاءت المسز كول مورتيمر لتقيم معها وقد بقيت فى اليوم التالى للحادث لا تبرح فراشها . وقد أتاها جاك بطبيب ولكنها رفضت مقابلته وبعد ذلك بيوم قابلت الفتاة . وقد قصت عليه باختصار الدور الذي لعبه ماركس فى انقاذها ورأى جاك من الملائم أن يذهب اليه فى فندقه ليشكره ولكنه لم يجده . والواقع ان ستبنى قد اختفى منذ يومين واختفى معه اليخت « جنتل كورين » ولم ينتبه لذلك أحد حتى بدأت المسز كول مورتيمر تسوى حسابها مع جاك فذكرت اليخت فقال جاك أنه كان يظن ان اليخت ملك لماركس فساورت شكوكه وعاد الى فندق ماركس وثبتت شكوكه لانه رأى أحد رجال البوليس السرى يبحث عنه هناك . وعلم أن ستبنى قد اختفى منذ القى القبض على المستر برجرند

فقال جاك : لقد هرب مع الفتاة . لانه يحبها على ما أظن .

فقال رجل البوليس : لو عرفنا ذلك لقطعنا عليهما الطريق فلدينا عدة نسافات فى ميناء فيلا فرانكا . ولكن قد تأخرنا الآن

فقال جاك : الى أين تظن أنهما يذهبان

الله أعلم . قد يذهبان الى ايطاليا أو اسبانيا أي برشلونه .
سارعت (تلغرافا) الى مدير البوليس هناك .

وأجاب مدير بوليس برشلونه ان اليخت « جنجل كوين »
لم يره أحد وكان الجو هادئا والبحر راكدا والظروف مناسبة
في الهرب . وبالبحث اتضح ان المستر ستبنى عبأ اليخت جيدا
واشترى مؤن كثيرة قبل رحيله

مضى على الجريمة أسبوع وانتهى التحقيق المبدئي مع المستر
برجرانشه . ثم جاءت برقية من البوليس الاسباني بان يختا ينطبق
وصفه على « جنجل كوين » درج على ملجا وصبا بترولا وخرج
الى البحر قبل أن يتمكن أولو الشأن من التحقيق في أمره

قالت ليديا : ربما تظنني ناقصة العقل . ولكني أحب أن تنجو
— لو أنفقت معها زمنا أطول لحولتك الى مجرمة . وأرجو ألا
تنسى أنها أخذت معها مائة ألف جنيه وهي سدس ثروتك .

— هذا ما يريح قلبي من ناحيتها . أنا أعلم الآن من هي وجريمتها
الكبرى أنها ولدت بعد أوانها بستمائة عام . ولو عاشت في عهد
النهضة الايطالية لكان لها شأن عظيم في التاريخ

— هذا كثير منك . وعلى ذكر ذلك . لقد سلموا برجرانشه
للبوليس الايطالي لان الجريمة وقعت على أرض ايطالية وهذا
ينقذ رأسه من المقصلة

فارتجف بدنها وقالت : وماذا يفعلون به

- يسجن مدى الحياة وأظن أن هذا أرداً من المقصلة . تقولين أنك تعطفين على جاك ... أما أنا فأرثى للمسيو برجولند . ولولا أنه سار فى تيار ابنته ربما كان رجلا محترما

كانا يسيران فى شوارع جراس وجاك يريها مناظرها الجميلة

قالت : أظن أنه يجب على أن أستقر الآن

- نعم . أظن هذا واجبا وأن تسوي حسابك أيضا . فالنفقات القضائية أصبحت ثقيلة جدا

وقفت ونظرت اليه وقالت : لماذا تقول ذلك

- أقوله بصفتي وكيل أشغالك المأجور

- انني مدينة لك بكل شيء لى . وثروتي هي أقل هذه الاشياء أهمية فانا مدينة لك بحياتي ثلاث مرات

- بل أربع مرات ولمالاركس سمتبنى مرة

- لماذا فعلت ذلك من أجلى . أتعود عليك فائدة منه

- نعم - لقد اهتممت بامرك منذ رأيتك تخرجين من سيارة مورون تلك الليلة ثم زاد اهتمامى بك ....

قالت : متى ؟

- حين كنت أجلس خارج باب غرفتك ليلة بعد ليلة وعرفت أنك لاتنطين .

فاحمر وجهها وقالت : أرجو ألا تشير الى حوادثك في دور المستر جاجز . كنت أحب أن أرى ذلك الشيخ . ولن تتعزى المس مورجان على فقده

ثم سارا الى الكاتدرائية وجلسا وقال جاك هامسا

- في الكنائس روح تريح القلب . انظري الى تلك النافذة الفخمة لو كنت غنيا الى حد يمكنني من الزواج بالمرأة التي أحبها لتزوجتها في كنيسة كاتدرائية كهذه مملوءة بالتماثيل والصور ونوافذ الزجاج الملون .

- والى أي حد تريد أن تبلغ ثروتك

- الى أن تعادل ثروتها

- قل لي كم ثروتك وأنا أوزع ما عندي زيادة عليها حتى نتساوى .

فقبض على يدها وأبقاها بين يديه . وهناك بقيا معا على هذه الحال أمام مذبح سانت كاترين الى أن غابت الشمس



الفصل الحادي والاربعون

قال ماركس ستيفن وهو يشير الى مرتفع أغبر اللون

ـ هذا جبل طارق

كان غير حليق لأنه نسي أن يأتي بموساه وكان البرد يهرأ بدنه بالرغم من أنه رفع (ياقة) معطفه الى آذانه . أما جان فلم يظهر عليها أثر تغير الجو . فكانت جالسة وقد اعتمدت ذقنها على كفها وكوعها مرتكز على ركبتها

قالت : أتمرج على جبل طارق

ـ لا أظن . هل رأيت ذلك الرجل الذي وقف على الرصيف يصرخ علينا بالرجوع بعد خروجنا من ملجا . هذه علامة سيئة . وأظن ان البوليس يحاول ايقافنا . ولا بد ان الخبر قد وصل الى جميع الموانى .

ـ كم من الزمن نستطيع البقاء في عرض البحر

ـ لدينا بترول ومؤنه تكفينا للوصول الى دكا . أي رحلة ثمانية أيام

ـ أي على شاطىء افريقية . من أين يمكننا الحصول على سفينة تذهب بنا الى أمريكا الجنوبية

من لشبونه . ولكن هناك سفنا كثيرة يمكن أن تنقلنا .
على أننا نستطيع الذهاب الى رأس بلماس فمعظم السفن المتوجهة الى أمريكا الجنوبية تعرج عليها . وعندي انه خير لك البقاء في أوربا .
تمالك ياجان وامسكى بهذا المكان

فأطاعت وظلا يعملان معا في تسيير السفينة . وكان عليه أن يقوم بدهان جسم اليخت وكان ذلك شاقا جداً وقد أتي باللون الرمادي من ملجأ . أما الصارية القصيرة فقد قطعها ورماها في بحر في اليوم التالى لمغادرتهما الكاب مارتن

كانت ترقبه في عمله فخالت أنه لم يكن يوما ما أقل جاذبية منه الآن وقد استطالت لحيته وتلطخت ثيابه بالدهان والبترول ومع ذلك كان هنا مايدعو الى شكره . فسلوكه معها كان خاليا من كل عيب فهو لم يوجه اليها كلمة غرام

قالت : اذا فرضنا أننا وصلنا الى أمريكا الجنوبية سالمين . فماذا يحصل ياماركس

فقال ضاحكا : نتزوج

فضحكت وقالت : وماذا يحصل للمسز ستيفنى الاخرى

- لقد طلقتني وقد حصلت على الاوراق المثبتة لذلك قبل قيامنا بيوم .

فقالت جان : لا بأس . نتزوج

- أليس هذا رأيك أيضا

- نعم . ويخيل الى أن ذلك نهاية غريبة للحوادث . ومع ذلك ليست غريبة . ثم انحنى ليتمم عمله : فأدارت السكان بغتة دورة قوية وانعطف اليخت فجأة الى اليمين وكاد ماركس يفقد توازنه ويسقط في البحر . ولكنه بذل جهدا فوق طاقة البشر ليعيد توازنه . ثم نظر اليها بوجه ممتقع

قال : لماذا فعلت ذلك . كدت أسقط في البحر

- انى آسفة . كانت سمكة في طريقنا فأردت أن أتحاشاها . ولم أتصور أن ذلك يفقدك توازنك

فنظر الى البحر يبحث عن السمكة الماكرة فلم يجدها

قالت : نبهتنى الى الابتعاد عنها . فهل عرضتك لأى خطر

فبلل شفتيه الجافتين وألقى اناء الدهان في البحر وقال

- سأترك هذا الى أن نصل الى الشاطىء . لقد أخفتني ياجان

- انى شديدة الاسف . تعال واجلس الى جانبي

وأفسحت له مكانا فجاء وجلس الى جانبها وتناول السكان من يدها . وظهرت لهما من بعيد شواطىء افريقية فأشار اليها وقال

- هذه مراكش . وعندى أنه يجب الابتعاد عن جبل طارق ونسير ازاء شاطىء افريقيه الى طنجة . ولا بأس بطنجه لنزولنا لولا أننا معا لان هذا يوجه الريب الينا . ويمكنك الادعاء بأنك

قادمة من جبل طارق . وأولو الأمان هناك لا يدققون كثيرا . وهناك رأي آخر وهو أن نصعد على الشاطيء ونسير الى طنجه فنصل اليها عند الصباح . فلا يثير وصولنا أي شك

كانت تنظر الى الشاطيء وفي عينيها بريق غريب . ثم قالت

— مراكش . مراكش . لم أفكر في ذلك

ثم حدث لهما مايزعجهما بعد ذلك بقليل . مر عليهما من بعد جسم ومادي متجه نحو الشرق . وكان ذلك الجسم نسافة ذاهبة الى جبل طارق . وقد رأى ستيفنز النور الملقى يختفي ولكن النسافة عادت

فقال ماركس : انهم يبحثون عنا

كان الظلام قد ابتدأ يخيم فوجه مقدم اليخت نحو الشرق . ولا شك أن النسافة كانت تبحث لأن النور الكشاف قد انبعث من ظهرها وأخذ يدور الى أن وصل الى اليخت ووقف قليلا . ثم تركهما . وبعد قليل عاد الضوء الى القارب . ولكنهما رأيا أيضا أن الضباب يتجمع . ثم أطلق مدفع فقال ماركس :

— هذا أمر لنا بالوقوف

ثم وجه مقدم القارب الى الجنوب . الى الشاطيء مع مافي ذلك من المخاطرة . ثم اختفى القارب في الضباب

وقال ماركس ثانية : انهم يبحثون عنا

— لقد قلت ذلك من قبل

— لعلهم أنذروا ميناء طنجه فلا نستطيع الذهاب الى المرفا
ثم اتجه نحو الغرب قاصدا الى شاطىء أفريقية الصخري . وقد رأيا الانوار على الشاطىء وحاول ماركس أن يتذكر هذه المدينة قال : أظن ان هذا المكان هو كوترا . محطة نفي المجرمين الاسبانية . هدأ من سير القارب وهو يقترب من الساحل الى أن ظهر نور المنارة التي دلتهما على المكان

— هذا رأس سبارتل . ونستطيع ان نرسو قريبا . لقد قضيت ثلاثة اشهر في مراكش واتذكر ان الطريق جيد من هنا الى طنجة

ذهبت الى الغرفة وبدلت ثيابها حين كان ماركس يرسو الى جانب الشاطىء . ثم حملها الى الشاطىء واجلسها . ثم عاد وادار مقدم القارب نحو عرض البحر ورتب السكان وادار الآلات ثم ترك القارب وعاد يخوض الماء الى الشاطىء . ثم وقف ينظر اليه وهو يسير نحو عرض البحر الى ان اختفى عن نظره

— انتهينا من هذا . وأمامنا الآن ياعزيزتي عشرة اميال نسيرها على الاقدام

ولكن حسابه كان خطأ . كانت المسافة بين ذلك المكان وطنجه نحو خمسة وعشرين ميلا . وتستلزم كثيرا من الدوران في داخل بلاد غير آهلة الامم الا بعسكر مولاي حافظ الذي كان يحارب

الحكومة الاسبانية في صلح قبل بضع سنوات

كان مولاي حافظ جالساً في نصف الليل يشرب القهوة ويصغي الى الحاكي (الفونوغراف) . واذا بصوت خارج خيمته جعله يوقف الآلة ويقول : ماهذا

— لقد قبضنا يامولاي على رجل وامرأة يسيران على الساحل

قال مولاي بالعربية : لعلهما من اهل الريف فاتركوهما . اننا نسعى الى الصلح لا الحرب

— ولكن يامولاي هذان كافران واظنهما انجليزيين

فقال وهو يمشط لحيته : آتني بهما

فاحضرا اليه كانا رجلا مكتهل الشباب وفتاة ما كاد يراها حتى شهق بقوة وقال متعجبا

— هذه صديقتي التي قابلتني في الريفييرا

ثم وقف فابتسمت له فقال :

— انني آسف ان كان رجالي قد أخافوكما . لا تخشيا شيئا . سابعث برجالي لحراستكما الى طنجه . من أين أنتما قادمان

لم تستطع الكذب فقالت : نزلنا الى الشاطىء من قارب وضللنا الطريق .

— أظن أنك الفتاة التي يبحثون عنها : لقد جاء أحد رجالي من طنجه اليوم وقال ان البوليس الفرنسي والاسباني يبحثان

من فتاة ارتكبت جريمة في فرنسا . ولا أصدق انها أنت . وإن كنت أنت . فان الجريمة لاشك تقبل الغفران

ثم نظر الى ستيفي وقال : ولعلهم يبحثون عن رفيقك .

- كلا : انهم يبحثون عني أنا : لاهو

فأشار الى وسادة وقال : اجلسي

ثم جلس هو أيضا . أما ماركس فبقي واقفا مبهوتا

- ماذا تفعلين اذا ذهبت الى طنجة . أخشى انني لا أستطيع حمايتك ولكن هناك (وأشار بيده) بين التلال مدينة تبعد أميالا عدة عن هذا المكان . والتلال يامدموازيل مغطاة بالخضرة الجميلة . تنبع منها الينابيع . وأنا السيد الحاكم هناك

قالت : سأذهب الى مدينة التلال

قال : وهذا الرجل

فهزت كتفيها وقالت باسمة : لا يهمني أمره

اذن يذهب الى طنجة منفردا

لم يذهب ماركس الى طنجة منفردا لانه كان يحمل كيسا به الشطر الاكبر من خمسة ملايين من الفرنكات كانت الفتاة قد أتت به من القارب . لم تتذكر جان هذا إلا بعد أن بدأت رحلتها متجهة الى مدينة التلال . وحينئذ لم يكن المال ذا أهمية في نظرها .

(تمت)